جمهوريـــــة الـعـــراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة بـــــابـــل
كلية التربية للعلوم الإنسانية

المشاكلةُ اللغويةُ في تفسيرِ البحرِ المحيطِ لأبي حيانَ الأندلسي(ت٧٤٥هـ)

رسالةٌ قُدِّمت
إلى مجلسِ كليةِ التربيةِ للعلومِ الإنسانيةِ / جامعة بابل
وهي جزءٌ من مُتطلبات نيل درجةِ الماجستير في التربية/ اللغةِ العربيةِ/ اللغة
من قبل

أماني عبد الزَّهرة عبد الصَّمد سلمان

بإشراف

أ. د. شعلان عبد علي سلطان

١٤٤٤ هـ ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾

صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ

(سورة الإسراء: ٨٤)

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (المشاكلة اللغوية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت:٧٤٥هـ) المُقدَّمة من الطالبة (أماني عبد الزهرة عبد الصمد سلمان) قد جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـــ جامعة بابل، وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التربية/ اللغة العربية/ لغة.

الإمضاء:

الاسم: أ. د. شعلان عبد علي سلطان

المشرف

التاريخ: / /٢٠٢٢

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الرسالة للمناقشة.

الإمضاء:

الاسم: أ. د. حمزة خضير أفندي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / /٢٠٢٢

الإهدَاءُ

إلى مَثلي الأعلى في الصَّبرِ

إلى من كلَّله الله بالهيبةِ والوقارِ

إلى من علمني العطاء دون انتظار ..... والدي الغالي

إلى معنى الحب

إلى معنى الحنان والتَّفاني

إلى بسمة الحياة وسرِّ الوجود

إلى مَن كان دعاؤها سرَّ نجاحي، وحنانُها بلسمَ جراحي

إلى شمسي الّتي تشرق دومًا بلا غروب ..... أمي الحبيبة

إلى الرَّجل الّذي ساندي، ووقف معي منذ أنْ دخلتُ بيتَه

إلى الّذي سَكن روحي، ورفيق حياتي

إلى المشجّع والدّاعم الأوَّل لي، بوجوده قد حققت هذا النَّجاح واجتزت هذه الخطوات الصَّعبة .... زوجي أدامك الله لي.

إلى جناحيَّ اللّذين أطير بهما

وأحلِّق بهما عاليًا نحو آفاق السَّماء .... إخوتي وأخواتي

إلى الرَّوح الّتي أصبحت في جوار ربِّها

إلى الحاضر دائمًا لا يغيب .... خالي العزيز- رحمك الله -

شكر وعرفان

امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة النمل:١٩) الحمدُ لله ربّ العالمين، فله الشُّكر من قبلُ ومن بعدُ ـ سبحانه وتعالى ـ الّذي وفقني على إكمال هذه الرسالة.

وامتثالًا لقول الإمام الرِّضا (عليه السلام): (مَنْ لَمْ يشكر المخلوق لم يشكر الخالق)، أتقدم بالشُّكر الجزيل، والثَّناء والعرفان لأستاذي الدكتور (شعلان عبد علي سلطان) الذي غمرني برعايته طوال مدة الكتابة، ولولا توجيهاته القيمة، وتقويماته الفائقة، وملحوظاته السَّديدة، ما رأت هذه الرِّسالة النُّور، فله مني جزيل الشُّكر والامتنان، وأسأل الله أن يجزيه عنِّي خيرَ الجَّزاء، وأنْ يوفقه لخدمة المسيرة العلمية.

وأُقدم شكري وامتناني إلى جميع أساتيذي في قسم اللغة العربية لما قدموه من دعم معنوي، ولجهودهم الكبيرة فيما بذلوا طوال مراحل دراستي، فما عندنا هو قبس من نورهم.

ويدعوني الواجب أن أُعربَ عن جزيل شكري وامتناني إلى أسرتي لدعمهم المستمر لي، فأشكر والديَّ اللذين أعطيا ولم يأخُذا، وزوجي الذي ذلَّلَ لي جميع الصُّعوبات التي واجهتني، فكان سندي وقوتي عند ضعفي، وإلى كل من أعانني، وأخصُّ بالذكر (والدة زوجي، والأخ حمزة حسن كاظم).

وفي الختام: أسأل الله العلي القدير أنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربّ العالمين، وصلى اللهُ على نبينا محمد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

المحتويات

الـــموضـــــــوع	الصفحة
المحتويات	**أ–ت**
المُقدِّمة	**١–٥**
التمهيد: مفهوم المشاكلة	**٦–١٥**
١–المشاكلة في اللغة والاصطلاح	٧–١١
٢ – المصطلحات التي تدلُّ على المشاكلة	١١–١٢
٣ – التَّناسب من وجوه إعجاز القرآن	١٣–١٥
الفصل الأول – المشاكلة الصَّوتية والصَّرفية	**١٦–٨٠**
أولًا – المشاكلة الصَّوتية	**١٧–٥٨**
المشاكلة الصَّوتية	١٨–٢٠
١–الفواصل القرآنيَّة	٢١–٣١
٢–الإدغام	٣٢–٤٠
٣–الإتباع الحركي	٤٠–٤٨
٤–الإمالة	٤٩–٥٥
٥–صرف الاسم الممنوع من الصَّرف	٥٥–٥٨
ثانيًا: المشاكلة الصَّرفية	**٥٩–٨٠**
المشاكلة الصَّرفية	٦٠
١–العدول في الصِّيغ الفعلية	٦٠–٦٦
٢–العدول إلى المصدر	٦٧–٧٠
٣–العدول من مشتق لآخر	٧٠–٧٧

٤-العدول من الإفراد إلى الجمع وبالعكس	٧٧-٨٠
الفصل الثاني-المشاكلة النَّحوية	**٨١-١٨٣**
أوَّلًا: مفهوم المشاكلة النَّحوية، وأنماطها	**٨٣-٩٠**
ثانيًا: التركيب بين المشاكلة اللفظية والمعنوية	٩١-١٠٤
ثالثًا: وسائل تحقيق المشاكلة	١٠٥-١٣٤
١-التّقدير	١٠٥-١١١
٢-التّقديم والتأخير	١١٢-١١٧
٣-توافق الضمائر فيما تعود عليه	١١٨-١٢٤
٤-الحذف	١٢٤-١٢٨
٥-الزِّيادة	١٢٩-١٣١
٦-تناسب الجمل المتعاطفة من حيث الاسمية والفعلية	١٣١-١٣٤
رابعًا: غايات المشاكلة	١٣٥-١٥٩
١-التَّماسك	١٣٥-١٤٣
٢-الانسجام الدلالي	١٤٣-١٤٨
٣-التَّناسب الإيقاعي	١٤٨-١٤٩
٤-الدلالة على المحذوف	١٤٩-١٥٩
خامسًا: أثر المشاكلة النَّحوية في التَّوجيه النَّحوي	١٥٩-١٦٩
سادسًا: المشاكلة والمفاضلة بين التقديرات	١٦٩-١٧٤
سابعًا: المشاكلة والقراءات القرآنية	١٧٥-١٨٣
الفصل الثالث -المشاكلة الدلالية	**١٨٤-٢٣٥**
أوَّلًا: مفهوم المشاكلة الدلالية وغايتها	١٨٦-١٩٤
ثانيًا: المشاكلة بين الحقيقة والمجاز	١٩٤-١٩٥

ثالثًا: أنواع المشاكلة الدلالية وأنماط تحقيقها في:	١٩٥–٢١٣
١–السِّياق المتّصل	١٩٦–٢٠٣
٢–السِّياق المنفصل	٢٠٣–٢٠٥
٣–السِّياق المقامي	٢٠٥–٢١٣
رابعًا: المشاكلة وانتقال الدلالة:	٢١٣–٢٢٩
١–التّخصيص	٢١٣–٢١٩
٢–التّعميم	٢١٩–٢٢١
٣–التغيير	٢٢١–٢٢٩
خامسًا: المشاكلة وتعدد احتمالات الدلالة	٢٢٩–٢٣٥
الخاتمة	٢٣٦–٢٣٩
المصادر والمراجع	٢٤٠–٢٦٥
الملخص باللغة الإنكليزية	A–B

المُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ:

الحمدُ للهِ الّذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لَمْ يعلم، والصَّلاة والسَّلام على أشرف خلق الله قاطبة، سيد الأولين والآخرين، الذي امتثل لأمر ربّه، فكان خير معلم ومرشدٍ لأمته، وعلى آله المنتجبين إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، إذ قال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(سورة يوسف:٢) ممَّا جعل لغتنا العربية تتميز بميزات من سائر لغات البشر، فأضفى عليها سحرًا وجمالًا في أصواتها ومفرداتها وتراكيبها ودلالاتها، فجعلها تُمتع أُذن كل مَنْ سمع بها وتبهر عقول المتدبرين، ومن الظّواهر المميزة فيها ظاهرة المشاكلة التي تمثل الحس الجمالي والإيقاعي الموسيقي وتحقق أغراضًا دلالية مميزة.

وكُنتُ منذ أمد طويل أنتظر الوقت الذي أهنأ فيه بدراسة تخصُّ القرآن الكريم؛ لأطَّلع على أسرار من كتابه الكريم بدراسة ظاهرة من ظواهر اللغة العربية، فاستجاب لي ربّي فأكرمني بمجالسة هذا الكتاب العظيم، إذ عرض عليّ أُستاذي المشرف الدكتور (شعلان عبد علي سلطان) دراسة المشاكلة اللغوية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي يُعدُّ من أهم التفاسير التي بسطت الظواهر اللغوية في تفسير القرآن الكريم، فقد عُني في تفسيره باللغة عناية ظاهرة، شملت المفردة القرآنية والتراكيب النحوية وتناول الأساليب البلاغية ودلالاتها، فمن هذا الباب ارتأينا أن يكون عنوان رسالتي (المشاكلة اللغوية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت٧٤٥هـ) محاولين تتبع المشاكلة بأنواعها المبثوثة في هذا التفسير ومن أجل التأمل في كتاب الله ونظم تراكيبه وتدبر معاني كلماته، وبيان أثر المشاكلة في ذلك كله.

وبعد جرد مادة البحث وجمعها وتحليلها، قسمت البحث على ثلاثة فصول انسجامًا مع طبيعة المادة المتحصلة لديَّ، سبقت ذلك مقدمة وتمهيد، عرضت في التمهيد (مفهوم المشاكلة)، وتناولت فيه: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمشاكلة، ثمَّ المصطلحات التي تدلُّ على المشاكلة، ثم المشاكلة والتناسب القرآني.

وعرضت في الفصل الأوَّل (المشاكلة الصَّوتية والصَّرفية) الّذي ضمَّ أولًا: المشاكلة الصَّوتية التي انعقدت على الموضوعات الآتية:

١-الفواصل القرآنية. ٢-الإدغام.٣-الإتباع الحركي. ٤-الإمالة. ٥-صرف الممنوع من الصرف.

وثانيًا: المشاكلة الصرفية، وضمَّ الموضوعات الآتية:

١-العدول في الصيغ الفعلية. ٢-العدول إلى المصدر. ٣-العدول من مشتق لآخر. ٤-العدول من الإفراد إلى الجمع وبالعكس.

وعرضت في الفصل الثاني (المشاكلة النحوية) وانعقد على الموضوعات: مفهوم المشاكلة النحوية، وانماطها، التركيب بين المشاكلة اللفظية والمعنوية، وسائل تحقيق المشاكلة، غايات المشاكلة، أثر المشاكلة النحوية في التوجيه النحوي، المشاكلة والمفاضلة بين التقديرات، المشاكلة والقراءات القرآنية.

وعرضت في الفصل الثالث (المشاكلة الدلالية) وفيه الموضوعات الآتية: مفهوم المشاكلة الدلالية وغايتها. المشاكلة بين الحقيقة والمجاز، أنواع المشاكلة الدلالية، وأنماط تحقيقها. المشاكلة وانتقال الدلالة. المشاكلة وتعدد احتمالات الدلالة.

ثم خاتمة أودعتها خلاصة البحث، وما توصلت إليه من نتائج.

أمَّا المصادر التي استعنت بها في كتابة رسالتي فهي كثيرة ومتنوعة من مصادر تفسير، وصوت، وصرف، ونحو، وبلاغة، ومعجم، وقد تكفلت هوامش البحث ببيانها.

أمَّا بالنسبة إلى الدراسات السابقة، فقد عثرتُ على كتابٍ وبحوث منشورة تحمل عنوان المشاكلة، فبعض هذه الدراسات تقترب من موضوعي من جانب، وتبتعد عنه من جانب آخر، أفدت منها في كتابة رسالتي، وأشرت إليها في متن الرسالة، فالكتاب كان بعنوان: المشاكلة في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية، د. علي عبد الخالق كاظم، ٢٠٢١م، وبحث للدكتور ماهر خضير هاشم، بعنوان: المشاكلة في اللغة العربية(صوتيًا وصرفيًا)، منشور في مجلة جامعة بابل/ ٢٠١٠م، هذا البحث تناول المشاكلة في اللغة العربية بشكل عام، وأمَّا بحث الدكتور حسين أحمد بو عباس، بعنوان: المشاكلة النحوية، منشور في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٧م، فقد تناول المشاكلة النحوية بصورة عامة، من

حيث المطابقة بين محددات الكلام من حيث التثنية والجمع والإفراد، والعدد والمعدود، و الاشتغال، والابتداء، إلى آخره، وأمَّا بحث الدكتور إبراهيم بن هادي، بعنوان: المشاكلة التركيبية في البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دراسة نحوية دلالية، منشور في مجلة جامعة طيبة، ١٤٤١هـ، ، فقد تناول نماذج من المشاكلة النحوية والدلالية، وأن كانت رسالتي تتناول جزءًا من الموضوعات التي ذكرها، ولكن كانت رسالتي تتناول المشاكلة بصورة تختلف عنه من حيث طريقة الدراسة، فقد وجدتُ مادة هذه البحوث تختلف عمَّا تناولته في رسالتي، وثانيًا: سلكوا طريقًا آخر غير الطريق الذي سلكته في هذه الرسالة.

ولا بُدَّ في هذا البحث من تقديم شكر وامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور (شعلان عبد علي سلطان) الذي حباني برؤيته الواضحة ونصائحه القيمة، لتسديد خُطاي في البحث، فله الفضل بعد الله تبارك وتعالى في تقويم هذا البحث وتدقيقه، فكان يدقق في كل حرف وكلمة وتركيب وعبارة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأَخيرًا أقدّم هذا البحث لعلّه يخدم كتاب الله عزَّ وجلَّ، فإنْ أحسنت فمن الله تعالى، وإنْ قصرت فمن نفسي التي أعترف بتقصيرها وعجزها، ومن الله تعالى التوفيق والسَّداد، والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الباحثة

التمهيد

مفهوم المشاكلة

المشاكلة في اللغة والاصطلاح: .

١-في اللغة:

المشاكلة: مصدر للفعل الرّباعي (شَاكَل) وفعله الثلاثي (شَكَلَ)، وقد وردت(المشاكلة) في معجمات اللغة بمعانٍ، منها: [١]

أ-المِثلُ أو المُماثلة: قال الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ):" الشَّكْل: المثل، يقال: هذا على شَكل هذا، أي: على مثل هذا، وفلان شكلُ فلان، أي: مثله في حالاته"[٢]، ووضح أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ) أنَّ:" الشِّينُ والكافُ واللَّامُ مُعظم بابِه المماثلةُ. تقول: هذا شَكلُ هذا، أي مِثلُهُ"[٣]

ب-المجانسة: قال الأزهري(ت٣٧٠هـ):" يُقال: هذا يُجانِسُ هذا أي يشاكِلُه"[٤]، ويُقال: "وجانسه أي شاكله واتَّحدَ في جنسه"[٥]

ج-الشبه أو المشابهة: ذكر الأزهري أنَّه يقال:" في فلانٍ شَبهٌ من أبِيه وشّكلٌ وأشكَلَةٌ وشَكلةٌ وشاكلٌ ومشاكلةٌ"[٦]، وهو يُشاكِلُهُ بمعنى يُشابهه.[٧]

---

(١)يُنظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون:٢٠٤/٣ (شكل)، وأساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد نبيل طريفي:٥١٧/١، ومختار الصحاح، الرازي، تح: يوسف السيخ محمد:١٦٨(شكل)، ولسان العرب، ابن منظور:٣٥٦/١١-٣٥٧ (شكل)، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي:١٠١٩(شكل).

(٢)كتاب العين، تح: د. مهدي المخزومي:٢٩٥/٥ (شكل).

(٣)مقاييس اللغة:٢٠٤/٣(شكل).

(٤)تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب:٣١٢/١٠ (جنس).

(٥)المعجم الوسيط:١٤٠/١ (جنس).

(٦)تهذيب اللغة:١٤/١٠ (شكل).

(٧)يُنظر: المصباح المنير، الفيومي:٣٢١/١ (شكل).

د-المُضاهاة: قال الفراهيدي:" المضاهاة: مشاكلةُ الشيءِ الشيءَ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(سورة التوبة:٣٠)"(١)

هـ-المناسبة: يُقالُ: بين الشَّيئين مُناسبةٌ وتناسبٌ: أي مُشاكلةٌ وتَشاكلٌ.(٢)

و-الموافقة: قال الجوهري(ت٣٩٣هـ):" المشاكلة: الموافقة، والتشاكل مثله"(٣)

ووضح الزبيدي(ت١٢٠٥هـ) أنَّ المشاكلة بمعنى الموافقة إذ قال:" والمشاكلة الموافقة، يُقال: هذا أمرٌ لا يُشاكِلُكَ، أي: لا يُوافِقُك، كالتَّشَاكُل"(٤)

قال الراغب الاصفهاني(ت:٥٠٢هـ) عن المشاكلة في القرآن:" المشاكلة في الهيأة والصَّورة، والنَّد في الجنسية، والشَّبه في الكيفيّة، قال تعالى: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾(سورة ص:٥٨)، أي: مثله في الهيأة وتعاطي الفعل،... وأصل المشاكلة من الشَّكل، أي: تقييد الدَّابّة، يُقال: شَكَلْتُ الدَّابة".(٥)

نجد أنَّ المشاكلة في اللغة الّتي هي من مادة (شكل) تدلُّ على المماثلة، والمجانسة، والمشابهة، والمضاهاة، والمناسبة، والموافقة.

---

(١)كتاب العين:٤/٧٠ (ضهي).

(٢)يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي:٤/٢٦٥ (نسب).

(٣)الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار:٥/١٧٣٧(شكل)، ويُنظر: مختار الصحاح:١٦٨(شكل)، والقاموس المحيط:١٠١٩(شكل).

(٤)تاج العروس من جواهر القاموس:٢٩/٢٧٦ (شكل).

(٥)المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداوي:٤٦٢.

٢-في الاصطلاح:

تناول القدماء هذه الظاهرة وجعلوا منها فنًّا بلاغيًا يقصد به:" أنْ تذكرَ الشيءَ بلفظِ غيرِه لوقوعِه في صحبتِه تحقيقًا أو تقديرًا"(١)

وقد وضع أبو الإصبع (ت٦٥٤هـ) للمشاكلة بابًا وعرَّفها بقوله:" وهي أنْ يأتي المتكلمُ في كلامه أو الشاعر في شعره باسمٍ من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعدًا من البيت الواحد، تدلُّ صيغتُه عليه بتشاكلِ إحدى اللفظتين الأخرى في الخطِّ واللفظِ، ومفهومهما مختلفٌ"(٢)

أمَّا المشاكلة اللّغوية بمعناها الواسع التي تشمل المستويات اللغويَّة الأربعة (الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة) فلم أجد لها تعريفًا عند القدماء بحدود اطلاعي.

وقد ورد ما يُشير إليها في كتاب الكليات لأبي بقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) إذ قال عنها:" المشاكلة: هي اتِّفاق الشيئين في الخاصَّة كما أنَّ المشابهة اتفاقهما في الكيفيَّة"(٣)

والمشاكلة هي من الظواهر اللغوية التي تميزت بها لغتنا العربية، وقد ارتبطت بالجانب الدلالي في كتب البلاغة وإعجاز القرآن ولجأ إليها كثير من المفسرين والبلاغيين؛ لتعليل كثير من الظواهر الأسلوبية. ولكن في بحثي هذا سيتسع مفهوم المشاكلة؛ ليعم المستوى الصَّوتي والصَّرفي والنحوي فضلًا عن المستوى الدلالي.

---

(١)مفتاح العلوم، السكاكي:٤٢٤، ويُنظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم:٣/٣٢٢، والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن عصام الدين الحنفي:١/١٠٠.

(٢)تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تح: حفني محمد شرف: ٣٩٣، ويُنظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تح: عصام شقيو:٢/٢٥٣.

(٣)الكليات، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري:٨٤٣.

يمكن تعريف المشاكلة اللغوية بصورة عامة بأنها: هي الخاصية التي يعتمدها النَّصُّ اللغوي في تناسق وتناسب ألفاظه من حيث أصواتها وأبنيتها وتراكيبها ودلالتها؛ ذلك بعدُوله من لفظٍ إلى آخر أو من تركيبٍ إلى آخر؛ وذلك لتحقيق غايات ايقاعية ودلالية.

وقد أشار أبو حيان إلى أثر المشاكلة في الأحكام اللغوية بقوله:" قد يسُوغُ في الكلمةِ مع الاجتماعِ مع ما يُقابلها ما لا يسُوغُ فيها لو انفردتْ"(١) وهذا النَّصُّ يُوضح أثر المشاكلة في اختيار أسلوب دون آخر وترجيح تركيب على غيره.

والمشاكلة هي:" عاملٌ من عوامل الترجيحِ، وسببٌ من أسباب الاستحسانِ، وليست من أسبابِ الوجوبِ والإلزامِ؛ لذلك كانت مراعاتها راجحةً وأولى من عدمِ مراعاتِها، حيث يتحقق بها أمرٌ لفظيٌّ بالإضافة إلى الأمرِ المعنويِّ"(٢)

نلحظ ممَّا سبق أنَّ هنالك علاقة واضحة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمشاكلة، فقوام المشاكلة اللغوية هو مراعاة المماثلة والموافقة في البناء اللغوي للنصّ.

وتشمل المشاكلة اللغوية المستويات الآتية:

١-المشاكلة الصَّوتية: تتحقق في الفواصل القرآنية، والإدغام، والإمالة، والإتباع.

٢-المشاكلة الصَّرفية: وتتحقق في اختيار لفظة ذات صيغة صرفية معينة دون أخرى يمكن أنَّ تحلُّ محلها؛ تحقيقًا للتوافق والانسجام الصيغي بين الألفاظ.

---

(١)البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل:٥٨٨/١.

(٢)ظاهرة المشاكلة في الصرف العربي، إبراهيم جميل:٩، ويُنظر: المشاكلة في الحديث النبوي دراسة لغوية، علي عبد الخالق:١٥.

٣-المشاكلة النَّحوية: وتتحقق في المجاورة، والتقديم والتأخير، والحذف، والتقدير.

٤-المشاكلة الدلالية: وتتمثل بعلاقة اللفظ بالمعنى.

المصطلحات التي تدلُّ على المشاكلة:

عبَّر العلماء من نحويين ومفسرين عن المشاكلة بألفاظٍ مختلفة، فقد وردت بلفظ (المشاكلة، والمناسبة، والمقابلة، والمطابقة، والجوار، والازدواج، الخ) ومشتقات هذه الألفاظ.(١)

وفي حدود اطلاعي على تفسير البحر المحيط وجدتُ أبا حيان قد عبَّر عن المشاكلة بمصطلح المشاكلة نفسها أو أحد مرادفاتها.(٢)، والمناسبة.(٣) والمقابلة.(٤)، والموافقة.(٥)، والمطابقة.(٦)، والجوار.(٧)، والإتباع.(٨)

---

(١)يُنظر: إعراب القرآن، الباقولي، تح: إبراهيم الإيباري:٣٨٠/١، والكشاف، الزمخشري:١٩٦/١، ومفاتيح الغيب، الرازي:٤٦٦/١٢، ومدارك التنزيل حقائق التأويل، النسفي، تح: يوسف علي بديوي:٥١٢/٢، والبحر المحيط:٦٥٦/١،و٤٠٧/٢، والدر المصون، السمين الحلبي، تح: د. أحمد محمد الخراط:٣١٧/١، و٥٩٧/٣، والإتقان:١٨/٣، و٣٤١/٣.

(٢)يُنظر على سبيل التمثيل:٦٥٦/١، و٢/ ٥٣٧، و٤٥/٢.

(٣)يُنظر على سبيل التمثيل: ٢١٣/١، و ٤٠٧/١، و٧١٦/٢، و٣٦٥/١٠.

(٤)يُنظر على سبيل التمثيل:١٩٦/١، و٢٥٠/٢، و٤١٧/٤، و٣٥٤/٧.

(٥)يُنظر على سبيل التمثيل: ٣٤٩/١، و٤١١/١، و١١٣/١٠.

(٦) يُنظر على سبيل التمثيل: ٤٠٧/٢، و٥٢٥/٦، و٥٨٠/٧.

(٧)يُنظر على سبيل التمثيل: ٥٤٤/١، و٣٨٣/٢، و٤٢٣/٦.

(٨)يُنظر على سبيل التمثيل: ٧٥/٢، و٤٩٨/٣، و٣٢٦/٥.

هـذه المصـطلحات التـي ذكرتهـا متقاربـة ومتداخلـة فهـي تـدلُ علـى التوافـق بـين شـيئين فـي مجملهـا، فمصـطلح (المطابقـة) شـاع فـي المدونـة النحويـة للدلالـة علـى الأحكـام النحويـة بـين عناصـر الجملـة كالمبتـدأ والخبـر اللـذين يتطابقـان إفـرادًا أو تثنيـةً أو جمعًـا أو تنكيـرًا، والعـدد والمعـدود، وهكـذا. أمَّـا مصـطلح(المقابلة) فـيلحظ فيـه التنـاظر الشـكلي وهـو قليـل الحضـور فـي المدونـة اللغويـة والتفسـير. أمَّـا مصطلح(المناسـبة) فلعلـه أقـرب وهـو يعنـي: اتصـال شـيء بشـيء لغـة، ولكـن اختـرتُ مصطلح(المشـاكلة) عنوانًـا لرسـالتي؛ لأنَّـه ينضـوي تحتـه كـل مباحـث الرسـالة مـن صـوت وصـرف ونحـو ودلالـة، وفضـلًا عـن أنَّـه مصـطلح شـائع فـي التـراث البلاغـي والتفسير.

كانـت عنايـة أبـي حيـان بالمشـاكلة واضـحة فـي تفسـيره، فالنَّـاظر فيـه يجـده يعتـدُّ بهـا، ويطّبقهـا فـي مواضـع كثيـرة مـن كتابـه، فنجـده يصـرّح فيهـا بموافقـة الموضـع الـذي يتناولـه لآيـة أخـرى، أو لتركيـب آخـر، أو لقـراءة قرآنيـة أخـرى؛ لأجـل التَّشـاكل، وهـذا موجـود فـي مسـتويات جوانـب اللغـة سـواءٌ أ صـوتيًا كـان أم صـرفيًّا أم نحويًّـا أم دلاليًّـا. وهـو يجعـل المشـاكلة وجهًـا مـن وجـوه إعجـازه وبلاغتـه، فهـو يصـفُ الـنَّصُّ القرآنـي بأنَّـه يختلـف عـن كـلام البشـر بقولـه:" إذ كـلامُ اللهِ تعـالى أفصـحُ الكـلام، فـلا يجـوز فيـه جميـع مـا يُجـوَّزه النحـاةُ فـي شـعر الشـماخ، والطرمـاح، وغيرهمـا مـن سـلوك التقـادير البعيدة، والتراكيب القلقة، والمجازات المعقدة"[1]

---

(١)البحر المحيط:١٢/١.

المشاكلة والتناسب القرآني:

المشاكلة اللغوية وجه من وجوه التناسب القرآني الذي يمثل بابًا من أبواب الإعجاز القرآني، فقد تميز القرآن الكريم بدقة سبكه ومتانة أسلوبه وقوة اتصاله، فهو متصل بعضه ببعض كأنه قطعة واحدة، أو عقد منتظم تلاءمت حروفه، وتناسقت كلماته وجمله وآياته، وهذا ما جعله معجزة في تناسبه بين كلماته وآياته وحسن اختيار ألفاظه وتناسق كلماته، وترتيب أجزائه، كل هذا يبين مدى إعجازه في اختيار أساليبه وتراكيبه.(١)

وهناك إشارات كثيرة تُشير إلى روعة تركيب القرآن وتلاؤم جمله وتوازن عباراته وجودة نظمه، منها ما ذكره الخطابي(ت٣٨٨هـ) في أثناء حديثه عن إعجاز القرآن، ووصف كلامه:" بأنَّه لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلًا من نظمه. وأمَّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها... واعلم أن القرآن إنَّما صار معجزًا؛ لأنَّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمنًا أصح المعاني"(٢)

ووصف عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) النَّصَّ القرآني بالتناسب والتلاؤم، فقال:" إنَّهم تأملوه سورة سورة، وعشرًا عشرًا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها،

---

(١)يُنظر: التناسب السياقي في سورة الملك وأثره في الإعجاز القرآني، بحث منشور، إعداد: فيحاء محمود الرفاعي، مجلة كلية اصول الدين و الدعوة بالمنوفية، العدد:٤٠، مصر:١٢٥٧.

(٢)بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام:٢٧.

ولفظة ينكر شأنها، أو يُرى أنَّ غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى، وأخلق، بل وجدوا اتساقًا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظامًا والتئامًا، وإتفاقًا وإحكامًا، لم يدع في نفس بليغ منهم، موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدَّعى وتقول"[١]

ووصف الرازي (ت٦٠٦هـ) القرآن الكريم بانسجامه وتلاؤمه أيضًا، فقال عن سورة البقرة:" ومن تفكر في لطائف نظم هذه السُّورة وفي بدائع ترتيبها علم أنَّ القرآن كما أنَّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته"[٢]

وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) عن فصاحة التركيب القرآني:" قد نسج نظمه نسجًا بالغًا، منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق، واللطائف لفظًا ومعنى، بما يفي بأقصى ما يُراد به بلاغة إلى المرسل إليهم"[٣]

وكان أبو حيان من المفسرين الذين عنوا بالتَّناسب اللَّفظي والمعنوي الذي تميز به النَّظم القرآني عادًا إياه وجهًا من وجوه إعجازه، ومن أقواله التي تُبيَّن انسجام النظم القرآني وتلاؤمه ما قاله في ختام قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(سورة البقرة:١٤١):" كأنَّها جملةٌ واحدةٌ في حُسنِ مساقِها ونَظم اتساقها، ومُرتقيةً في الفصاحة إلى ذروة الإحسان، مُفصحة أنَّ بلاغتها خارجة عن طبع الإنسان، مذكرة قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(سورة الإسراء:٨٨)"[٤]

---

(١)دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر:٣٦.
(٣)مفاتيح الغيب:١٦/٧.
(٣)التحرير والتنوير:٩٣/١.
(٤)البحر المحيط:٦٦٤/١-٦٦٥.

نخلـــص ممـــا تقـــدم أنَّ المشـــاكلة اللغويـــة الّتـــي لحظهـــا المفســـرون فـــي الـــنظم الكـــريم تمثـــل وجهًـــا مـــن أوجـــه الإعجـــاز القرآنـــي فـــي بنيتـــه اللغويـــة، وقـــد حقّق بها مقاصد دلالية فضلًا عن تناسب إيقاعي ونغمي.

الفَصْلُ الأوّلُ

المشاكلة الصّوتيّة والصّرفيّة

أوَّلًا: المشاكلة الصَّوتية:

١-الفواصل القرآنية

٢-الإدغام

٣-الإتباع الحركي

٤-الإمالة

٥-صرف الاسم الممنوع من الصَّرف

أوَّلًا: المشاكلة الصوتية

اتَّسم القرآن الكريم بروعة نظامه المتمثلة في انسجام حروفه وحركاتها وتراكيبه من حيث اللفظ ومن حيث المعنى، وله تأثير على المتلقي فهو يأسر القلوب قبل أنْ يقنع العقول.(١)

والتناسب الصوتي في النَّصِّ القرآني كان وجهًا من وجوه التناسب الذي تميز به القرآن الكريم، فتميز أسلوبه بظواهر جمالية عديدة، منها الإيقاع الموسيقي الذي يعدُّ ظاهرة لغوية وفنية، كان لها صدى كبير في التأثير.(٢)

وتناول علماء العربية التناسب الصَّوتي في النَّصِّ القرآني، وبيَّنوا أهمية هذا الجانب الذي يُبيَّن إعجاز القرآني الكريم، فهو يختار أصواتًا معينة تدلُّ على المعنى المراد، وتحقق التناسق الإيقاعي. ومن الذين أشاروا إلى أهميته الرماني(ت٣٨٤هـ) إذ أشار إليه في أثناء كلامه عن التلاؤم جاعلًا منه ثلاث طبقات، فجاء القرآن الكريم في الطَّبقة العليا، فقال:" والمتلائم في الطَّبقة العليا القرآن كله؛ وذلك بيَّنٌ لمن تأمله. والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى.... والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة"(٣)

---

(١)يُنظر: التناسب في القرآن الكريم ـ نماذج مختارة ـ ، رسالة ماجستير، إعداد: مقدودة زموري و آمال شوكي، جامعة بوضياف، كلية الآداب والأدب العربي، الجزائز،٢٠١٨م:٩٥.

(٢)يُنظر: التناسب البياني في القرآن ،دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد:٢٩٧.

(٣)النكت في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله:٩٥-٩٦.

وأشار الرافعي(ت١٣٥٦هـ) إلى النَّظم القرآني وتآلف حروفه بقوله:" فتألقت كلماته ـــ أي: القرآن الكريم ـــ من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر، لكان ذلك خللًا بينًا، أو ضعفًا ظاهرًا في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حِسِّ السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتَسانُد الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت هُجنة في السمع، كالذي تنكره من كل مَرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تنفق على طبقاتها، وخرج بعضُها طولًا وبعضُها عرضًا، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة"(١)

وبيَّن الزرقاني(ت١٣٦٧هـ) التناسب الصوتي في القرآن الكريم بقوله:" نريد بنظام القرآن اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكناته اتساقًا عجيبًا وائتلافًا رائعًا يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور"(٢)

فالنظم القرآني له سماته الخاصة به من تأليف حروفه وصيغ ألفاظه وتراكيب جمله، فكان التناسب ماثلًا في جميع مستويات اللغة صوتيًا وصرفيًا ونحويًا ودلاليًا، فهو يثير المتلقي له بفضل تناسقه وانسجامه، قال الدكتور فاضل السامرائي:" إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود. كل لفظة بل كل حرف فيه وُضِعَ وضعًا فنيًا مقصودًا، ولم تُراعَ في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل رُوعيَ في هذا الوضع التعبير القرآني كله"(٣)

---

(١)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:١٥٠.

(٢)مناهل العرفان في علوم القرآن:٢/٣٠٩.

(٣)التعبير القرآني:١٠.

وقد عبَّر علماء العربية عن المشاكلة الصوتية بمسميات مختلفة.[١] فعبَّر سيبويه(ت١٨٠هـ) عن المشاكلة بمصطلح (المضارعة، والاتباع).[٢] ، وابن جني(ت٣٩٢هـ) بمصطلح (الإدغام الأصغر).[٣]، وعبَّر عنها ابن فارس بالمحاذاة والمزاوجة.[٤]

فالمشاكلة الصوتية أو التناسب الصوتي مظهر من مظاهر الانسجام الذي يكون بين الأصوات المتجاورة، أو بينها وبين السياق الواردة فيه، فهذه الأصوات تأتي دالةً على معنى يطلبه السياق القرآني، قال أحمد أبو زيد في ذلك:" النظم القرآني يراعي في توزيع الأصوات وتأليفها ما يناسب المعاني والأغراض، ونوع التأثير الذي يريد إثارته في نفوس المخاطبين"[٥]

كان للمفسرين إشارات واضحة إلى هذا النوع من التناسب، ومنهم أبو حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط)، فقد ضمَّ هذا التفسير التفاتات صوتية مهمة لا سيما المشاكلة الصوتية وأبرز الظواهر الصوتية التي كانت تمثل المشاكلة الصوتية، وتناولها أبو حيان في تفسيره هي:

---

(١)يُنظر: المشاكلة في اللغة العربية (صوتيًا وصرفيًا)، بحث منشور، إعداد: ماهر خضير هاشم، مجلة جامعة بابل، المجلد:١٨، العدد:٢:٣.

(٢)يُنظر: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون:٤/٤٧٧-٤٧٨، ٤/١٠٩.

(٣)يُنظر: الخصائص:٢/١٤٣-١٤٥.

(٤)يُنظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:١٧٤.

(٥)التناسب البياني في القرآن الكريم:٣٠٧.

١-الفواصل القرآنية:

تُعدُّ الفاصلة القرآنية تلك النهايات للآيات القرآنية الكريمة، التي هي من أبرز المظاهر الصوتية التي تضفي جمالًا على النص القرآني، فهي ذات قيمة صوتية ودلالية، فضلًا على اتصالها بالجانب النحوي والبلاغي.

وذكر الزَّجاج (ت٣١١هـ) معنى الفاصلة في القرآن الكريم، فقال:" معنى فاصلة رأس آية ليكون النظم على لفظ مُتسق، ويسمِّي أهل اللغة رؤوس الآي الفواصل، وأواخر الأبيات: القوافي"(١)

فهذه إشارة من الزَّجاج إلى أهمية الفاصلة القرآنية، فهي تأتي في نهاية الآية المباركة وتكون مشاكلة لما قبلها ولما بعدها.

وذكر الرماني(ت٣٨٤هـ) تعريفًا للفاصلة بأنَّها:" حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"(٢)

ويعرف محمد الحسناوي الفاصلة بقوله:" توافق أواخر الآي في حروف الرويّ أو في الوزن، مما يَقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس"(٣)

نستخلص من ذلك كله أنَّ الفاصلة في القرآن الكريم هي نهاية الآيات المباركة، وتأتي على نسق منظم يحاكي التشكيل الصوتي للنص الكريم وتوافق المعنى المناسب في الآيات كذلك، الذي قال عنها الرافعي:" وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صوَر تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب"(٤)

---

(١)معاني القرآن وإعرابه:١/١٢١.

(٢)النكت في إعجاز القرآن:٩٧، ويُنظر: إعجاز القرآن، للباقلاني:٢٧٠.

(٣)الفاصلة في القرآن:٢٩

(٤)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:١٥٠

وقسَّم الرَّماني الفواصل القرآنية على قسمين، هي: الفواصل المتجانسة(المتماثلة) في الصفة والمخرج. والفواصل المتقاربة في المخرج أو الصفة.(١)

إنَّ الفاصلة القرآنية ليست لونًا من ألوان الانسجام أو التَّناسب الصَّوتي الذي يحقق موسيقا وتناغمًا مزيدًا فحسب من دون النَّظر إلى المعنى المترتّب، فالقرآن الكريم لا يُفرِّط بالدّلالة من أجل التوافق اللفظي بل الأمران مراعيان. قال أحمد أبو زيد عن ذلك:" إنَّ للكلمة أو الجملة أو المقطع الذي تختم به الآية قيمة خاصة؛ لأنه عنصر يؤدي وظيفة مزدوجة في نظم الآية، فهو من ناحية يتصل بالمعنى ويتممه، ومن ناحية أخرى يتصل بنظام الفواصل وينسقها، ولهذا كان حظه من العناية أكبر "(٢)

وهذا يعني أنَّ الفاصلة القرآنية تؤدي وظيفة لفظية متمثلة بالانسجام والتشاكل الصوتي، ووظيفة معنوية متمثلة بالمعنى المناسب للآية. ومن أجل مراعاة الفاصلة قد يترخص النَّصُّ القرآني في بعض الأصول اللغوية، من حيث التقديم والتأخير، أو الحذف والزيادة، أو العدول من صيغة إلى أخرى ومن المفرد إلى الجمع والمثنى وبالعكس.

وقد أشار أبو حيان في مواضع من تفسيره إلى ما تحققه الفاصلة من مشاكلة صوتية، قد جمعت بين الصوت والمعنى، كما في قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (سورة البقرة:٢٠٧)

---

(١)يُنظر: النكت في إعجاز القرآن:٩٨، والبرهان في علوم القرآن: ٧٢/١-٧٣.

(٢)التناسب البياني في القرآن:٣٥٢.

خُتمت الآية الكريمة بقوله: (بالعباد) وهو اسم ظاهر، وظاهر السياق القرآني أنْ يعبر عنهم بضمير الغائب وهو (بهم أو به)، لكنه عدل عنه إلى الاسم الظاهر، فتحققت مشاكلة صوتية، وهي الفاصلة القرآنية، ومشاكلة صرفية وهي العدول عن ضمير الغائب إلى الاسم الظاهر؛ لغايتين ذكرهما أبو حيان، بقوله:" وحسَّن الالتفات هنا بهذا الاسم الظاهر شيئان: أحدهما: أنَّ لفظ (العباد)، له في استعمال القرآن تشريف واختصاص، كقوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾(سورة الحجر:٤٢)، و ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(سورة الاسراء:١) ... والثاني: مجيء اللفظة فاصلة، لأنَّ قبله : ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (الآية:٢٠٥) ، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(الآية:٢٠٦) فناسب: والله رؤوف بالعباد"[١]

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان وجَّه مجيء الاسم الظاهر وهو (بالعباد) بدلًا من الضمير الغائب؛ لأجل المشاكلة لرؤوس الآيات السابقة واللاحقة لها؛ لأنَّها قد انتهت بالألف والدال، ولغاية معنوية، وهي أنَّ لفظ(العباد) فيه تشريف واختصاص. فالتشاكل الصوتي عند أبي حيان ليس مسوغًا للعدول عن الأصل في الاستعمال إلا مع تحقيق مشاكلة وانسجام دلالي يوفره هذا الاستعمال اللغوي. بل نجده يقدِّم العلة الدلالية على التعليل بتحقيق المشاكلة الصوتية بالفاصلة.

---

(١)البحر المحيط:٢/٣٣٦-٣٣٧.

ونلحظ ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(سورة آل عمران:٤٥) .

خُتمت بقوله: (من المقربين)، جاء مجموعًا ومعطوفًا على قوله (وجيهًا) وهو مفرد من باب العدول عن المفرد إلى الجمع؛ وذلك لمشاكلته لرؤوس آيات السورة المباركة، التي انتهت ب(الواو والنون)، ولغاية معنوية، وهي أنَّ عيسى (عليه السلام) كان من جملة المقربين، فقال أبو حيان في ذلك:" ومن المقربين معطوف على قوله: وجيهًا، وتقديره: ومُقرَّبًا من جملة المقربين"(١)

وقوله:" وجاءت هذه الحال هكذا؛ لأنَّها من الفواصل، فلو جاء: (ومُقربًا) لم تكن فاصلةً، وأيضًا فأعلَمَ تعالى أنَّ عيسى مُقرَّبُ من جملة المُقربين، والتقريب صفةٌ جليلةٌ عظيمةٌ. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلاَ الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (سورة النساء:١٧٢)، وقوله: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(سورة الواقعة:٨٨)، وهو تقريب من الله تعالى بالمكانة والشرف وعلو المنزلة"(٢)

وكذلك تقديم المجرور على عامله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾(سورة الأعراف:٢٠٦) فتقدَّم الجار والمجرور(له) على عامله (يسجدون)؛ لأجل مراعاة فواصل السورة المباركة، ولأجل الاختصاص الذي يعد من أغراض التقديم والتأخير، فالتقديم هنا مؤذن بالاختصاص، وهو تخصيص العبادة بالله سبحانه وتعالى، وفي هذا قال أبو حيان:"وتقديم المجرور يُؤذنُ بالاختصاص

---

(١)البحر المحيط:٣/١٥٥.

(٢)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

أي: لا يسجدون إلَّا له والذي يظهر أنَّه إنَّما قَدَّمَ المجرور لِيقع الفعلُ فاصلةً فأخرهُ لِذلك لِيُناسب ما قبله من رؤوس الآي"[1]

وقد نجده يُشير إلى المشاكلة في الفواصل القرآنية لتحقيق التشاكل الصوتي فيما بينها، كما في قوله تعالى:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾(سورة البقرة:١١٦)، نرى قد ختمت الآية الكريمة بقوله: (قانتون)، وجاء بصيغة جمع؛ وذلك لمراعاة فواصل الآيات السابقة واللاحقة لها، قد ختمت ب (الواو والنون)، نحو: قوله: (يختلفون ـ فيكون ـ يوقنون ـالخ).

هذا ما يخصُّ الناحية الصوتية. أمَّا من الناحية القواعدية، فقوله: (قانتون) خبر ل (كُل)، و(كُل) مفردة لفظًا ولكنها تدلُّ على الجمع، وقد قُطعت عن الإضافة، فيجوز فيها مراعاة اللفظ أو المعنى. ذُكر في كتب النحو أنَّ(كل) اسم مفرد مذكر، ومعناها بحسب ما تضاف إليه، وإذا قُطِعت عن الإضافة، فيجوز فيها مراعاة اللفظ والمعنى، فتُجمع إذا أردت مراعاة المعنى، وتجعلها مفرد إذا أردت مراعاة اللفظ.[2]

وهنا جاءت مراعاة للمعنى، وهذا ما رجَّحه أبو حيان، إذ قال:" وإنَّما حسُنت مراعاة الجمع هنا؛ لأنَّها فاصلة رأس آيةٍ، ولأنَّ الأكثر في لسانهم أنَّه إذا قُطعت عن الإضافة كان مراعاة المعنى أكثر وأحسن، قال تعالى:﴿ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ (سورة الانفال:٥٤)، و ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٣)"[3]

---

(١)البحر المحيط:٥/٢٦٤.

(٢)يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ، تح: د. مازن المبارك(أحكام "كل"):١/٢١٤-٢١٨، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي:٢/٥٩٩-٦٠٠.

(٣)البحر المحيط: ١/٥٨٢، والدر المصون:٢/٨٤.

نلحظ أنَّ القرآن الكريم اختار أسلوبًا من أسلوبين جائزين في العربية من أجل تحقيق المشاكلة. ف(كل) في اللفظ مفرد وفي المعنى جمع، فإذا قال: (قانت) طابق اللفظ، وإذا قال: (قانتون) طابق المبتدأ الخبر المعنى المراد. فنلحظ أنَّ أبا حيان يذكر لنا التراكيب المحتملة التي ترتضيها قواعد اللغة العربية، فهي تجيز الإخبار عن (كل) بالمفرد مطابقة للفظ وبالجمع مطابقة للمعنى المقصود. ثُمَّ يرجِّح أنْ يكون التعبير الأنسب وهو مراعاة المعنى؛ لأجل الفاصلة ويستند إلى الاستقراء لإثبات هذه الأفضلية إذ إنَّ الأكثر إذ قُطِعت (كلّ) عن الإضافة يكون الاخبار عنها بالجمع.

ويُبيّن لنا ابن جني علة الاخبار بالجمع عند القطع عن الإضافة فقال:" ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ (سورة البقرة:١١٦)، فمحمول على المعنى دون اللفظ. وكأنَّه إنَّما حمل عليه هنا؛ لأنَّ (كلا) فيه غير مضافة، فلما لم تضف إلى جماعة عوض من ذلك ذكر الجماعة في الخبر. ألا ترى أنَّه لو قال: وكلّ له قانت لم يكن فيه لفظ الجمع"[١]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾(سورة المرسلات:٣٦).

ختمت الآية المباركة بقوله: (فيعتذرون)، فذكر النحويون والمفسرون في هذا التركيب احتمالين تبيحهما قواعد اللغة وهما:[٢]

---

(١)الخصائص:٣/٣٣٨-٣٣٩.

(٢)يُنظر: علل النحو، ابن الوراق، تح: محمود جاسم محمد درويش:٤٣١، والبحر المحيط: ١/٣٧٩، والدر المصون: ١٠/٦٤٣-٦٤٤، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، تح: عبد الغني الدقر:٣٩١-٣٩٣.

الأول: أنَّ يكون مرفوعًا بالعطف على قوله: (لا يُؤذن)، بمعنى: ليس يُؤذن لهم، ولا يعتذرون، فيكون النفي قد تناول الاعتذار أيضًا.

الثاني: أنَّ يكون منصوبًا، لأنه جواب النفي، فيكون التقدير: لا يؤذن فيعتذروا.

وقد ذكر أبو حيان نحوين من الاستعمال، وقد علل اختيار القرآن الكريم وجه الرفع؛ وذلك لتوخي رؤوس الآيات المباركة وكذلك علل هذا الاختيار؛ لغرض نكتة بلاغية، إذ قال:" فَيَعْتَذِرُونَ: عَطْفٌ عَلَى وَلا يُؤْذَنُ دَاخِلٌ فِي حَيِّزِ نَفْيِ الْإِذْنِ، أَيْ فَلَا إِذْنٌ فَاعْتِذَارٌ، وَلَمْ يَجْعَلِ الِاعْتِذَارَ مُتَسَبِّبًا عَنِ الْإِذْنِ فَيُنْصَبُ"(١)

لذا نجده يعرض رأي ابن عطية(ت٥٤٢هـ) وهو:" وقوله: (فيعتذرون) معطوف على (يؤذن) ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رؤوس الآي، والوجهان جائزان"(٢)

ويردُّ عليه لأنَّه اكتفى بالمشاكلة الصوتية علة لاختيار الرفع وجعل الوجهين متساويين في المقبولية والصحة عليه، قال أبو حيان:" فظهر من كلامه – ابن عطية – استواء الرفع والنصب وأنَّ معناهما واحد، وليس كذلك؛ لأنَّ الرفع كما ذكرنا لا يكون متسببًا بل صريح عطفٍ والنصب يكون فيه متسببًا فافترقا"(٣)

وهذا يعني أنَّ أبا حيان علَّل اختيار العطف على قوله:(لا يؤذن)، بإثبات النون؛ لأجل توخي رؤوس الآيات، فهي قد انتهت بالواو والنون، والمعنى الذي يقتضي ذلك؛ لأن وجه

---

(١)البحر المحيط:١٠/٣٧٩.

(٢)المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد:٥/٤٢٠.

(٣)البحر المحيط:١٠/٣٧٩.

النصب وإنَّ كان ممكنًا تركيبيًا لكنَّه لا ينسجم مع الدلالة التي ينشدها القرآن الكريم.

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ الفراء(ت٢٠٧هـ) ذكر أنَّ علة اختيار الرفع هو لتحقيق الفاصلة ولم يعرج على المعنى، إذ قال:" وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا يُؤذنُ لهم فيعتذرونُ﴾، نويت بالفاء أن يكون نسقًا على ما قبلها، واختير ذلك؛ لأن الآيات بالنون، فلو قيل: فيعتذروا لم يوافق الآيات"(١)

وذكر ابن هشام(ت٧٦١هـ) أنَّ النصب جائز فيه، لكنه لم يقرأ به أحدٌ من القراء المشهورين؛ وذلك لسببين هما:" أَحدهمَا أَن الْقِرَاءَة سنة متبعة وَلَيْسَ كل مَا تجوزه الْعَرَبيَّة تجوز الْقِرَاءَة بِهِ وَالثَّانِي أَن الرّفْع هُنَا بِثُبُوت النُّون فَيحصل بذلك تناسب رُؤُوس الْآي وَالنّصب بحذفها فيزول مَعَه التناسب"(٢)

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾(سورة الشمس:٤)

خُتمت الآية الكريمة بالفعل المضارع (يغشاها)؛لأن فواصل آيات السورة المباركة منتهية بالألف وهاء التأنيث، فأتى بالفعل المضارع دون الماضي؛ لتكون الفاصلة كما هي في الأفعال السابقة (ضحاها- تلاها- بناها)، وفي هذا قال أبو حيان:" ولما كانت الفواصل ترتبت على ألف وهاء المؤنث، أتى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ بالمضارع؛ لأنَّه الذي تَرَتَّب فيه. ولو أتى بالماضي، كالذي قبله وبعده، كان يكون التركيب: إذا غشيها، فتفوت الفاصلة، وهي مقصودة"(٣)

---

(١)معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي:٢٢٦/٣، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تح: أحمد البردوني:١٦٦/١٩.
(٢)شرح شذور الذهب:٣٩٣.

(٣)البحر المحيط: ٤٨٦/١٠، ويُنظر: روح المعاني، الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية: ٣٥٨/١٥.

وفي هذا قال ابن عادل(ت٧٧٥هـ):" وجيء ب (يغشاها) مضارعًا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل؛ إذ لو أتى به ماضيًا لكان التركيب (إذ غشيها)، فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع"[١]

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان:٧٤).

إذ خُتمت الآية المباركة بقوله: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)، عدل النّصّ القرآني من (أئمة) إلى (إمامًا)، وقد ذكر المفسرون في هذا العدول أوجهًا:[٢]

الأول: أنَّ يكون مصدرًا في الأصل، والتقدير: ذوي إمام، فيقال: أمه يؤمه أمًّا وإمامًا، كصوم وصيام، فوحَّد لذلك.

الثاني: أراد الجمع (أئمة)، ولكنه اكتفى بالمفرد؛ لدلالته على الجنس؛ لأنَّ اسم الجنس يجوز إطلاقه على معنى الجمع مجازًا، وكونه مجردًا من قيد الإفراد عدم اللبس، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا﴾(سورة غافر:٦٧).

الثالث: أنَّه جمع ل (آمَّ) التي على وزن (فاعل) بمعنى: قصد، فجمع على وزن (فِعَال) كصاحب وصحاب، فأُدغم الميم معذ الميم للتماثل، وجمعه (إمام) بكسر الهمزة، ومؤنثه (آمة وإمام) كقلادة وقلاد، فيكون المعنى: قاصدين لهم مقتدين بهم. وهو اختيار الأخفش(ت٢١٥هـ).[٣]

---

(١)اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود: ٣٥٩/٢٠، ويُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب القنوجي: ٢٥٣/١٥، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشافعي، :٥٥/٣٢.

(٢)يُنظر: الكشاف:٢٩٦/٣، والتبيان في إعراب القرآن، العكبري، تح: علي محمد البجاوي :٩٩٢/٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي:١٣٢/٤، والبحر المحيط: ١٣٣/٨-١٣٤، والدر المصون:٥٠٦/٨، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش، تح: علي محمد فاخر:٤٧٨٩/٩.

(٣)معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة:٤٦٠/٢.

الرابع: أنه أراد معنى الجمع، أي: واجعل كل واحد منا إمامًا، كقوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾(سورة النور:٤).

الخامس: أنه أراد: واجعلنا واحدًا لاتحادنا واتفاق كلمتنا، والمعنى: واجعلنا أئمة يقتدي بها المتقون، أي: اجعلنا من أهل الصلاح والعلم بدينك، والقيام به بحيث يقتدي بنا المتقون من عبادك.

وكل هذه الأوجه التي ذكرها المفسرون سلكوا فيها سُبلًا مختلفة من التأويل لِيُبينوا كيف جاز الإتيان بالمفرد بدلًا من الجمع في سياق ظاهره يتطلب المفرد أي:(أئمة) وليس(إمامًا)، فكانت المشاكلة الصوتية والصرفية إحدى السُبل التي وجّه المفسرون فيها العدول، وهي تؤخي رؤوس الآيات؛ لأنَّ الآيات السَّابقة قد انتهت بألف منونة، وكذلك فهو لا يكتفي بالفاصلة مسوغًا لهذا العدول بل يدعم ذلك بما يسنده من قواعد تجوِّز ذلك، فقال:" وأفرد إمامًا إمَّا اكتفاء بالواحد عن الجمع، وحسنه كونه فاصلة، ويدل على الجنس ولا لبس، وإمَّا لأن المعنى واجعل كل واحد إمامًا"[١]

وقال القاسمي(ت١٣٣٢هـ) في هذا الصدد:" وقوله تعالى: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) أي أئمة، اكتفى بالواحد لدلالته على الجنس، مع رعاية الفواصل. أي: يقتدى بنا في الخير. أو هداة دعاة إلى الخير"[٢]

---

(١)البحر المحيط: ١٣٣/٨-١٣٤، ويُنظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٧٦/١٤-٥٧٧.

(٢)محاسن التأويل، تح: محمد فؤاد عبد الباقي:٤٤٥/٧

وقال عبد القادر العاني(ت١٣٩٨هـ):" وإمام يستعمل مفردًا وجمعًا واختير على أئمة المطابق لما قبله لكونه أوفق للفواصل التي قبله وبعده، والمراد هنا الجمع رعاية لمفعول جعل"(١)

وإذا كان أبو حيان حاول تسويغ جعل المفعول مفردًا بحسب ما توافر له من أسباب وعلل نحوية، فإنَّ بعض المفسرين لجأ إلى بيان الدلالة المترتبة على استعمال(إمامًا) بدلًا من (أئمة). قال الشعراوي(ت١٤١٨هـ) إنهم:" قالوا: لأنه تعالى يُنَبِّهنا إلى أنَّ الإمام هو الذي يسير على وفق منهج الله ولا يحيد عنه؛ لذلك إن تعددت الأئمة فهُمْ جميعًا في حكم إمام واحد؛ لأنهم يصدرون عن ربٍّ واحدٍ، وعن منهج واحد لا تحكمهم الأهواء فتُفرقهم كالأمراء مثلًا. فجمعهم في القول من كل منهم على حدة ووحدهم في الإمامة"(٢)

نخلص ممَّا سبق أنَّ أبا حيان لجأ إلى المشاكلة الصوتية المتحققة في الفاصلة القرآنية جاعلًا إياها علة للتعبير القرآني في عدوله من تركيب إلى آخر أو في اختيار استعمال جائز من بين أكثر من استعمال تبيحه قواعد اللغة أو في ترجيح قراءة على أخرى. ولكن في كل ذلك لم يكن يغفل المناسبة الدلالية المتحققة بل نجده ـــ غالبًا ـــ ما يقدم العلة المعنوية على المشاكلة الصوتية ويبدأ بها سببًا لذلك. ولا يرتضي أنْ تكون المشاكلة الصوتية وحدها هي المسوغ لذلك، بل يرافقها ويتقدم عليها أمر معنوي اقتضى ذلك.

---

(١)بيان المعاني:١٠٥/٢

(٢)تفسير الشعراوي:١٠٥٢٤/١٧

٢ -الإدغام:

ظاهرة من ظواهر المماثلة في اللغة العربية، فهو عبارة عن تجاور صوتين في عملية النطق يتأثر أحدهما في الآخر، ويختلف هذا التأثر، فقد يكون تأثُّراَ تامًا عندما يكون الصوتان متماثلين في الصفة والمخرج، وقد يكون التأثر جزئيًا عندما يكون الصوتان متقاربين في الصفة والمخرج، وقد اهتم علماء العربية من نحويين وصرفيين وقُرَّاء ومفسرين بدراسة هذه الظاهرة.(١)

قال عنه ابن السراج(ت٣١٦هـ):" هَو وصلُكَ حرفًا ساكنًا بحرفٍ مثلهِ مِنْ موضعهِ مِنْ غيرِ حركةٍ تفصلُ بينَهما ولا وقف فيصيرانِ بتداخلِهما كحرفٍ واحدٍ ترفعُ اللسانَ عَنهما رفعةً واحدةً ويشتدُّ الحرفُ"(٢)

وعرَّفه ابن جني بقوله:" هو تقريب صوت من صوت، وهو في الكلام على ضربين: أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأول في الآخر. والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه"(٣)

وعرَّفه أبو حيان بقوله:" رفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة، والوضع بهما موضعًا واحدًا، إذا التقى المثلان في كلمة، والأول ساكن وكانا همزتين، والأولى تلي الفاء"(٤)

---

(١)يُنظر: في البحث الصوتي عند العرب ،خليل إبراهيم العطية:٨٠-٨١.

(٢)الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي:٤٠٥/٣، ويُنظر: شرح المفصل، ابن يعيش، تح: د. إميل بديع يعقوب:٥١٢/٥.

(٣)الخصائص:١٤١/٢ -١٤٢.

(٤)ارتشاف الضرب من لسان العرب:٣٣٧/١.

والهدف من ظاهرة الإدغام هو الانسجام والتشاكل الصوتي؛ لأنَّ الحرف المدغم يلتقي مع الحرف المدغم فيه ليحصل تشاكل وانسجام بين الصوتين المدغمين سواء كانا في كلمة واحدة أو في كلمتين، وهذا ما يؤكده قول العلماء من أنَّ فائدة الإدغام هي التخفيف أو تقليل الجهد على أعضاء النطق في أثناء النطق بها، كما قال سيبويه:" يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد، ... ، وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودا له، فلما صار ذلك تعبًا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلةٌ، كرهوه وادغموا، لتكون رفعة واحدة، وكان أخفَّ على ألسنتهم"(١)

ففائدة الإدغام هي تقليل الثقل في نطق الحرفين المتماثلين أو المتقاربين صفة أو مخرجًا، ومما يؤدي إلى الانسجام الصوتي بين الحرفين المدغمين:" وذلك تيسيرًا لعميلة النطق واقتصادًا في الجهد العضلي؛ لأنَّ الانسجام الصوتي يتطلبه أن تتسق الأصوات بعضها مع بعض بحيث إذا تجاور صوتان متنافران يؤدي نطقهما إلى حدوث ثقل، فلا بُدَّ من تغيير أحدهما ليسهل نطق الكلمة فمن العسير على اللسان أن ينطق بصوتين متجاورين، وهما من طبيعتين مختلفتي النطق؛ لما في ذلك من جهد على أعضاء النطق"(٢)

---

(١)الكتاب:٤/٤١٧.

(٢)أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال:٢٣٠، وينظر: الاتساق الصوتي في البحر المحيط، بحث منشور، إعداد: الزهرة يعقوب، مجلة العربية، المجلد:٦، العدد:١، الجزائر،٢٠١٩: ١٥٨.

فلما لهذه الظاهرة من أهمية عُني بها العلماء قديمًا وحديثًا، ولا سيَّما فيما يتعلق بالقراءات القرآنية؛ وذلك لارتباطها بالأداء النطقي الصحيح للنص القرآني، واللهجات العربية إذ تختلف القبائل في تأثرها بالإدغام:" والإدغام ظاهرة صوتية تحدث كثيرًا في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات، ومزجها بعضها ببعض، فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به ... أمَّا البيئة الحجازية، فقد كانت بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبيًا، فيها يميل الناس إلى التأني في النطق، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها"[١]

يقسم الإدغام على قسمين: الأول: إدغام المتماثلين وهو إدغام حرفين متفقين في المخرج والصفة. والثاني: إدغام المتقاربين وهو إدغام حرفين متقاربين في المخرج أو في الصفة.[٢]

وقد تناول أبو حيان هذه الظاهرة في عرضه للقراءات القرآنية سواءٌ أ متواتر القراءات أم شاذها، وبيَّن أنَّ الإدغام آلية اتساقية تساهم في خلق نوع من التشاكل الصوتي للكلمة أو في الكلام بشكل عام.

فمن أمثلة إدغام المتماثلين، إدغام الراء في الراء الذي قال عنه ابن يعيش(ت٦٤٣هـ):" اعلم أنّ الراء تدغم في مثلها؛ لأنّ مَعْدِنهما واحد، وجَرْسهما واحد، كقولك: "اذْكُر رَّاشِدًا" ولا تدغم الراء إلّا في مثلها، ولا تدغم في غيرها؛ لئلّا يذهب التكريرُ الذي فيها بالإدغام"[٣]

---

(١)في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس:٦٣.

(٢)يُنظر: النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع:٢٧٨/١.

(٣)شرح المفصل:٥٤٤/٥.

وفي قوله تعالى: ﴿لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾(سورة البقرة:٢٣٣)

ذكر أبو حيان أن في قوله: (لا تُضارَّ) قراءتين: الأولى: بإدغام الراء في الراء، والأخرى بفك الإدغام، فقال في الاولى:" لا تُضارُّ: بالرفع أي: برفع الراء المشددة، ... ولا تُضارَّ: بفتح الراء جعلوه نهيًا، فسكنت الراء الأخيرة للجزم، وسُكنت الراء الأولى للإدغام، فالتقى ساكنان فحُرك الأخير منهما بالفتح، لموافقة الألف التي قبل الراء، لتجانس الألف والفتحة"(١)

نلحظ في النَّصِّ أنَّ المشاكلة الصوتية التي تحققت بين الحرفين الأخيرين في كلمة(تضار) أدى إلى إدغامهما، ولكن حُرِّك الحرف الأخير بالفتح مع أن حقه السكون منعًا من التقاء ساكنين. واختيرت الفتحة هنا امتثالًا لظاهرة المشاكلة الصوتية أيضًا؛ لأن الفتحة توافق الألف التي قبل الراء.

وذكر القراءة الأخرى وهي بفك الإدغام فقال:" رُوي عن ابن عباس: (لا تُضارِرْ)، بفك الإدغام وكسر الراء الأولى وسكون الثانية، وقرأ ابن مسعود: (لا تُضارَرْ) بفك الإدغام أيضًا وفتح الراء الأولى وسكون الثانية، قيل: ورواها أبان عن عاصم. والإظهار في نحو هذين المثلين لغة الحجاز "(٢)

---

(١)البحر المحيط:٥٠٢/٢، ويُنظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، عبد العال سالم مكرم:٩٧، وحجة القراءات، ابن زنجلة، تح: سعيد الأفغاني:١٣٦.

(٢)البحر المحيط:٥٠٢/٢، ويُنظر: الحجة في القراءات السبع:٩٧.

بـــيَّن فـــي هـــذين القـــولين أنَّ الإدغـــام (تُضـــارُّ، تُضـــارَّ) هـــي لغـــة أهـــل تميم، وفك الإدغام(تُضارِرْ، تُضارَرْ) هي لغة أهل الحجاز.

وأشـــار أبـــو حيـــان إلـــى إدغـــام اليـــاء فـــي اليـــاء فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿وَيَحْيَـــى مَـــنْ حَـــيَّ عَـــن بَيِّنَـــةٍ وَإِنَّ اللَّـــهَ لَسَـــمِيعٌ عَلِـــيمٌ ﴾(ســـورة الانفـــال:٤٢)، بقولـــه:" وقـــرأ نـــافع والبـــزي وأبـــو بكـــر: (مـــن حيِـــيَ) بالفـــك، وبـــاقي الســـبعة: (مـــن حـــيَّ) بالإدغـــام وقـــال المـــتلمس: فهـــذا أوان العـــرض حـــيٌّ ذبابُـــهُ، والفـــك والإدغـــام لغتان مشهورتان"(١)

فالمشـــاكلة الصـــوتية تتمثـــل فـــي قولـــه: (حـــيَّ)، بإدغـــام حـــرفين متمـــاثلين فـــي الصـــفة والمخـــرج وهـــو حـــرف (اليـــاء)، فقـــد أُبـــيح هـــذا الإدغـــام علـــى لغـــة مـــن لغـــات العـــرب، وإلـــى جانـــب ذلـــك فـــك الإدغـــام علـــى لغـــة أخـــرى فيقولـــون: (حيـــي)، فنجد أبا حيان قد اتخذ موقفًا وسطًا، وهو بجواز الإدغام والإظهار.

وبـــيَّن ابـــن خالويـــه حجـــة مـــن قـــرأ بالإدغـــام ومـــن قـــرأ بالإظهـــار فقـــال:" قولـــه تعـــالى: ﴿وَيَحْيـــى مَـــنْ حَـــيَّ﴾. يقـــرأ بيـــاءين: الأولـــى مكســـورة والثانيـــة مفتوحـــة، وبيـــاء واحـــدة شـــديدة مفتوحـــة. فالحجَّـــة لمـــن قـــرأه بيـــاءين: أنَّـــه أتـــى بـــه علـــى الأصـــل، ومـــا أوجبـــه بنـــاء الفعـــل. والحجـــة لمـــن أدغـــم: أنَّـــه اســـتثقل اجتماع ياءين متحركتين، فأسكن الأولى، وأدغمها في الثانية"(٢)

---

(١)البحـــر المحـــيط:٣٢٩/٥، ويُنظـــر: النشـــر فـــي القـــراءات العشـــر:٢٧٦/٢. ويُنظـــر: البيـــت الشـــعري للشـــاعر المـــتلمس الضـــبعي المـــذكور في(ديـــوان شـــعر المـــتلمس الضـــبعي روايـــة الأرم و أبـــي عبيـــدة عـــن الأصمعي): ١٢٣، وهو:

وذاك أوان العرضِ حيٌّ ذُبابُهُ زنابيرهُ والأزرقُ المتلمسُ.

(٢)الحجة في القراءات السبع:١٧١.

نلحظ أنَّ الفعل (حيَّ) معتل العين واللام بالياء، فكانت الأولى متحركة، والثانية أمَّا متحركة حركة إعراب أو حركة بناء، فإذا كانت حركتها حركة إعراب (كالفعل المضارع) فلا تدغم؛ لأنَّ الإعراب عارض يزول في حالة الرفع والجزم فيُسكن الحرف، وإنَّ كانت حركتها حركة بناء (كالفعل الماضي) تكون حركته لازمة، فلا يخلو أنَّ تكون متطرفة أو غير متطرفة، فإنَّ كانت متطرفة جاز فيها الإظهار والإدغام، نحو: أُحيِيَ وأُحيَّ، وحيِيَ وحيَّ، كما هنا في الآية المباركة، فقُرأ بالإدغام وعلة من أَدغم أنَّ الفعل حركته لازمة، ومن قرأ بالإظهار؛ وعلة ذلك أنَّ هذه الياء من (حيي) هي ياء ساكنة في (يحيا) التي قُلبت الفًا.(١)، فيُقرأ الفعل بالإظهار؛ لمشاكلته الفعل المضارع في عدم الإدغام، وهو على الأصل، وهو رأي الفراء ،إذ قال:" وإنَّما أدغموا الياء مع الياء وَكَانَ ينبغي لَهم ألا يفعلوا؛ لأن الياء الآخرة لزمها النصب فِي فَعَلَ، فأدغموا لَما التقى حرفان متحركان من جنس واحد. ويَجوز الإدغام فِي الاثنين للحركة اللازمة للياء الآخرة، فتقول للرجلين: قد حَيّا، وحَيِيا. وينبغي للجمع ألا يدغم؛ لأنّ ياءه يصيبها الرفع وما قبلها مكسور، فينبغي لَهَا أن تسكن فتسقط بواو الجمع. وربما أظهرت العرب الإدغام فِي الجمع إرادة تأليف الأفعال وأنْ تكون كلها مشدّدة. فقالوا فِي حَيِيت حَيُّوا، وَفِي عيِيت عَيُّوا"(٢)

بينما رأى الخليل وسيبويه جواز الإدغام والإظهار، وحجة ذلك هي:" يجوز الإدغام والإظهار إذا كانت الحركة في الثاني لازمة فأمَّا من أدغم فلاجتماع الحرفين من جنس واحد كما تقول: عيي بالأمر يعيا ثم تقول عيَّ بالأمر، وأمَّا من أظهر

---

(١)يُنظر: معاني القرآن، الفراء:١/٣٥٠، والمقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة:١/١٨١-١٨٢، والممتع الكبير في التصريف:٣٦٥.

(٢)معاني القرآن:١/٤١١-٤١٢.

فلأن الحرف الثاني ينتقل عن لفظ الياء تقول: حيي يحيا والمحيا والممات فلهذا جاز الإظهار"[١]

ومن أمثلة إدغام المتقاربين، ما ذكره أبو حيان من إدغام التاء في الزاي في قوله تعالى:﴿حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(سورة يونس:٢٤).

إذ قال:" وقرأ الجمهور: وازَّيَّنَتْ وأصله: وتَزَيَّنَتْ، فأدغمت التاء في الزاي، فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاي عند الإدغام"[٢]

فالمشاكلة الصوتية تتمثل في قوله: (ازَّيَّنَتْ) الذي أصله: (تزينت) فحدث إدغام حرف التاء في الزاي، فهما حرفان متقاربان في المخرج، فهما من أصوات أطراف اللسان، فمخرج التاء ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، ومخرج الزاي ما بين الثنايا وطرف اللسان، فهذا التشاكل في المخرج أدى إلى قلب التاء زايًا ساكنة وإدغامها بالزاي مع جلب همزة وصل؛ لأن العربية لا تبدأ بساكن.[٣]

وهذا ما ذكره سيبويه بقوله:" فإن وقع حرفٌ مع ما هو من مُخْرَجه أو قريبٌ من مُخْرجه مبتدأ أُدغم وألحقوا الألف الخفيفة؛ لأنهم لا يستطيعون أن يبتدئوا بساكن"[٤]

---

(١)معاني القرآن وإعرابه، الزجاج:٤١٨/٢، ويُنظر: حجة القراءات:٣١١.

(١)البحر المحيط:٣٨/٦، ويُنظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج:١٥/٣، والمحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عليها، ابن جني:٦١/١.

(٣)يُنظر:الكتاب:٤٣٣/٤، وشرح المفصل:٥١٦/٥، والنشر في القراءات العشر:١٦٠/١.

(٤)الكتاب:٤٧٥/٤.

وكذلك حرف الزاي من أصوات الصَّفير الذي تجعله اقوى من حرف التاء مما ساعد على الإدغام؛ لأنَّ الزاي حرف قوي لما فيه من جهر وصفير، مما يجعل الإدغام أحسن؛ لأنَّ تنقل التاء بالإدغام من الضعف إلى القوة.(١)

ومن ذلك أيضًا ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾(سورة يوسف:٤٥).

إذ قال:" وادَّكر أي: تَذَكَّرَ ما سَبقَ له مع يُوسف بعد أُمَّة أي: مُدَّةٍ طويلةٍ. والجملة من قوله: وادَّكر حالية، وأصله: واذْتكر أُبدلت التاء دالًا وأُدغمت الذال فيها فصار: ادَّكر، وهي قراءة الجمهور. وقرأ الحسن: واذَّكر بإبدال التاء ذالًا وإدغام الذال فيها"(٢)

فالمشاكلة الصَّوتية حدثت في قوله: (ادَّكر أو اذَّكر)، فهذا الفعل على صيغة (اِفْتَعَلَ)،فيه إدغام حرفين متتاليين متحدين في المخرج ومختلفين في بعض الصفات، إذ جاز فيه وجهان: الأول: وهو أنَّ يكون أصل الفعل: اذتكر بذال معجمة مجهورة والتاء مهموسة، فلم يجز إدغام التاء في الذال؛ لما فيه من الجهر، فتقلب التاء إلى دالٍ؛ لتقاربهما في الصفة وهي صفة الشدة، والدال صوت مجهور مع الذال المجهورة أيضًا فصار الفعل (اذدكر) ثم أُدغموا الدال في الذال فأصبح(ادَّكر)، والذي سهل هذا الإدغام أنَّهما من مخرج واحد وهو من أطراف اللسان؛ إذ مخرج الذال ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ومخرج التاء ما بين طرف اللسان وأصول

---

(١)يُنظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: د. محيي الدين رمضان:١/١٥١،١٥٠.

(٢)البحر المحيط:٦/٢٨٤، ويُنظر: معاني القرآن وإعرابه:٣/١١٣،والدر المصون:٦/٥٠٧.

الثنايا العليا. والثاني: وهو أنَّ يكون أصل الفعل (ادتكر) بدال معجمة، وهي صوت مجهور والتاء صوت مهموس، فلم يجز إدغام التاء في الدال؛ لاختلافهما في الصفات، فقُلبت التاء دالًا وأُدغمت في الدال الأولى فأصبح (ادَّكر)، وهذا الإدغام أقوى من الأول. وقد قُرئ بإبدال التاء ذالًا وإدغامها مع الذال فأصبح الفعل(اذَّكر)، وهذا الإدغام ضعيف، لاختلاف الحرفين في الصفات؛ لأن الذال حرف مجهور ورخو، والتاء حرف شديد ومهموس، فالإظهار فيهما أحسن، فالإدغام كان الغرض منه الخفة والسهولة في النطق.(١)

نستخلص مما سبق أنَّ الإدغام مشاكلة صوتية غايتها التخفيف والسهولة في النطق لتحقيق الانسجام الصوتي في بنية الكلمة أو في كلمتين، وقد تعرض أبو حيان له من خلال تعرضه للقراءات القرآنية متواترها وشاذها وفي ظل اللهجات العربية واختلافها فيه.

٣-الإتباع الحركي:

يُعد من الظواهر التي امتازت بها لغتنا العربية، وهذه الظاهرة تحدث في جميع مستويات اللغة في المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي. وقد تناولها علماء العربية قديمًا وحديثًا، ابتداءً بسيبويه إذ قال:" وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(سورة يونس:١٠١)، فضموا الساكن حيث حركوه كما ضموا الألف في الابتداء. وكرهوا الكسر ههنا كما كرهوه في الألف، فخالفت سائر السواكن كما خالفت الألف سائر الألفات، يعني ألفات الوصل. وقد كسر قومٌ فقالوا: " قلِ انْظُرُوا " وأجروه على الباب الأول، ولم يجعلوها كالألف،

---

(١)يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٣-٤٣٤ و٤٦١، والأصول في النحو:٣/٣٧١، وإعراب القرآن، النحاس:٢/٢٠٤، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها :١٤٩، والتبيان في إعراب القرآن:٢/٧٣٤، والجامع لأحكام القرآن:٩/٢٠٢

ولكنهم جعلوها كآخر جَيْرِ، ... ، وهذا كله عربي قد قرئ به"[1]، وقوله:" فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً كذلك كسروا هذه الهاء، وقلبوا الواو ياءً، لأنه لا تثبت واوٌ ساكنة وقبلها كسرة. فالكسرة ههنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها نحو: كلابٍ وعابدٍ"[2] ومن بعده الفراء الذي قال:" كما جمعوا ظُلمة ظلمات. فرفعوا ثانيها إتباعًا لرفعة أولها"[3]، والنحاس(ت٣٣٨هـ).[4]، وأبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ).[5]، وابن جني تناولها تحت باب الإدغام الأصغر.[6]، وأبو بركات الانباري(ت٥٧٧هـ).[7]، وسار على هذا النهج من جاء بعدهم. وأُطلق عليها عند المحدثين لفظ التوافق الحركي أو الانسجام بين الحركات أو انسجام أصوات اللين.[8]

فهذه الظاهرة هي عبارة عن تماثل حركة لحركة أخرى تجاورها سواء كانت واقعة قبلها أو بعدها، مماثلة تامة، لغرض إحداث نوع من التشاكل والانسجام الصوتي؛ لتسهيل عملية النطق بها. وقد يحدث تأثير لحركة الحرف المتأخر للمتقدم، أو العكس.[9]

---

(١)الكتاب:٤/١٥٢-١٥٣.

(٢)المصدر نفسه:٤/١٩٥.

(٣)معاني القرآن:٢/٣٣٠. (ظلمات) في سورة الزمر:٦ ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾

(٤)إعراب القرآن:٢/٦٦.

(٥)الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي:١/١٠٠.

(٦)الخصائص:٢/٣٣٨، والمحتسب:١/٣٧.

(٧)أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار:٢٨٢.

(٨)يُنظر: في اللهجات العربية:٨٦، والصوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجم، محمد محمد داود:٤٠.

(٩)يُنظر: الإتباع فيما ليس بإعراب في العربية، بحث منشور، أحمد محمد عبد العزيز، مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، العدد:٥، ١٤٣١هـ:٧٨.

يُعدُّ ظاهرة لهجية، وتختلف القبائل في درجة الميل إلى هذا الإتباع اختلافًا متباينًا؛ وذلك بحسب الأداء النطقي لها، فبعضها تجنح إلى نطق أصوات الكلمة نطقًا متأنيًا، مما يسمح لها بالانتقال من الضم إلى الكسر أو الفتح وبالعكس في أصوات المد المتوالية، من غير أن يشعر المتكلم بثقل في أثناء نطقه لها، وبعضها الآخر نجده يميل إلى الإتباع والمجانسة في نطق الأصوات؛ كيلا يثقل عليها الانتقال من موضع إلى آخر بعيد، فالإتباع نجده في القبائل البدوية التي تمثلها قبيلة تميم، و عدم الإتباع نجده في القبائل الحجازية.(١)

وهذه الظاهرة تناولها أبو حيان في أثناء تعرضه للقراءات القرآنية في تفسيره، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(سورة الفاتحة:٢).

وقعت المشاكلة في هذه الآية المباركة في قوله: (الحمد لله)، إذ ورد فيها قراءتان في الاتباع: (٢)

الأولى: قراءة الحسن البصري، وزيد بن علي (عليه السلام)، وهي إتباع حركة الدال من (الحمدُ) لكسرة اللام من (لِله)، أي: بكسر الدال واللام معًا. وهذه القراءة من مظاهر إتباع حركة الحرف المتقدم لحركة الحرف المتأخر، وهو الإتباع البعدي.

الثانية: قراءة إبراهيم بن أبي عبلة، قرأ بضم الدَّال واللام معًا، أي: (الحمدُ لُله)، وهنا يكون الإتباع قبليًا.

---

(١)يُنظر: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي:١٨٣.

(٢)يُنظر: المحتسب:٣٧/١، والابانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي: ١٢٠، والكشاف: ١٠/١، والمحرر الوجيز: ٢٦٦/١، والتبيان في إعراب القرآن :٥٠/١، والبحر المحيط:٣٣/١.

في قراءة إبراهيم، اتبعوا حركة بناء حرف اللام في (لله) لحركة إعراب الدَّال في (الحمدُ).[1]

ففي القراءتين جنح القارئ إلى السهولة واليسر بالنطق، وتجاوز الثقل بالانتقال من الضم إلى الكسر أو العكس. بتوحيد الحركتين ضمًا أو كسرًا، وعلى الرغم من أنَّ المشاكلة هنا صوتية لفظية، لكنا لا نعدم تعليلًا دلاليًا لجأ إليه أبو حيان لاستحسان قراءة على أخرى، إذ استحسن أبو حيان قراءة الرفع بقوله: " وقراءة الرفع أمكن في المعنى ولهذا أجمع عليها السبعة ــ القراء السبعة ــ لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى، فيكون قد أخبر بأن الحمد مستقر لله تعالى، أي: حمده وحمد غيره"[2]

فترجيح أبي حيان لقراءة الرفع على القراءة الأخرى، لدلالة الرفع على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى، فهذا الحمد مستحق لله عزَّ وجلَّ بحسب ذاته وبحسب افعاله سواء حمدوه أو لم يحمدوه، وهذا الفعل مأمور به، كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ سَلامًا قَالَ سَلامٌ ﴾(سورة هود من الآية:٦٩) برفع (السلام) الثاني للدلالة على أنَّ إبراهيم (عليه السلام) حياهم بتحية أحسن من تحيتهم؛ وامتثالًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾(سورة النساء:٨٦)؛ لأنَّ الرفع دالٌّ على معنى ثبات السلام لهم دون تجدُده وحدوثه، فكان المعنى هنا: نحمد الله حمدًا، ولذلك جاء بعده قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(سورة الفاتحة:٥)؛ لأنه بيان لحمدهم له، فكأنَّه قيل: كيف تحمدون؟ فقيل: إياك نعبد.[3]

---

(١)يُنظر: معاني القرآن:٣/١، والمحتسب:٣٧/١، والتبيان في إعراب القرآن:٥/١، والدر المصون:٤٢/١.

(٢)البحر المحيط:٣٤/١.

(٣)يُنظر:الكشاف:٢٩/١، ومفاتيح الغيب:١٩٠/١ و١٩٦، والدر المصون:٤٠/١.

وهذا الاتباع قد خُصَّ بهذه الكلمة (التي يطلق عليها مجازيًا بالكلمة)؛ لأنَّ هذه الكلمة (الحمد لله) قد كَثُرتْ على ألسنة المسلمين حتّى صارت كالاسم الواحد، وشاع استعمالها، إذ استثقل عليهم في النُّطق أنْ يجتمع في اسم واحد ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة، فلهذا اتبعوا احد الصوتين الآخر فجعلوها ضمتين؛ ليكون أسهل في النطق.(١)

وبيَّن الفراء العلَّة في اختيار قراءة الرفع، بقوله:" إنَّهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان مثل: الحُلُم والعُقُب"(٢)

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(سورة آل عمران:١٨٣).

وقعت المشاكلة في هذه الآية المباركة في قوله: (بقُرْبان)، إذ قُرئت: (بقُرُبان) بضم القاف والراء، فحدث إتباع حركة الحرف المتأخر(الراء) لحركة الحرف المتقدم(القاف)، وهذه القراءة رويت عن عيسى بن عمر، أنَّه كان يقرأ بضم القاف والراء معًا، قال أبو حيان في ذلك:" وقرأ عيسى بن عمر: بقُرُبان بضم الراء"(٣)

وقال ابن جني عن هذا الإتباع:" ومن ذلك ما رواه روح عن أحمد عن عيسى أنَّه كان يقرأ: (بقُرُبان)بضم الراء. ينبغي أن يكون أصله (قُرْبان) ساكنة الراء

---

(١)يُنظر: معاني القرآن:٣/١، والمحتسب:٣٧/١.

(٢)معاني القرآن:٤/١.

(٣)البحرالمحيط:٤٥٨/٣،ويُنظر:إعراب القرآن، النحاس:١٩٢/١، والكشف والبيان عن تفسير القرآن،الثعلبي، تح: أبو محمد بن عاشور:٥١١/٩،والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، تح: محمد نظام الدين الفتيح:١٨١/٢، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تح: فؤاد علي منصور:٢٠/٢،والدر المصون:٥١٨/٣، وروح المعاني:٣٥٥/٢.

والضمة فيها إتباع؛ لتعذر فُعُلان في الكلام. وحكى صاحب الكتاب ـــ سيبويه ـــ منه السُّلُطان، وذهب إلى أنَّ ضمة اللام إتباع كضمة الراء من (القُرُفْصاء)؛ وإنما هي القُرْفصاء بسكون الراء"[1]

وهذا يعني أنَّ وزن (فُعُلان) لم يرد في العربية، إلا قليلًا نحو: السُلُطان على الإتباع من (السُلْطان)، والقُرُفصاء على الإتباع من (القُرْفصاء).

واُختلفُ في لفظ(قُرُبان) هل هو لغة نطقت به بعض القبائل أو إتباع حركي ليس مختصًا بلهجة معينة، بمعنى أنَّ الإتباع قد يكون لغة لقبيلة معينة، وقد تكون ظاهرة غير مختصة بقبيلة، فلا نقول: إنَّه لهجة، فكل لغة ينبغي أنَّ تكون إتباعًا في الأصل ولكن قد لا يكون الإتباع لغة بل ظاهرة يستعملها العرب غير مختصة بقبيلة معينة.

وقال سيبويه عن ورود هذا الوزن في العربية:" ولا نعلم في الكلام فِعِلان ولا فِعُلان، ولا شيئاً من هذا النحو لم نذكره، ولكنَّه قد جاء فُعُلانٌ وهو قليل، قالوا: الُّسلُطان، وهو اسم"[2]

وقال أبو حيان:" وَالْخِلَافُ هَلْ ذَلِكَ لُغَةٌ فَيَثْبُتُ بِهِ بِنَاءُ فُعُلَانٍ بِضَمِّ الْفَاءِ وَالْعَيْنِ أَوْ هُوَ اتِّبَاعٌ فَلَا يَثْبُتُ بِهِ"[3]

ويرى ابن عطية أنَّ هذه القراءة جاءت على الإتباع، إذ قال:" وذلك للإتباع لضمة القاف وليست بلغة؛ لأنَّه ليس في الكلام فعلان بضم الفاء والعين، وقد حكى سيبويه: السلطان

---

(١)المحتسب:١/١٧٧-١٧٨، ويُنظر: الكتاب:٤/٢٦٠.

(٢)الكتاب:٤/٢٦٠.

(٣)البحر المحيط:٤/٥٧٠.

بضم اللام، وقال: إن ذلك على الإتباع"[١]

بينما عدَّ العكبري(ت٦١٦هـ) هذا الوزن لغة، إذ قال:" وقد قُرِئَ بضم اللَّام، وهي لغةٌ أُتبعَ فيها الضَّمُّ"[٢]

وقد صرَّح السمين الحلبي(ت٧٥٦هـ) أنَّ ابن عطية وَهَمَ في النقل عن سيبويه أنَّه إتباع، ولكن كلامه ــ ابن عطية ــ صحيح في أنَّ (قُرُبان)إتباع؛ لأنَّه حصر بورود هذا الوزن لغة ب(سلطان).[٣]

نستخلص من ذلك أنَّ هذا الوزن إذا كان لغة، فإنَّ أصحاب هذه اللغة ينطقون بالضم دائمًا، وإذا كان إتباعًا فإنَّهم قد ينطقون بالوجهين.

ومن الإتباع حركة الحرف المتقدم لحركة الحرف المتأخر قوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾(سورة النساء:١٤٣).

وقعت المشاكلة في قوله: (مُذَبْذَبين) وهو اسم مفعول من (ذَبْذَب)، إذ رُوي عن الحسن البصري أنَّه قرأ: (مَذَبْذَبين) بفتح الميم إتباعًا لحركة الذال، والأصل بالضم.[٤]

وردَّ ابن عطية هذه القراءة، إذ قال:" وهي قراءة مردودة"[٥]

---

(١)المحرر الوجيز:١/٥٤٩.

(٢)يُنظر: الدر المصون:٣/٥١٨.

(٣)التبيان في إعراب القرآن:١/٥١٤.

(٤)يُنظر: إعراب القرآن،النحاس:١/٢٤٥، والجامع لأحكام القرآن:٥/٤٢٤، والبحر المحيط:٤/١١، والدر المصون:٤/١٢٧،وفتح القدير، الشوكاني:١/٦١١.

(٥)المحرر الوجيز:٢/١٢٧.

وانتصر أبو حيان لهذه القراءة، فردَّ على ابن عطية بقوله:" والحسنُ البصري من أفصح الناس يُحتجُّ بكلامه، فلا ينبغي أن تُردَّ قراءته، ولها وجهٌ في العربية، وهو أنه اتبع حركة الميم بحركة الذال، وإذا كانوا قد أتبعُوا حركة الميم بحركة عين الكلمة في مثل: مِنْتِنٍ وبينهما حاجز فلأنْ يُتبعوا بغير حاجز أولى، وكذلك اتبعوا حركة عين مُنْفَعِل بحركة اللام في حالة الرفع، فقالوا: مُنْحَدِرٌ، وهذا أولى؛ لأنَّ حركة الإعراب ليست ثابتةً خلاف حركة الذال، وهذا كُله توجيه شذوذٍ. وعلى تقدير صحة النَّقل عن الحسن أنَّه قرأ بفتح الميم"[1]

نلحظ أنَّ أبا حيان قد دافع عن هذه القراءة على فرض صحة انتسابها للحسن البصري، بأنَّه فتحت ميم الكلمة إتباعًا لحركة الذال، أي: إتباع قبلي، واحتج بحجج، وهي: أنَّ الإتباع قد يتمُّ بين حرفين وبينهما حاجز غير حصين، مثل: مُنتِن، قد ورد فيه إتباع حرف الميم لحركة التاء، فقالوا: مِنتِن، والذي سوغ هذا الإتباع أنَّ النون التي بينهما لخفائها ولسكونها ووجود الغنة في الخيشوم اعتبرت حاجزًا غير حصين. أو قد ورد إتباع بين حركة الإعراب وحركة بنية الكلمة، مثل: مُنحدَرٌ، فقالوا: مُنحدُرٌ، ضموا الدال إتباعًا لضمة الراء. فإذا كان هذا واردًا عن العرب، فهذا الإتباع أسهل وايسر؛ لأنَّ الإتباع قد نتج عن تماثل حركتين (فتح بفتح)، وهذا يؤدي إلى السهولة في النطق من نطق الضم ثم الكسر.[2]

---

(١)البحر المحيط:٤/١١٠-١١١.

(٢)يُنظر:الكتاب:٥/٦٨، والأصول في النحو:٣/٢٠٧-٢٠٨، وشرح المفصل:٣/١١٩.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(سورة الانفال:٤١).

وقعت المشاكلة في قوله: (للهِ خُمسهُ)، إذ حدث إتباع حركة الحرف المتأخر الخاء من(خمسه) وهي حركة غير إعرابية لحركة الحرف المتقدم الهاء من (لله) وهي حركة إعرابية.

قال أبو حيان في ذلك:" وقرأ النخعي: خمسه بكسر الحاء على الإتباع، يعني إتباع حركة الخاء لحركة ما قبلها، كقراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُكِ﴾(سورة الذاريات:٧)، (الحِبك) بكسر الحاء إتباعًا لحركة التاء"[١]

نستخلص من ذلك أنَّ الإتباع مشاكلة صوتية غايتها التخفيف وسهولة النطق وردت في القراءات القرآنية، وقد تتحقق في كلمة أو كلمتين، وكان لها حضور في اللسان العربي، لذا نجد أبا حيان يُفسر كثيرًا من القراءات بأنَّه إتباع حركي.

---

(١)البحر المحيط:٥/٣٢٦، ويُنظر: الدر المصون:٥/٦٠٧.

٤-الإمالة:

ظاهرة صوتية ولهجية، وهي نوع من المماثلة الصوتية التي تهدف إلى الانسجام الصوتي لكي يسهل النطق بالأصوات وتقليل الجهد العضلي على أعضاء النطق، وقد انعكست آثارها على القراءات القرآنية، واهتم علماء العربية القدماء والمحدثون بها، فعنى اللغويون القدماء بدراستها. وأوَّل من أشار إليها سيبويه، فتناولها تحت باب (ما تمال فيه الألفات) إذ قال:" فالألف تمال إذا كان بعدها حرفٌ مكسور. وذلك قولك: عابدٌ، وعالمٌ ومساجد، ومفاتيح، وعذافر، وهابيل. وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها"(١)، وقال عنها المبرد(ت٢٨٥هـ):" هو أن تنحو بالألف نحو الياء"(٢)، وعرَّفها ابن السراج بقوله:" أن تُميل الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة"(٣)

وعرَّفها أبو حيان بتعريف مماثل لما سبقه من النحاة، إذ قال:" الإمالة أن ينحى بالألف نحو الياء، فيلزم من ذلك: أن ينحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة"(٤)

وعرَّفها المفسرون وقُرَّاء القرآن الكريم بتعريفات مماثلة لما ذكروا النحاة، فمن المفسرين النحاس قال عنها:" هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء، أو هي إحدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة الطويلة نطقًا بجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة"(٥)

---

(١)الكتاب:٤/١١٧.

(٢)المقتضب:٣/٤٢.

(٣)الأصول في النحو:٣/١٦٠، ويُنظر: اسرار العربية:٤٠٦.

(٤)ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد:٢/٥١٨.

(٥)إعراب القرآن:١/١١.

ومن القراء ابن الجزري(ت٨٣٣هـ) قال عنها:" هي عبارة عن ضد الفتح، وهي نوعان: إمالة كبرى وإمالة صغرى. فالإمالة الكبرى حدّها: أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى (كسرة) كثيرًا. والإمالة الصغرى حدّها: أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى (الكسرة قليلًا)"[١]

ولم يخرج المحدثون في تعريفهم للإمالة عن رأي القدماء من نحاة أو قُرَّاء، فعرَّفها جان كانتينو بقوله:" "نطق الفتحة نطقًا أماميًا، بحيث يقترب مخرجها من مخرج الكسرة"[٢]

وقد اختصت هذه الظاهرة بوجودها في اللهجات العربية، فذكروا أن قبائل الحجاز تميل إلى الفتح، وهو ضد الإمالة، والأصل في الكلام هو الفتح، وقبائل نجد من تميم وأسد وقيس تميل في كلامها، وهذا ما جعلها منتشرة بين قُرَّاء القرآن الكريم. وكان الغرض من الإمالة هو إحداث نوع من الانسجام الصوتي فقد تقع ألف في كلمة لا تستحق أنَّ تُمال لكن لوقوعها بالقرب من ألف أخرى ممالة، فتُمال لمجاورتها الألف الممالة، وهذا يؤدي إلى تيسير عملية النطق؛ لأنَّ اللسان عند الفتح يرتفع إلى الحنك الأعلى وينحدر عند الإمالة؛ لكي لا يحصل ثقل في الانتقال من الفتح إلى الكسر في أثناء النطق، وهذا ما يسمى بالتناسب والتشاكل بين الأصوات.[٣] وذكر هذا الغرض ابن يعيش بقوله:" والغرضُ من الإمالة تقريبُ الأصوات بعضِها من بعض لضربٍ من التشاكل"[٤]

---

(١)التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البواب:٥٧-٥٨.

(٢)دروس في علم الأصوات العربية:١٥٦.

(٣)يُنظر: النشر في القراءات العشر:٣٥/٢، وفي اللهجات العربية:٥٣، وظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي دراسة في تفسير روح المعاني للألوسي، بحث منشور، إعداد: صفية طبني، مجلة المخبر، الجزائر، العدد:٨، ٢٠١٢: ٨٩.

(٤)شرح المفصل:١٨٨/٥.

ويختلف القُرَّاء في الإمالة، ففريق يُميل وبعضهم يفتح، وكان قُراء الكوفة أكثر ميلًا إليها من سواهم؛ لقربهم من مواطن إقامة القبائل التي تجنح إلى الإمالة.(١)

وهذه بعض الأمثلة التي ذكرها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط التي وردت فيها الإمالة، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(سورة يوسف:٥).

قال أبو حيان:" وقراءة الجمهور: رُؤياك والرُؤيا حيث وقعت بالهمزة من غير إمالة. وقرأ الكسائي: بالإمالة وبغير الهمز، وهي لغة أهل الحجاز "(٢)

وذكر ابن مجاهد(ت٣٢٤هـ) أن الكسائي لم يمل هنا، وأمال البقية في سائر القرآن، بقوله:" لم يمل هذا الحرف ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾ (سورة يوسف:٥) وحده، وأمال سائر القرآن (رؤياك، رؤياي، الرؤيا)"(٣)

وبيَّن مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ) سبب هذه الإمالة، بقوله:" وأمال الكسائي﴿ رُؤْيَاكَ ﴾(سورة يوسف:٥) و﴿ رُؤْيَايَ ﴾ (سورة يوسف:٤٣)؛لأن أصل ألفه بالياء"(٤)

وصوتيًا، فملاصقة الياء للألف إذ لم يحل بينهما حائل يجعل العمل من وجهٍ واحدٍ أخف، وذلك برفع اللسان مرة واحدة في تأدية صوتين بأقصر من ممكن؛ مما يؤدي إلى الخفة المتوخاة في تقريب الألف من الياء.(٥)

---

(١)البحر المحيط:٦٩/١٠.

(٢)البحر المحيط:٢٣٨/٦، ويُنظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه:١٧٧، والحجة في القراءات السبع:١٩٣.

(٣)السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف:٣٤٤.

(٤)الكشف عن وجوه القراءات :١٧٩/١.

(٥)يُنظر: الجهود الصوتية عند أبي حيان ـ تفسير البحر المحيط أنموذجًا ـ أطروحة دكتوراه، إعداد: رحمة كزولي، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠١٨م :١٦٤.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾(سورة الإسراء:٧٢). وقعت المشاكلة الصوتية في قوله: (أعمى) الأولى والثانية، فقد اختلف القُرَّاء في كسر الميم أو تفخيمها (أي: الإمالة أو الفتح)، فقرأ أبو عمرو بإمالة الأولى وتفخيم الثانية (أي: بالفتح)، وحجته في ذلك أنَّ الألف في الأولى لاسم الفاعل فهي متطرفة والإمالة تحسن في الأواخر، إمَّا الثانية فهي على تقدير اسم التفضيل، وهذا الاسم قد حُذف منه (من) الجارة والمجرور بها وكأن المعنى: أعمى من كذا، فيُراد هذا اسم التفضيل مع محذوفه؛ ولذلك فهي غير متطرفة واقعة في وسط الكلام، والإمالة تُحسن في الأواخر.(١)

وقال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) عن قراءة أبي عمرو بن العلاء:" وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو أَحْذَقَهُمْ فَفَرَّقَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ لِاخْتِلَافِ الْمَعْنَيَيْنِ فَقَرَأَ: «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى» بِالْإِمَالَةِ، وقوله: «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى»، بِالْفَتْحِ أَيْ: أَشَدُّ عَمًى، فَجَعَلَ الْأَوَّلَ صِفَةً بِمَنْزِلَةِ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ، وَالثَّانِي بِمَنْزِلَةِ أَفْعَلَ مِنْكَ"(٢)

وما يقوِّي هذا التأويل فيه ما ذكره أبو علي الفارسي بقوله:" ويؤكّد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾، وكما أن هذا لا يكون إلّا على أفعل، كذلك المعطوف عليه، ومعنى أضلّ سبيلا في الآخرة: أن ضلاله في الدنيا قد كان ممكنا من الخروج منه، وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه، ويجوز أن يكون قوله: أعمى، فيمن تأوله أفعل من كذا على هذا التأويل أيضًا"(٣)

---

(١)يُنظر: جامع البيان، الطبري، تح: أحمد محمد شاكر:١٧/٥٠٥-٥٠٦، وإعراب القرآن، النحاس:٢/٢٨٠، ، ومعاني القراءات ،الأزهري:٢/٩٧-٩٨، والكشاف:٢/٦٨٣، والبحر المحيط:٧/٨٨-٨٩، والبرهان في علوم القرآن:٤/١٧٠، وروح المعاني:٨/١١٧.

(٢)إعراب القراءات السبع وعللها:٢٢٠.

(٣)الحجة للقُرَّاء السبعة:٥/١١٣.

وقد قرأ حمزة، والكسائي بإمالة (أعمى) في الموضعين، وحجتهم في ذلك؛ أنَّهم يجعلون الاسمين بمعنى واحد، وكأن المعنى: من كان في الدنيا أعمى عن قبول الحق فهو يحشر أعمى العينين لا يُبصر وكذلك؛ لأن ينحو بالألف نحو الياء، فهم يميلون الرباعي إذا كان من ذوات الواو، فذوات الياء أولى بذلك؛ لأنَّ الياء من جنس الكسرة، سواء كانت هذه الألف فاصلة أو شبه فاصلة؛ لأنَّ الفاصلة موضع وقف، والألف تخفى بالوقف، فإذا أمالها نحا بها نحو الياء ليكون أظهر لها وأبين، والذي يقوي هذا التأويل أن من العرب من يقلب هذه الألفات في الوقف ياءات.(١)

فالمشاكلة الصوتية المتمثلة بظاهرة الإمالة، قد أدت أكثر من غرض في هذه الآية المباركة لا سيَما ما يتصل بالانسجام الصوتي الذي نتج عن تفاعل الأصوات، وفصّل في بيان أيَّ الاسمين ناب عن اسم الفاعل القياسي الذي غُيِّب، ولم تستعمله العرب، وأيهما اسم التفضيل، وعليه تكون الإمالة قد حققت انسجامًا صوتيًا، نتج عنه خفّة وسهولة في النطق، وإلى جانب ذلك تحقيق الإبانة والإفصاح والبلاغة في التقارب اللغوي للفظتين الذي فصلت الإمالة الأمر فيه.(٢)

وقد تكون الإمالة لمجاورتها لفظ ممال، منها ما قاله أبو حيان في تفسيره: " هي أن تمال الألف لمجاورتها ما أميل آخره، ليشاكل اللفظ بما بعده أو بما قبله"(٣)

---

(١)يُنظر: جامع البيان:٥٠٥/١٧-٥٠٦، ومعاني القراءات:٩٨/٢، والحجة في القراءات السبع:٢١٩، والحجة للقراء السبعة:١١٢/٥، وحجة القراءات:٤٠٧ ، وروح المعاني:١١٧/٨.

(٢)يُنظر: ظاهرة الانسجام الصوتي في العربية الإمالة والإتباع الحركي أنموذجًا ، بحث منشور ، إعداد: عماد حميد أحمد وميمونة عوني سليم، المجلد:١٠، العدد:٣٨، جامعة تكريت،٢٠١٤م:١٣٧.

(٣)البحر المحيط:٤٨٦/١٠.

ومن ذلك إمالة (تراءى) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾(سورة الشعراء:٦١).

ذكر أبو حيان قول ابن الباذش(ت٥٤٠هـ) في إمالة حمزة لفتحة الراء من قوله: (تراءى)، إذ قال:" إذا وقف عليها حمزة والكسائي، أمالا الألف المنقلبة عن لام الفعل، وحمزة يميل ألف تفاعل وصلًا ووقفًا لإمالة الألف المنقلبة، ففي قراءته إمالة الإمالة. وفي هذا الفعل، وفي (راءى)، إذا استقبلته ألف وصلٍ لمن أمال للإمالة، حذف السبب وإبقاء المسبب، كما قالوا: صعقيٌّ في النسب إلى الصعق"[١]

ففصّل ذلك السَّمين الحلبي في تفسيره، باختلاف القراءة في هذه الإمالة، فقال:" هذا الحرف إمَّا أن يُوقف عليه أو لا. فإن وُقف عليه، فحمزة يُميل ألفه الأخيرة؛ لأنها طرف منقلبة عن ياء. ومن ضرورة إمالتها إمالة فتحة الهمزة المُسهلة؛ لأنه إذا وقف على مثل هذه الهمزة سهلها على مقتضى مذهبه، وأمال الألف الأولى إتباعًا لإمالة فتحة الهمزة، ومن ضرورة إمالتها إمالة فتحة الراء قبلها. وهذا هو الإمالة لإمالة"[٢]

وشرح أبو شامة(ت٦٦٥هـ) هذه الإمالة، بقوله:" ولفظ (تراءا) وزنه تفاعل، ففيه ألفان بينهما همزة الأولى زائدة والثانية لام الكلمة منقلبة عن ياء، فإذا وقف عليها أميلت الثانية لحمزة والكسائي على أصلهما في إمالة ما كان من الألفات من ذوات الياء طرفا غير أن حمزة يجعل الهمزة بين بين على أصله وأضاف إلى ذلك أن إمالة الألف الأولى لمجاورة الثانية فهو من باب إمالة الإمالة"[٣]

---

(١)البحر المحيط:٨/١٦٠، ويُنظر: الاقناع في القراءات السبع، ابن الباذش:١٣٩، وروح المعاني:١٠/٨٣.

(٢)الدر المصون:٨/٥٢٥.

(٣)ابراز المعاني من حرز الاماني:٢١٧.

نستخلص من ذلك كله أنَّ الإمالة مشاكلة صوتية غايتها التخفيف والسهولة في النطق كما هي غاية بقية الظواهر الصوتية، وقد وردت في القراءات القرآنية، وقد تتحقق في كلمة أو في كلمتين، وكان لها حضور في اللسان العربي، وهذا ما تناوله أبو حيان في تفسيره عند عرضه للقراءات القرآنية وبيان إمالتها.

٥-صرف الاسم الممنوع من الصرف:

ظاهرة الممنوع من الصرف في العربية تخصُّ الأسماء التي لا يدخلها التنوين ولا تجر بالكسرة، بل تُجر بالفتحة بدلًا عنها، ولكن عند إضافتها وتعريفها تُجر بالفتحة كالاسم المنصرف، وقد وردت أسماء ممنوعة من الصرف لكن صُرفت؛ وذلك لسببين: الأول: للضرورة الشعرية، فقد ورد في الشعر أسماء لا تستحق التنوين منونة؛ وذلك لأجل المحافظة على الوزن الشعري، فمن وظائف التنوين المحافظة على استقامة الوزن الشعري، مما جعل الشاعر يخالف القواعد الموضوعة للأسماء الممنوعة من الصرف للضرورة الشعرية، والسبب الثاني: للتناسب فهو أنَّ تأتي اسماء ممنوعة من الصرف مع أسماء مصروفة متجاورة، فتصرف للتناسب والتشاكل.(١)

وقد وردت بعض الكلمات الممنوعة من الصرف منونة في القراءات القرآنية؛ وذلك لأجل التناسب والتشاكل الصوتي مما يجعلها مستساغة في السمع.

---

(١)يُنظر: الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، تح: د. صالح عبد العظيم الشاعر:١٢، وشرح ألفية ابن مالك المسمى: تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، ابن الوردي، تح: عبد الله علي الشلال :٥٩٦/٢، وظاهرة التنوين في اللغة العربية، عوض المرسي جهاوي:١٠٤.

ومن هذه المخالفة ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالا وَسَعِيرًا ﴾(سورة الانساء:٤)

فقد ورد في هذه الآية المباركة تنوين الاسم الممنوع من الصرف في قراءة نافع والكسائي وأبي بكر عن عاصم وهو قوله تعالى: (سلاسلًا) بالتنوين بالوصل وبالألف في الوقف مع أنَّه اسم ممنوع من الصرف؛ لأنَّه على صيغة منتهى الجموع، ولكن الاستعمال القرآني ترخص في ذلك وعدل إلى التنوين من أجل المشاكلة الصوتية؛ لأنَّ ما قبلها منون وقوله: (شاكرًا و كفورًا) وما بعدها كلمتان منونتان، وهما (أغلالًا وسعيرًا)، فلذلك حُسن هذا التشاكل.(١)

وقال الزجاج في ذلك:" الأجود في العربية ألا يُصْرَف سَلَاسِلَ، ولكن لما جُعِلَتْ رَأْس آيَةٍ صُرفت ليكون آخر الآي على لفظٍ وَاحدٍ"(٢)

وقال تاج الدين(ت٧٤١هـ):" وصرف(سلاسلًا) هنا جاء لمناسبة ما بعده وهو جائز بل حسن؛ لأنها وليتها كلمتان منونتان فنوِّنت مراعاة لهما"(٣)

ومنها أيضًا لفظة (قواريرًا) من قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾(سورة الانسان:١٥-١٦).

---

(١)يُنظر: معاني القرآن، الفراء:٢١٤/٣، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج:٢٥٨/٥، وجامع البيان :١٠٥/٢٤، وإعراب القراءات السبع وعللها:٤١٩/٢-٤٢٠، وشرح الكافية الشافية، ابن مالك، تح: عبد المنعم أحمد هريدي:١٥٢١/٣، والبرهان في علوم القرآن:٦٦/١، والبحر المحيط:٣٦٠/١٠، والدر المصون:٥٩٦/١٠.

(٢)معاني القرآن وإعرابه:٢٥٨/٥.

(٣) الكنز في القراءات العشر، تح: د. خالد المشهداني:٧٠/١.

ورد في هاتين الآيتين المباركتين اسم ممنوع من الصرف مصروفًا؛ لأنَّه على صيغة منتهى الجموع وهو قوله:(قوارير) في نهاية الآية الأولى والثانية في بداية الآية الأخرى.

أُختلف القُرَّاء في صرفهما على أقوال وهي:[1]

الأولى: تنوينهما معًا، والوقف عليهما، وهي قراءة نافع والكسائي وأبي بكر.

الثانية: عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالألف، وهي قراءة حمزة.

الثالثة: عدم تنوينهما، والوقف عليهما بالألف، وهي قراءة هشام وحده.

الرابعة: تنوين الأول، وعدم تنوين الثاني، وهي قراءة ابن كثير.

الخامسة: عدم تنوينهما معًا، لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص.

وقد اختلف المفسرون في توجيه هذا التنوين، فقيل: إنَّ كلمة (قوارير)الأولى نُوِّنت؛ لأنَّها رأس الآية ورؤوس الآيات السابقة واللاحقة لها منونة كقوله: (مذكورًا، سميعًا، بصيرًا) فمن أجل التناسب والتشاكل بين رؤوس الآيات المباركة نوِّنت، وأمَّا الثانية فنوِّنت لمجاورتها الأولى للتناسب كذلك. أو قيل: إنَّ العرب تجري ما لا يجرى (أي: تصرف الممنوع من الصرف) في كثير من كلامها للضرورة. أو قيل: إتباعٌ للمصاحف فقد قرأ بالتنوين أهل الكوفة والحجاز جميعًا ومن أهل البصرة كذلك.[2]

---

(١)يُنظر: إعراب القرآن، النحاس:٦٦/٥، والسبعة في القراءات:٤٧٨، والحجة للقراء السبعة:٣٤٨/٦، والمحرر الوجيز:٤١٢/٥،وشرح الكافية الشافية:١٥١٢/٣،والبحر المحيط:٣٦٣/١٠، والدر المصون:٦٠٨/١٠ .

(٢)يُنظر: معاني القرآن، الفراء:٢١٤/٣، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج:٢٦٠/٥، وحجة القراءات:٧٣٨-٧٣٩، والكشاف:٦٧٢/٤، والبحر المحيط:٣٦٣/١٠، والدر المصون:٦١٠/١٠، وشرح الأشموني على الفية ابن مالك:١٧٤/٣-١٧٥.

فهذه الحجج الثلاث تتعاور على اثبات صحة التنوين وجهًا من وجوه الاستعمال اللغوي الذي غايته تحقيق المشاكلة الصوتية.

وذكر الفرَّاء لتنوينهما علتين دون التصريح بذكر لفظ (علتين)، إذ قال:" أثبتت الألف في الأولى؛ لأنها رأس آية، والأخرى ليست بآية، فكان ثبات الألف في الأولى اقوى لهذه الحجة، وكذلك رأيتها في مصحف عبدالله، وقرأ بها أهل البصرة، وكتبوها في مصاحفهم كذلك"(١)

نستخلص من ذلك، أن صرف الممنوع من الصرف، هي لغة فصحية موجودة في لغات العرب، وقد أشار إليها النحاة والقراء، ومنهم الأخفش، والكسائي، وخير ما يمثلها القراءات القرآنية، فقد اجمع النحاة أن الاسم الأصل فيه الصرف، وأن منعه من الصرف لعلة، وصرفه لغة موجودة وفصيحة لكنها قليلة في الاستعمال، وخير شاهد على وجودها هو القرآن الكريم. ولا شك في أنَّ لجوء الاستعمال القرآني إلى صرف الممنوع يقف وراءه سبب، والمشاكلة الصوتية أحد الاسباب التي أشار إليها المفسرون في صرف الممنوع من الصرف.

---

(١)معاني القرآن:٢/٢١٤.

ثانياً: المشاكلة الصرفية:

١-العدول في الصيغ الفعلية

٢-العدول إلى المصدر

٣-العدول من مشتق لآخر

٤-العدول من الإفراد إلى الجمع وبالعكس

ثانيا: المشاكلة الصرفية:

المشاكلة الصرفية تعني وجود مطابقة أو مماثلة بين الصيغ، ممَّا يجعلك تختار لفظة ذات صيغة معينة دون أخرى يمكن أنَّ تحل محلَّها أو أنَّ الظاهر القرآني يقتضيها، أي عدول القرآن الكريم من صيغة إلى أخرى؛ وذلك تحقيقًا للتوافق والانسجام الصيغي بين الألفاظ الواردة في السَّياق القرآني، وكذلك كي تسير الصيغ على إيقاع واحد، ممًا يؤدي إلى متعة نفسية لدى المتكلم والمخاطب في آنٍ واحد، وهذا ما تتميز به لغتنا العربية من إيثار الخفة والسهولة والاقتصاد في الجهد العضلي لأعضاء النطق.(١)

وقد أشار أبو حيان الأندلسي إلى هذا النَّوع من المشاكلة في تفسيره في مواضع متعددة، وهذه بعض المواضع التي تناولها أبو حيان:

١-العدول في الصيغ الفعلية:

ورد هذا النوع من العدول في القرآن الكريم كثيرًا، فقد يُعدل من صيغة الماضي إلى المضارع وبالعكس، ومن الأمر إلى الماضي أو المضارع وبالعكس. أو يكون العدول من الخطاب إلى الغيبة وبالعكس، وكل ذلك يكون لغايات ونكات تعبيرية أرادها القرآن الكريم ومنها المشاكلة.

ـ العدول من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع

ومن الآيات التي ذكرها أبو حيان في تفسيره، وكان العدول فيها لتحقيق المشاكلة بين الصيغ الفعلية قوله تعالى:

---

(١)يُنظر: المشاكلة في الحديث النبوي دراسة لغوية:٤٣.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(سورة البقرة:٨٧).

إذ عدل من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع. والآية في سياق ذكر فيها الفعل ماضيًا قبل الفعل (تقتلون)، إذ ورد الفعل (كذبتم) بصورة الماضي، فلمَ لا يكون التعبير (ففريقًا كذبتم وفريقًا قتلتم).

ذكر أبو حيان أنَّ السبب وراء هذا العدول إلى المضارع هو:[١]

الأول: جيء بصيغة المضارع، ويُراد به حكاية الحال الماضية، لأنَّ الأمر فظيع فأُريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وهي حالة قتلهم للرُسل من قبل. ولمناسبة رؤوس الآيات المباركة.

الثاني: أنَّها تدلُّ على الحال والاستقبال، لأنَّهم يرومون قتل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المستقبل وذلك بسحره وتسميمه. وهذا ما ذكره من قبله الزمخشري[٢]، والبيضاوي[٣].

فالعدول من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع كان لأسباب منها: مشاكلة رؤوس الآيات المباركة. وكذلك المعنى يقتضي ذلك، إذ استحضار هذا الفعل الشنيع اقتضى الإتيان به مضارعًا لحكاية حال ماضية.

---

(١)يُنظر: البحر المحيط:٤٨٣/١، والدر المصون:٥٠٠/١، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي = عناية القاضي وكفاية الراضي:٢٦٨/٣، وحاشية القونوي، الحنفي:١٢/٤، والاعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي:١١٨.

(٢)الكشاف:١٦٢/١.

(٣)أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٩٣/١.

نلحظ من ذلك كُلِّه أنَّه قد عُدل عن الماضي (كذبتم) إلى المضارع (تقتلون)، وذلك لاستحضار الحالة الفظيعة وهي قتلهم الرُسل السابقين، وصيغة (تقتلون) جاءت مراعاة للفواصل، وهذا يعني أنَّ هذه الصيغة جاءت مراعاة للمشاكلة الصوتية والمشاكلة المعنوية، مما يُبيَّن روعة الأسلوب القرآني وجماله.

ـ العدول من صيغة المعلوم إلى صيغة المجهول

ومن ذلك ما كان من صيغة المبني للمعلوم إلى صيغة المبني للمجهول في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾(سورة البقرة:٢٧٩).

ذكر المفسرون في قوله: (لا تَظلمون ولا تُظلمون)، قراءتين:(١)

الأولى: قراءة الجمهور، وهي قراءة الفعل الأَّول (تَظلمون) مبنيًا للمعلوم، والثاني (تُظلمون) مبنيًا للمجهول، فيكون المعنى: لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على رأس المال، و(لا تُظلمون) أنتم بنقصان رأس المال.

الثانية: رواية المفضل عن قراءة عاصم، وذلك بضم التاء الأولى، فيكون الفعل الأول مبنيًا للمجهول، والثاني مبنيًا للمعلوم، وهذا يعني انها عكس القراءة الأولى.

ذكر أبو حيان ترجيح أبي علي الفارسي لقراءة الجمهور، إذ قال أبو علي:" ويرجح تقديم: لا تَظلمون بأنَّه أشكل بما قبله، لأن الفعل الذي قبله مسند إلى فاعل،

---

(١)يُنظر: السبعة في القراءات:١٩٢، ومعاني القراءات:٢٣٢/١، والحجة في القراءات السبع:١٠٤، والحجة للقراء السبعة:٤١٤/٢، والتبيان في إعراب القرآن:٢٢٥/١، والبحر المحيط:٧١٦/٢.

وهو قوله: {وإن تبتم فلكم} فتظلمون أشكل بما قبله لإسناد الفعل فيه إلى الفاعل من تظلمون المسند فيه الفعل إلى المفعول به"[1]، وهذا ما ذكره ابن عطية [2]، والقرطبي(ت٦٧١هـ) أيضًا.[3]

وذكر الأزهري أنَّ القراءتين لا يوجد بهما تغير في المعنى الخاص، لكن أجود القراءتين، بتقدم الفعل المبني للمعلوم(تَظلمون) على الفعل المبني للمجهول (تُظلمون).[4]

وهناك من وجّه كل قراءة وبيّن نكتة كلّ منهما، "ووجههُ أنَّ منعهم من الظلم أهم فبُدئ به. ويُقرأ بالعكس، والوجه فيه أنه قدَّم ما تطمئن به نفوسهم من نفي الظلم عنهم، ثم منعهم من الظلم، ويجوز أن تكون القراءتان بمعنى واحد، لأن الواو لا تُرتب"[5]

ـ العدول من صيغة الغائب إلى صيغة التكلم

ومن ذلك ما كان من صيغة الغياب إلى صيغة التكلم، في قوله تعالى: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(سورة النساء:١١٤).

ورد الأسلوب القرآني الخاص بهذه الآية الكريمة، في صيغة الغيبة المتمثلة في قوله:﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ﴾ ثم عدل إلى صيغة التكلم المتمثلة في قوله: {نؤتيه}، وظاهر السياق القرآني أن يقول :(يؤتيه)، حسب قاعدة مطابقة الضمائر، لكن عُدل عن

---

(١)الحجة للقراء السبعة:٤١٤/٢، ويُنظر: البحر المحيط:٧١٦/٢.

(٢)المحرر الوجيز:٣٧٦/١.

(٣)الجامع لأحكام القرآن:٣٧١/٣.

(٤)معاني القراءات:٢٣٢/١.

(٥)التبيان في إعراب القرآن:٢٢٥/١.

ذلك؛ لأجل المشاكلة الصرفية التي تحمل التناسب والانسجام الدلالي في سياق النظم القرآني، لورود الأفعال بعد الفعل(نؤتيه) بنون المضارعة.

وذكر المفسرون أنَّ لهذا الفعل (نؤتيه) قراءتين:[١]

الأولى: قراءة الجمهور، وهي (نؤتيه) صيغة التكلم بالنون.

الثانية: قراءة حمزة وأبي عمرو، وهي (يؤتيه) بصيغة الغائب بالياء.

وقال أبو حيان عن قراءة الجمهور التي تكون بالنون على سبيل الالتفات (أي: العدول) من صيغة الغيبة إلى صيغة التكلم أنَّ هذا الاستعمال القرآني عنده أبلغ:" والباقون بالنون على سبيل الالتفات، ليُناسب ما بعده من قوله: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ ﴾(سورة النساء:١١٥)، فيكون إسنادُ الثواب والعقاب إلى ضمير التكلم العظيم وهو أبلغ من إسناده إلى ضمير الغائب"[٢]

أمَّا الذين سبقوا أبا حيان، منهم ابن عطية فقد ذكر القراءتين دون ترجيح إحداهما، إذ قال:" والقراءتان حسنتان"[٣]، ومن قبله الأزهري الذي قال:" النون والياء معناهما واحد، الله يؤتيه"[٤]

فيما أيَّد أبو البقاء قراءة الياء، بقوله:" (فسوف نؤتيه): بالنون والياء وهو ظاهرٌ "[٥]

---

(١)يُنظر: السبعة في القراءات :٢٣٧، ومعاني القراءات :٣١٧/١، والمحرر الوجيز:١١٢/٢، والبحر المحيط:٦٦/٤، والنشر في القراءات العشر:٢٥١/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تح: الشيخ زكريا عميرات:٤٩٦/٢.

(٢)البحر المحيط:٦٦/٤، والدر المصون:٩٠/٤.

(٣)المحرر الوجيز:١١٢/٢.

(٤)معاني القراءات:٣١٧/١.

(٥)التبيان في إعراب القرآن:٣٨٩/١.

ورجَّح محمد محمد محمد سالم محيسن قراءة الجمهور بقوله:" ولكن التفت إلى التكلم، على أنَّه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأنَّه سيمنح الأمرين بالمعروف والمصلحين بين الناس ابتغاء مرضاة الله أجرًا عظيمًا. ولو ظلَّ السِّياق على الغيبة لما تحقق هذا المعنى البلاغي"[1]

نلحظ من ذلك أنَّ الأسلوب القرآني قد جاء بصيغتي الغيبة والتكلم، إذ عدل من الغيبة إلى التَّكلم، لأمرٍ بلاغي وهو التعظيم، وتحقيق المشاكلة اللفظية لما بعده، ومن قرأ بالغيبة كان على نسق كلام واحد دون التفات.

ـ العدول من صيغة الفعل المضارع إلى صيغة اسم الفاعل

ومن العدول ما كان من صيغة الفعل إلى صيغة اسم الفاعل، منها من صيغة الفعل المضارع إلى اسم الفاعل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾(سورة الأعراف:٨١).

ففي قوله: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾، عدلت الآية الكريمة عن التعبير بصيغة الفعل إلى التعبير بصيغة الاسم، وظاهر السياق القرآني أنْ نقول (بل أنتم قوم تسرفون)، ليطابق قوله: (تأتون)، ولكنه عدل عن ذلك؛ لأجل توخي رؤوس الآيات المباركة.

بينما قال في سورة النمل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(سورة النمل:٥٥).

نلحظ قد جاء الوصف في سورة النمل بصيغة الفعل، وهو قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

---

(١)القراءات وأثرها في علوم العربية:٢/١١٤.

ذكر المفسرون هذا الاختلاف، فقال أبو حيان في ذلك:" وجاء هنا (أي: في سورة الأعراف) مسرفون باسم الفاعل ليدل على الثبوت ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأسماء، وجاء في النمل(تجهلون) بالمضارع؛ لتجدد الجهل فيهم ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأفعال"[1]

هذا يعني أنَّه ذكر هنا الوصف بلفظ الاسم موافقة لرؤوس الآيات السابقة لهذه الآية، فقد ختمت بالأسماء منها (المرسلين، وجاثمين، والناصحين، والعالمين ...)، وجاء في سورة النمل بلفظ الفعل؛ لأجل توخي رؤوس الآيات السابقة لها، فقد ختمت بالأفعال منها (يعلمون، ويتقون، وتبصرون ...).[2]

وهذا ما ذكره الإسكافي(ت٤٢٠هـ)، فقال في مجمل كلامه:" فلمَّا تناسقت هذه الأفعال في هذه الفواصل التي قبل هذه الفاصلة كان بناؤها على ما قبلها بلفظ الفعل أولى بها، فجاء: (تجهلون) في هذا الموضع، و(مسرفون) في الأول لهذا من القصد فكان الاسم أحق بالوضع في هذا المكان لتتساوى الفواصل"[3]

---

(١)البحر المحيط:١٠١/٥، والدر المصون:٧٣/٥، وروح المعاني:٤٠٨/٤.

(٢)يُنظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٢٧٩/٣.

(٣)درة التنزيل وغرة التأويل، تح: د. محمد مصطفى آيدين:٦٣٣/٢-٦٣٤.

٢-العدول إلى المصدر:

وقد يُعدل في الآيات القرآنية من المشتقات إلى استعمال المصدر، أو من صيغة المصدر إلى صيغة مصدر أخرى؛ وذلك لغاية معينة، ومن هذه الغايات التَّشاكل؛ لأنَّ كلَّ كلمة في القرآن الكريم جاءت مناسبة لما قبلها ولما بعدها، فلا يصح استبدالها بأخرى، وكل ما يُحذف فيه سواء حركة كانت أو حرفًا أو فعلًا أو اسمًا، أو يُذكر أو يُقدم أو يُؤخر، فكل ذلك مقصود، فتأتي الآية الكريمة، بل السورة بكاملها غاية في السبك والصياغة، وتناسق في اللفظ والمعنى.(١)

ومن ذلك ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا ﴾(سورة المزمل:٨).

فقد ورد المصدر في الآية المباركة وهو قوله: (تَبْتِيْل) الَّذي على وزن (تَفْعِيْل)، فهو ليس مصدرًا للفعل السابق له وهو قوله: (تَبَتَّل) الذي على وزن(تَفَعَّل) والمصدر منه (تَفَعُّل)، وإنما فعل المصدر المذكور هو (بتّل) الذي على وزن (فعَّل) وجاء هذا لغاية صرفية وهي المناسبة في الفواصل القرآنية.(٢)

وفي ذلك قال أبو حيان:" وانتصب تَبتيلًا على أنَّه مصدر على غير الصدر. أي: فعله، وحسن ذلك كونه فاصلة"(٣)

---

(١)يُنظر: التحويل الصرفي في القرآن الكريم ، دراسة دلالية تطبيقية ، رسالة ماجستير، اعداد :حميدة أونان ، و وسيلة لعبيدي، جامعة الجيلالي بونعمامة . خميس مليانة، كلية الآداب و اللغات ، الجزائر،٢٠١٨م:٤٤.

(٢)يُنظر: الكتاب:٨١/٤، ومعاني القرآن، الأخفش:٥٥٢/٢، وشرح كتاب سيبويه، السيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي:٢٤٥/٢، وشرح المفصل:١/ ٢٧٤، ومعاني النحو، فاضل السامرائي:١٦٢/٢.

(٣)البحر المحيط:٣١٦/١٠.

نلحظ في ذلك من أجل مراعاة الفاصلة القرآنية اقتضى المشاكلة الصرفية بين فواصل الآي الكريمات ففواصل الآيات هي (قيلًا، وطويلًا، وجحيمًا، وأليمًا، ...)، وهذه المشاكلة بين أوازن الفواصل حققت التناسب الصوتي المتمثل بالفاصلة القرآنية.

وهذا ما ذكره الزمخشري قبله وأشار إلى أنَّ المعنى المراد متحقق باللفظين والعدول من لفظ إلى آخر مراعاة للفاصلة:" فأن قلت: كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا؟ قلتُ: لأن معنى تبتل بتل نفسه، فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل"(١)

وقال الكرماني (ت بعد ٥٣١هـ):" والقياس تبتُّلًا، ولكن لمَّا كان التبتل من حروفه عدل إليه؛ لموافقة رؤوس الآي؛ لأن خطَّ القرآن من أحسن النَّظم، والوصف فوق كلِّ خطّ"(٢)

وفي ذلك قال الزجاج:" والأصل في المصدر في (تبتل تَبَتَّلْتُ تَبْتِيلًا)، و(بَتَلْتُ، تبتيلًا)، فتبتيلًا محمول على معنى تَبَتَّل إليه تَبْتِيلًا"(٣)

فمعنى (تبتل)، بيَّنه القرطبي، بقوله:" التبتُّل: الانقطاع إلى عبادة الله عزَّ وجلَّ، أي انقطع بعبادتك إليه"(٤)

وقد جعل الدكتور فاضل السامرائي هذا العدول بابًا من أبواب التوسع الدلالي، إذ يتحقق بهذا العدول معنيان (التبتلُ والتبتيل)، وكان المتوقع أنْ يقول : (وتبتل إليه تبتلًا) غير

---

(١)الكشاف:٤/٦٣٩.

(٢)لباب التفاسير:٣٤١٨.

(٣)معاني القرآن و إعرابه:٥/٢٤١، ويُنظر: التفسير البسيط، الواحدي:٢٢/٣٦٨.

(٤)الجامع لأحكام القرآن:١٩/٤٤.

أنَّه لم يقل ذاك. وسبب ذلك أنه أراد أن يجمع بين مَعنَيي التبتل والتبتيل، وذلك أنَّ تَبَتَّل على وزن (تَفَعَّل) و(تَفَعَّلَ) يفيد التدرج والتكلف، مثل: تجسس وتحسس وتبصر، وأمَّا (فعَّل) فيفيد التكثير والمبالغة، وذلك نحو: كسر وكسَّر، ... ، فالله سبحانه جاء بالفعل لمعنى التدرج ثمَّ جاء بالمصدر لمعنى آخر هو التكثير، وجمع المعنيين في عبارة واحدة موجزة، ولكنَّه أراد المعنيين فجاء بالفعل من صيغة والمصدر من صيغة أخرى وجمعهما.(١)

نلحظ من ذلك أنَّ أراء المفسرين واللغويين في هذا العدول تراوحت بين الغاية اللفظية المتمثلة بمراعاة الفاصلة القرآنية والغاية المعنوية المتمثلة بالتوسع في المعنى، ولا محذور يمنع من جمع الغايتين معًا في النصّ المبارك.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾(سورة الفرقان:٤٩).

نلحظ مجيء وصف قوله: (بَلْدةً) وهو مؤنث بصفة المذكر وهو قوله (مَّيْتًا)؛ لأنَّ (البلدة) تكون في معنى (البلد)، كما في قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾(سورة فاطر:٩).

ذُكر في هذا الوصف قراءتان:(٢)

الأولى: قراءة عيسى، وأبي جعفر: (ميَّتًا) بالتشديد.

---

(١)يُنظر: التعبير القرآني:٣٤-٣٥.

(٢)يُنظر: المحتسب:٢/٢٥٣، والبحر المحيط:٨/١١٦، وروح المعاني:١٠/٣١.

الثانيــة: قــراءة الجمهــور: (ميْتًــا) بــالتخفيف. وقــد وجــه أبــو حيــان هــذه القــراءة توجيهًــا قائمًــا علــى أســاس المشــاكلة والتناســب، إذ قــال:" ورجّــح الجمهــور التخفيــف، لأنــه يماثــل فعــلًا مــن المصــادر، فكمــا وُصــف المــذكر والمؤنــث بالمصــدر، فكــذلك بمــا أشــبهه بخــلاف المشــدد، فإنَّــه يُماثــل فــاعلًا مــن حيــث قبوله للتاء إلا فيما خصَّ المؤنث نحو (طامث)"[١]

نلحــظ أنَّ توجيــه أبــي حيــان لقــراءة الجمهــور قــائم علــى أســاس المشــاكلة الصَّــرفية، إذ إنَّ المصــدر مــن الألفــاظ التــي يوصــف بهــا المــذكر والمؤنــث علــى حــد ســواء، فنقــول: امــرأة عــدل وصــوم رضــا. و(ميــت) هنــا علــى وزن (فَعْــل)، فهــو لــيس بمصــدر ولكنَّــه جــاء علــى وزن مشــهور بالمصــدرية ومــا جــاء مشــاكلًا للمصــدر مــن الأوصــاف مــن حيــث الصــيغة يأخــذ حكــم المصــدر فــي جــواز وصف المذكر والمؤنث به على حدٍّ سواء.

وهــذا بخــلاف وزن كلمــة (ميِّــت) بالتشــديد فــي قــراءة مــن قــرأ ذلــك، فهــو علــى وزن لا يماثــل أوزان المصــادر، فهــو يماثــل الفاعــل؛ إذ إنَّــه يؤنــث ويُــذكر، إلا بعــض الاوصــاف التــي يســتوي فيهــا المــذكر والمؤنــث، ك(طامث).[٢]

٣-العدول من مشتق لآخر:

تشــترك المشــتقات علــى اخــتلاف أنواعهــا بالدلالــة علــى حــدثٍ وذات. ولكــلِّ مشــتقٍّ دلالــةٌ خاصــة بــه، وقــد يُعــدل مــن صــيغة إلــى أخــرى بحســب مــا يطلبــه الســياق، والــذي يســاعد علــى هــذا العــدول هــو التقــاء المشــتقات فــي دلالة ما واقترابها من دلالة أخرى.

---

(١)البحر المحيط:١١٦/٨، ويُنظر: روح المعاني:٣١/١٠.

(٢)يُنظر: المحتسب:٢٥٣/٢، والبحر المحيط:١١٦/٨.

ـ العدول من الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل

فقد يُعدل عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل، فهما يشتركان في الدلالة على ذات متصفة بحدثٍ ويفترقان في أنَّ اسم الفاعل دالٌ على صفة غير لازمة فهي صفة متغيرة، وأمَّا الصفة المشبهة فهي تدلُّ على ثبوت الصفة ولزومها لصاحبها.

فمن ذلك ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(سورة هود:١٢).

إذ اختار النَّظم القرآني اسم الفاعل (ضائق) دون الصفة المشبهة (ضيِّق) وعلى الرغم من أنَّ الصفة المشبهة أكثر استعمالا من وزن (فاعل) الذي عليه (ضائق)، والغرض من ذلك كان؛ لأجل المشاكلة اللفظية والمشاكلة المعنوية، فاللفظية هي مناسبته للفظ (تارك) من الآية نفسها، والمعنوية وهي أنَّ الحالة التي عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ضيق هي حالة عارضة غير ثابتة؛ لأنَّ رسول الله (عليه أفضل الصلاة والسلام) افسح الناس صدرًا، فسبب هذا العدول إذن هو التعبير عن حدث عارض في الماضي.

وفي ذلك قال أبو حيان:" وعبَّر بضائق دون ضَيِّقٍ للمناسبة في اللفظ مع (تارِك)، وإن كان (ضَيِّقٌ) أكثر استعمالًا، لأنَّه وصفٌ لازمٌ، و(ضائِقٌ) وصفٌ عارِضٌ"[1]، وهذا ما ذكره ابن عطية من قبله.[2]

---

(١)البحر المحيط:١٢٩/٦، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن:١٢/٩، والدر المصون:٢٩٣/٦-٢٩٤.

(٢)يُنظر: المحرر الوجيز:١٥٤/٣.

ومن ناحية مناسبته للمعنى فقد ذكر الزمخشري:" فإنْ قلتَ: لِمَ عدل عن ضيق إلى ضائق؟ قلتُ: ليدلّ على أنَّه ضيق عارض غير ثابت؛ لأنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أفسح الناس صدرًا. ومثله قولك: زيدٌ سيّدٌ وجوادٌ، تُريد السِّيادة والجواد الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد ونحوه كانوا قومًا عامين في بعض القراءات"(١)

وضح ابن عاشور هذا العدول، بقوله:" وإنَّما عدل عن أنْ يُقال :(ضيقٌ) هنا إلى (ضائق) لمراعاة النظير مع قوله: تاركٌ، لأنَّ ذلك أحسن فصاحة، ولأنَّ ضائق لا دلالة فيه على تمكن وصف الضيق من صدره بخلاف ضيقٍ، إذ هو صفة مشبهة وهي دالة على تمكن الوصف من الموصوف، إيماء إلى أن أقصى ما يتوهم توقعه في جانبه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو ضيقٌ قليل يّعرض له"(٢)

إذ قال الله عزَّ وجلَّ في سورة الأنعام: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾(سورة الانعام:١٢٥).

عبَّر هنا بالصفة المشبهة (ضيق)، ولم يقل (ضائق)، أمَّا في سورة هود، فقد قال (ضائق)؛ لأنَّ كل لفظة في القرآن الكريم جاءت بما يناسب السياق الواردة فيه، كان الضيق في سورة الانعام ضيقًا لازمًا وثابتًا، بينما كان ضيق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عابرًا وحالة طارئة.(٣)

---

(١)الكشاف:٣٨٢/٢، ويُنظر: شرح المفصل:١٠٩/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، تح: عبد الله الخالدي:٣٦٦/١.
(٢)التحرير والتنوير:١٦/١٢.

(٣)يُنظر: دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه ، إعداد: عبد الناصر مشري، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة، الجزائر،٢٠١٤م:١٠٤.

نلحظ من ذلك كله، إنَّما جاء هنا باسم الفاعل (ضائق)، وعدل عن الصفة المشبهة (ضيق)، لأمرين، الأول: تحقيق المشاكلة اللفظية وهي مناسبة ما قبله (تارك) الذي جاء على وزن فاعل، والثاني: تحقيق المشاكلة المعنوية، فلكلِّ صيغة دلالة خاصة بها، يُؤتى بها بحسب المعنى المراد في السياق الخاص به، فكان هنا (ضائق) ملائمًا للسياق القرآني الخاص بهذه السورة؛ لأنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يضق صدره، وهو الذي قال عنه الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(سورة الشرح:١).

وقد يأتي المشتق على وزن معين، ويُرجّح أبو حيان توجيهًا محددًا من بين توجيهات متعددة مراعاة للمشاكلة الصرفية، كما في قوله تعالى: ﴿وَ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾(سورة هود:٩٣).

في قوله: (رقيب) جاءت صيغة المبالغة على وزن فعيل، فذكر المفسرون دلالة هذه الصيغة على أوجه:[1]

الأول: صيغة مبالغة بمعنى (راقب) اسم فاعل، كالصريم بمعنى صارم.

الثاني: بمعنى(المراقب) كالعشير بمعنى معاشر.

الثالث: بمعنى (المُرتقِب) كالرفيع بمعنى المرتفع، والفقير بمعنى المفتقر.

---

(١)يُنظر: الكشاف:٤٢٤/٢، ومفاتيح الغيب:٣٩٢/١٨، وأنوار التنزيل وأسرار التاويل:١٤٧/٣، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل:٨١/٢، والبحر المحيط:٢٠٣/٦،وروح المعاني:٣٢٢/٦.

وقد رجَّح أبو حيان أن يكون (فعيل: رقيب) بمعنى اسم الفاعل من الفعل المزيد(المرتقب)، بقوله:" أو بمعنى المرتقب ك(الفقير)، و(الرفيع) بمعنى (المفتقر)، و(المرتفع)، ويحُسن هذا مقابله فارتقبوا"[١]

وبيَّن عبد الكريم الخطيب علة هذا الاختيار، بقوله:" وقد جاء النظم القرآني بلفظ "رقيب" بدل "مرتقب" الذي يقتضيه النَّظم ليدلُّ على أنَّ شعيبًا في المكان الذي يشرف منه على هؤلاء القوم عالٍ، كما يقوم القاضي على منصة القضاء"[٢]

اختار أبو الفداء(ت١١٢٧هـ)، أن يكون بمعنى (الراقب)، فقال:" إنِّي معكم رقيب بمعنى (الراقب) وكان شعيب (عليه السلام) يسمى خطيب الأنبياء لحسن محاورته مع قومه وكمال اقتداره في مراجعته جوابهم"[٣]، أمّا ما تقدَّم من المفسرين فقد ذكروا هذه الوجوه دون ترجيح منهم.[٤]

نلحظ من ذلك أنَّ ترجيح أنَّ يكون (فعيل) بمعنى (مفتعل) لا بمعنى (فاعل)، هو لتحقيق المشاكلة الصرفية مع الفعل (ارتقبوا).

ـ العدول من اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة

ومن ذلك ما كان من اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة، منها قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾(سورة الشعراء:٣٧).

---

(١)البحر المحيط:٦/٢٠٣، ويُنظر: روح المعاني:٦/٣٢٢.

(٢) التفسير القرآني للقرآن:٦/١١٩٣.

(٣)روح البيان:٤/١٨٠.

(٤)يُنظر: الكشاف:٢/٤٢٤، ومفاتيح الغيب:١٨/٣٩٢.

بينما قال الله عزَّ وجلَّ في سورة الأعراف: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (آية:١١٢). وفي سورة يونس: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾(آية:٧٩).

فاختلفوا في قراءة قوله: (بِكُلِّ ساحرٍ عَلِيْمٍ) في سورة الأعراف، وسورة يونس، إذ قرأ حمزة والكسائي: (سحَّار) على وزن (فعَّال) صيغة مبالغة، وقرأ الباقون، وهم: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: (ساحرٍ) على وزن (فاعل) اسم فاعل.

بينما أَجمعوا على قراءة (سحَّار) في سورة الشعراء، بأنْ يكون صيغة مبالغة.(١)

فعبَّر بصيغة المبالغة (سحَّار) بدل (ساحر) في سورة الشعراء؛ وذلك للمشاكلة اللفظية والمعنوية، فالنَّصّ القرآني اختار صيغة دون أخرى؛ للمشاكلة الصرفية التي تقتضي كذلك أنْ يكون هناك تناسب دلالي يناسب السياق القرآني، فعلَّل أبو حيان سبب هذا العدول، بقوله:" وتناسب سحارٌ عليم؛ لكونهما من ألفاظ المبالغة ولما كان قد تقدم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الشعراء:٣٤) ناسَبَ هُنا أنْ يُقابِلَ بقوله: (بِكُلِّ ساحرٍ عليمٍ)"(٢)

---

(١)يُنظر: السبعة في القراءات:٢٨٩، وإعراب القراءات السبع وعللها:١٢٢، والمحرر الوجيز:٤٣٨/٢، والبحر المحيط:١٣٢/٥، والنشر في القراءات العشر:٢٧١/٢، ، وروح المعاني:٢٤/٥.

(٢)البحر المحيط:١٣٢/٥.

وأرجع بعضهم هذا الاختلاف إلى أنه قال (سحَّار) بصيغة مبالغة؛ لأنه وصف ب(عليم)، فدلَّ على التناهي في علم السحر وحذقه به، فحسن لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر.[١]

وهذا ما يفهم من كلام الزمخشري، إذ قال:" وقُرِئ (سحَّار)، أي يأتوك بكلِّ ساحر مثله في العلم والمهارة، أو بخير منه"[٢]

وقال الدكتور فاضل السامرائي عن هذا الاختلاف:" فقد جاء في الأعراف بصيغة اسم الفاعل (ساحر)، وجاء في الشعراء بصيغة المبالغة (سحَّار)، وهذه الصيغة في الشعراء تتناسب مع المبالغة في قوة التحدي وشدة المواجهة بين فرعون وموسى (عليه السلام) وتتناسب مع غضب فرعون البليغ واندفاعه للنيل من موسى (عليه السلام) فهم أرادوا سحَّارًا بليغًا في السحر لا مجرد ساحر. وهذا يتناسب أيضًا مع مقام التأكيد على السحر، فإنَّ السحر أكد وكرر في الشعراء أكثر مما في الأعراف، فقد ذكر في الأعراف سبع مرات، وفي الشعراء عشر مرات. فانظر كيف اقتضى كل مقام اللفظة التي وردت فيه"[٣]

نلحظ من ذلك كله أنَّ النَّصَّ القرآني قد جاء بصيغة المبالغة في التعبير عن سحرة فرعون ليدل على أنَّ سحرهم يفوق سحر موسى (عليه السلام) حسب ظنِّهم، وجاء بصيغة اسم الفاعل (ساحر عليم) للتعبير عن سحر موسى (عليه السلام)، فكأَنَّ سحره قد وُصف بأنَّه عليم به متمكن

---

(١)يُنظر: الحجة للقراء السبعة :٦٤/٤، والتفسير البسيط:٢٧٤/٩، ومفاتيح الغيب:٣٣٣/١٤.

(٢)الكشاف:١٣٩/٢.

(٣)التعبير القرآني:٣٣١.

منه، فجاء مقابله بصيغة مبالغة فهي تدلُّ على تمكن سحرة فرعون من السِّحر بدلالة هذه الصيغة دون الحاجة إلى وصفٍ ليدل على المبالغة. فكان التعبير بصيغة المبالغة، لوصف فرعون موسى (عليه السلام) بالسحر عندما رأى معجزاته ارتهب لما لديه، فوصفه لقومه بأنَّه سحَّار، وقال لهم يُريد أنْ يخرجكم من أَرضكم بسحره، لذلك طلب الإتيان بكلِّ سحَّار عليم يفوق سحره سحر موسى (عليه السلام)، أما في سورة الأعراف، فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ أنَّ الكلام كان من لسان الملأ لفرعون.

٤-العدول من الإفراد إلى الجمع وبالعكس:

يتميز النَّصُّ القرآني باستخدام الصِّيغ الخاصة بالعدد بما يناسب السياق الواردة فيه وملائمتها للمعنى المراد، فنجده يُغاير في استخدامه لهذه الصيغ من الإفراد إلى التثنية أو الجمع وبالعكس. ونحن نعلم أنَّ العدد في العربية: إمَّا مفرد، أو مثنى، أو جمع، وقد يكون هناك عدول في العدد من الإفراد إلى الجمع أو بالعكس في القرآن الكريم؛ وذلك لأجل المشاكلة بين الصيغ الواردة في سياق الآيات المباركة، ولأنَّ استعمال النص القرآني لهذه الصيغ ليس عرضًا إنَّما لغاية وهي المشاكلة والتلاؤم بين صيغ الألفاظ والسياق الواردة فيها.

ومن العدول ما كان من الإفراد إلى الجمع، منه في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾(سورة الرحمن:٧٦).

فقد جاء لفظ (خضر) جمعًا مع أنَّه نعت لمفرد وهو قوله(رفرف)، فالمراد (رفرف أخضر)، فلما كان (رفرف) اسم جنس وهو الاسم الدال على الواحد وعلى الجمع، ومن صفاته يجوز أنْ يُنعت بجمع؛ لأنَّه يدل

على الجمع من خلال مدلوله، أو بمفرد الذي يدلُّ عليه من خلال لفظه فلفظه مفرد، وجاء هنا منعوتًا بجمع، وهو (خضر)، والذي حسَّن هذا الجمع؛ لمشاكلته لما بعده من قوله: (عبقري حسان)، ف (حسان) جمع.[1]

وهذا ما ذكره أبو حيان، بقوله:" على رفرف: وُصف بالجمع؛ لأنَّه اسم جنس، الواحد منها (رفرفة)، واسم الجنس يجوز فيه أن يُفرد نعته، وأن يُجمع لقوله: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾(سورة ق:١٠). وحَسَّن جمعه هنا مقابلته ل(حسان) الذي هو فاصلة"[2]

فالمقابلة بين عبارتي النَّصّ القرآني المتعاطفتين تُرجِّح أنَّ تأتي صيغها متماثلة تحقيقًا للون من التشاكل الصرفي الإيقاعي الذي يضفي على النص القرآني جمالية خاصة تطرب لها الاسماع وتهفو لها القلوب، فضلًا عن أنَّ القواعد التي ذكرها علماء اللغة متحققة إذ يسمح النَّظام اللغوي نعت اسم الجنس بالمفرد أو الجمع.

وقد يكون العدول في صيغ الجمع نفسها، فمثلًا يجري العدول من جمع المذكر السالم إلى جمع المؤنث السالم، أو من جمع القلة إلى جمع الكثرة، وبالعكس. ومن أمثلة هذا العدول، ما ذكره أبو حيان في العدول من صيغة جمع القلة إلى صيغة جمع الكثرة، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾(سورة يوسف:٤٣)

---

(١)يُنظر: إعراب القرآن، النحاس:٢١٣/٤، وشرح المفصل:٣٢٣/٣-٣٢٤..

(٢)البحر المحيط:٧١/١٠، واللباب في علوم الكتاب:٣٦٣/١٨.

وقعت المشاكلة في قوله: ﴿وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ﴾ إذ جاء مميز العدد (سبعة) مجموعًا جمع قلة وهو (جمع المؤنث السالم) وظاهر السياق القرآني من الممكن أنَّ يُجمع جمع تكسير كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ (سورة القرة:٢٦١)، لكن عدل عنه لغاية وهي المشاكلة الصرفية.

فكان سبب هذا العدول من جمع التكسير (جمع كثرة) إلى جمع التصحيح (جمع قلة)، وهو لسبب المشاكلة والمجاورة، فبيَّن أبو حيان هذا العدول بأنَّ مميز العدد؛ إمَّا يكون مجموعًا جمع تكسير أو جمع سلامة، فأنَّ جَمعها جمع سلامة لا يجوز إلا في موضعين، وهما: الأوَّل: ألاَّ يكون للمفرد منه جمعٌ إلاَّ سواه، نحو: (سبع بقرات)، و(سبع سماوات)، فصحَّ جمع التصحيح هنا لإهمال غيره، والثاني: إذا جاور ما أُهمل فيه جمع التكسير، كما عبَّر هنا النّصّ القرآني بقوله: (سبع سنبلات) لمجاورته (سبع بقرات).[1]

فمنهم من ذهب إلى أنَّه من باب التعاور بين صيغ الجمع، وهذا ما ذكره الزمخشري، بقوله:" فإنْ قُلتَ: هلاَّ قيل: سبع سنبلات، على حقِّه من التميز بجمع القلة كما قال: (وسبع سنبلات خضر)؟ قُلتُ: هذا لما قدَّمت عند قوله: (ثلاثة قروءٍ) من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها"[2]

---

(١)يُنظر: البحر المحيط:٦٥٥/٢-٦٥٦، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، تح: عبد الرحمن علي سليمان:١٣٢٢/٣، والدر المصون:٥٨٠/٢-٥٨١، وشرح شذور الذهب، الجوجري:٨٥٦/٢.

(٢)الكشاف:٣١٠/١، ويُنظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد:٥٧٣/١.

فـردَّ أبـو حيـان علـى قـول الزمخشـري بقولـه:" وتحصَّـل مـن هـذا الـذي قررنـاه أن قولـه: ﴿سَـبْعَ سَـنَابِلَ﴾ جـاء علـى مـا تقـرر فـي العربيـة مـن كونـه جمعًـا متناهيًـا، وأن قولـه: ﴿وَسَـبْعَ سُـنبُلاتٍ﴾ إنَّمـا جـاز لأجـل مشـاكلة: سـبع بقرات، ومجاورته، فليس استعذار الزمخشري بصحيح"(١)

ومـنهم مـن ذهـب إلـى أنَّ الغـرض مـن ذلـك، هـو مناسـبة سـياق الآيـات المباركـة، ففـي سـورة البقـرة كـان المقـام مقامًـا يـدلُّ علـى تكثيـر الأجـر لمـن يضـاعف الصـدقة، والأجـر الـذي أعـدَّه الله لـه؛ لـذلك جـاء المميـز العـدد جمـع كثـرة وبـدليل قولـه تعـالى فيمـا بعـده: ﴿وَاللَّـهُ يُضَـاعِفُ لِمَـنْ يَشَـاءُ﴾، فهـو مقـام زيـادة، أمَّـا فـي آيـة يوسـف، فهـي إخبـار عـن رؤيـا الملـك، فكـان مميِّـز العـدد جمع قلة، فلكل مقام مقال.(٢)

وفـي هـذا الصـدد قـال الزَّركشـي:" إنَّ آيـة البقـرة سـيقت فـي بيـان المضـاعفة والزيـادة، فناسـب صـيغة جمـع الكثـرة وآيـة يوسـف لحـظ فيهـا وهـو قليل فأتى بجمع القلة ليُصدق اللفظ المعنى"(٣)

نلحـظ مـن مجمـل الآراء التـي قيلـت فـي هـذا العـدول الصـرفي، أنَّ مـن المفسـرين مـن لجـأ إلـى المناسـبة السـياقية فـي تفسـير ذلـك، فـي حـين عـدَّ أبـو حيان المشاكلة الصَّرفية هي سبب هذا العدول.

---

(١)البحر المحيط:٦٥٦/٢.

(٢)يُنظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد ، جعفر الغرناطي:٧٠/١، ومعترك الاقران:١٨٩/٣.

(٣)البرهان في علوم القرآن:٢٢/٤.

الفَصْلُ الثاني

أولًا: مفهوم المشاكلة النحوية، وأنماطها.

ثانياً: التركيب بين المشاكلة اللفظية والمعنوية

ثالثاً: وسائل تحقيق المشاكلة النحوية

١. **التقدير**
٢. **التقديم والتأخير**
٣. **توافق الضمائر فيما تعود عليه**
٤. **الحذف**
٥. **الزيادة**
٦. **تناسب الجمل المتعاطفة من حيث الاسمية والفعلية**

رابعاً: غايات المشاكلة

١. **التماسك**
٢. **الانسجام الدلالي**
٣. **التناسب الايقاعي**
٤. **الدلالة على المحذوف**

خامساً: أثر المشاكلة النحوية في التوجيه النحوي

سادساً: المشاكلة والمفاضلة بين التقديرات

سابعاً: المشاكلة والقراءات القرآنية

أولًا: مفهوم المشاكلة النحوية، وأنماطها:

المشـــاكلة أو التناســـب والانســـجام لـــم يقتصـــر تحقيقـــه علـــى مســـتوى الصـــوت أو الصـــيغ الصـــرفية، بـــل شـــمل التركيـــب أيضًـــا، فقـــد راعـــى الـــنصُّ الكـــريم التـــوازن التركيبـــي فـــي جملـــه وعباراتـــه؛ ممّـــا يضـــفي علـــى الـــنَّصِّ ســـمة جمالية انفرد بها القرآن الكريم.

وقبـــل الخـــوض فـــي ذلـــك لا بُـــدَّ مـــن تتبـــع الإشـــارات الخاصـــة بهـــا فـــي كتـــب النّحـــاة وعنـــايتهم بهـــا، فقـــد كانـــت مـــن الأســـس التـــي اعتمـــدوها فـــي تقعيـــد القواعـــد النحويـــة وتعليـــل الظـــواهر النحويـــة، وقـــد عرفـــت بمســـميات مختلفـــة، وجاءت متفرقة في كتبهم، مقصورة على أمثلة تدل عليها ومعبرة عنها.

ومـــن هـــذه النصـــوص مـــا ذكـــره ســـيبويه (ت ١٨٠هـــ)، وكانـــت بلفـــظ (الجـــوار) الـــذي يعنـــي (المجـــاورة)، إذ قـــال:" وقـــد حملهـــم قُـــربُ الجِـــوار علـــى أنْ جرُّوا: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، ونحوَه، فكيف ما يصحُّ معناه"(١)

وقولـــه:" وممـــا جـــرى نعتًـــا علـــى غيـــر وجـــه الكـــلام: "هـــذا جُحْـــرُ ضَـــبٍّ خَـــرِبٍ" فالوجـــهُ الرفـــعُ، وهـــو كـــلامُ أكثـــرِ العـــربِ وأفصـــحهِم. وهـــو القيـــاسُ؛ لأنّ الخَـــرِبَ نعـــتُ الجُحْـــرِ والجُحْـــرُ رفـــعٌ، ولكـــن بعـــض العـــرب يجُـــرُّه، ولـــيس بنعـــتٍ للضـــبّ، ولكنّـــه نعـــتٌ للـــذي أُضـــيف إلـــى الضـــبّ فجـــرّوه؛ لأنَّـــه نكـــرةٌ كالضـــبِّ؛ ولأنـــه فـــي موضـــعٍ يقـــع فيـــه نعـــتُ الضـــبّ؛ ولأنـــه صـــار هـــو الضـــب بمنزلـــة اســـم واحدٍ"(٢)

---

(١) الكتاب: ٦٧/١

(٢)المصدر نفسه: ٤٣٦/١

نلحظ من كلام سيبويه أنَّه قد جر لفظ (خرب) وكان الأصح رفعه؛ لأنَّه صفة (جحر)، وليس صفة (ضب) ولكنَّهم جروه حملًا على مجاورته للفظة (ضب) فمن باب التشاكل جُرَّ.

وذكر الفراء في تفسير سورة الضحى:" وقوله عزَّ وجلَّ :﴿فَأَغْنَى﴾(سورة الضحى:٨) و ﴿فَآوَى﴾ (سورة الضحى:٦) يُراد به (فأغناك) و(فآواك) فجرى على طرح الكاف؛ لمشاكلة رؤوس الآيات، ولأنَّ المعنى معروف"(١)

وقال ابن السَّراج:" وكذلك إذا عطفت جملة على جملة فكانت الأولى فيها الاسم مبني على الفعل، كان الأحسن في الجملة الثانية أن تشاكل الأولى، وذلك نحو:" ضربت زيدًا وعمرًا كلمته" والتقدير: ضربت زيدًا وكلمت عمرًا فأضمرت فعلًا يفسره "كلمته"(٢)

وقال أبو علي الفارسي:" فإذا جاءت الجملة مركبة من فعل وفاعل ووقعت بعدها جملة يجوز أنْ يبتدأ بها نحو: زيد كلمته، فالاختيار فيها أنْ تُحمل على فعلٍ مضمرٍ، وينصبُ الاسمُ به ليقع العطفُ في جملة مُشاكلة للجملة الأولى في أنَّه من فعلٍ وفاعلٍ؛ لأنَّ المركبة من فعل وفاعل أشبه من المركبة من المبتدأ وخبره"(٣)

وقوله: "قد تحدث أشياء توجب تقديم غير الأصل على الأصل طلبًا للتشاكل وما يوجب الموافقة" (٤)

---

(١)معاني القرآن:٣/٢٧٤.

(٢)الأصول في النحو:٢/٢٥٣.

(٣)التعليقة على كتاب سيبويه، تح: عوض بن حمد القوزي:١/١٢٢.

(٤)الحجة للقراء السبعة:١/٧٠-٧١.

وقولـــه:" وإذا كـــانوا قـــد اســـتجازوا لتشـــاكل الألفـــاظ وتشـــابهها أنْ يجـــرُّوا علـــى الثـــاني طلبًـــا للتشـــاكل مـــا لا يصـــح فـــي المعنـــى علـــى الحقيقـــة، فـــأن يلـــزم ذلك ويحافظ عليه فيما يصح في المعنى أجدر وأولى"(١)

وقـــال العكبـــري:" ومـــن المجـــاورة، قـــولهم: قـــامَ زيـــدٌ وعمـــرًا كلمتـــه، استَحْسَـــنُوا النصـــبَ بفعـــلٍ محـــذوفٍ لِمجـــاورة الجملـــةِ اســـمًا قـــد عَمِـــلَ فيـــه الفِعلُ"(٢)

وقـــد أشـــار ابـــن يعـــيش إلـــى المشـــاكلة بقولـــه: "والعـــرب تختـــار مطابقـــة (مشـــاكلة) الألفـــاظ مـــا لـــم تُفْسِـــد علـــيهم المعـــاني، فـــإذا جئـــت بجملـــةٍ صـــدَّرتها بفعـــل، ثـــمَّ جئـــت بجملـــة أُخـــرى معطوفـــةٍ علـــى الجملـــة الأولـــى ،فيهـــا فعـــلٌ، كـــان الاختيـــارُ تقـــدير الفعـــل فـــي الجملـــة الثانيـــة ...، نحـــو: "قـــام زيـــدٌ وعمـــرًا كلمتُـــه"، إذ الغـــرضُ توافُـــق الجُمـــل وتطابقُهـــا لا تختلـــف، ولـــيس الغـــرضُ أن يكـــون فيهـــا منصـــوبٌ. قـــال تعـــالى: ﴿وَكُـــلَّ إِنْســـانٍ أَلْزَمْنَـــاهُ طَـــائِرَهُ فِـــي عُنُقِـــهِ﴾ (ســـورة الأســـراء:١٣)، فنصـــب "كـــلاً"؛ لأنَّ قبلـــه فعـــلاً وهـــو ﴿وَجَعَلْنَـــا اللَّيْـــلَ وَالنَّهَـــارَ آيَتَـــيْنِ﴾ (ســـورة الاســـراء:١٢)، وأضـــمر لـــه فعـــلاً نَصَـــبَه بـــه، ثـــمَّ عطفهـــا علـــى الأولـــى؛ لتشـــاكُلها فـــي الفعليـــة. وإذا كـــان النصـــبُ مـــن غيـــر تقـــدُّم فعـــلٍ جـــائزًا، كان مع تقدُّمه مختارًا، إذ فيه تشاكُلُ الجملتَيْن من غير نقضٍ للمعنى"(٣)

نلحـــظ مـــن ذلـــك أنَّ النّحـــاة قـــد عبَّـــرُوا عـــن هـــذه المشـــاكلة بألفـــاظ تـــدلُّ عليها، فمنها الجوار، والمطابقة، والمناسبة، وغير ذلك.

---

(١)الحجة للقراء السبعة:١/٣١٥-٣١٦.

(٢)التبيان في إعراب القرآن:١/٤٢٣.

(٣)شرح المفصل:١/٤٠٤-٤٠٥.

وقد عبَّرَ عنها معربو القرآن الكريم بألفاظ مختلفة، منها المشاكلة، والمناسبة، والمقابلة، والجوار، والموافقة، واشتقاقات هذه الكلمات، واستعمل أبو حيان مصطلح المشاكلة، ومن ذلك قوله:" وإنَّما جِيءَ بلفظِ الصبغة على طَريق المشاكلة، كما تقولُ لرجلٍ يَغْرِسُ الاشجارَ: اغْرِسْ كما يَغْرِسُ فلانٌ، يُريدُ رجلاً يَصْطَنِعُ الكرمَ"(١)

ومعبرًا عنها بالمطابقة في قوله:" ويجوز أنْ يكونَ ماذا كُلُّهُ استفهامًا منصوبًا ب (يُنْفِقُونَ)، وتكون المطابقةُ من حيث المعنى لا من جهة اللفظ"(٢)

ومعبرًا عنها بالمقابلة في قوله:" واختارَ أنْ يكونَ مبتدأً والخبرُ محذوفٌ تقديره: إلقاؤك أوَّلُ ويدلُّ عليه قوله: ﴿وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ فتَحْسُنُ المقابلةُ من حيث المعنى"(٣)

ومعبرًا عنها بالجوار في قوله:" وأنَّ أصلَه النصبُ فَخُفِضَ عطفًا على الجوار"(٤)

يبدو من ذلك أنَّ المشاكلة بين التراكيب، تلك الخاصية التي يلجأ إليها صاحب النَّصّ، أو المعرب، أو القارئ في تحديد الحكم الإعرابي أو اختياره أو ترجيحه وفق ضوابط معينة، وتُعرف ب: "هي حمل التركيب على أحد التوجيهات المحتملة لوقوعه بصحبة تركيب آخر موازٍ له في انتظام عناصره وبنائه الفني"(٥)

---

(١)البحر المحيط:١/٦٥٦.

(٢)المصدر نفسه:٢/٤٠٧.

(٣)المصدر نفسه:٧/٣٥٤.

(٤)المصدر نفسه:١/٥٤٤.

(٥) فصاحة التركيب القرآني عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، د. شعلان عبد علي سلطان، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل ،٢٠١٧م:٧٠٧.

أنماط المشاكلة:

للمشاكلة النحوية ثلاث صور تتحقق فيها، وهي:

١-المشاكلة في الآية نفسها، فتكون على صعيد السياق المتصل، وذلك في سورة واحدة وبين تراكيب آية واحدة أو آيتين متتاليتين، وقد اعتمد عليها أبو حيان في توجيهه تركيبًا معينًا، لموافقته تركيبًا آخر في الآية نفسها، ومن ذلك إعراب قوله (رزقًا) من قوله تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٢)

أجاز المعربون في إعراب (رزقًا)، فذكروا في ذلك ثلاثة أوجه:[١]

الأول: أنَّ يكون مفعولًا به ل (أخرج)، وتكون شبه الجملة (من الثمرات)، حالًا، في الأصل كانت صفة ولما تقدمت على موصوفها، أصبحت حالًا، متعلقًا بمحذوف، فيكون التقدير: رزقًا كائنًا من الثمرات.

الثاني: أنَّ يكون حالاً من المفعول به وهو شبه الجملة (من الثمرات)، على أن الرزق بمعنى المرزوق، كالطِّحن والرِّعي.

الثالث: أنَّ يكون مفعولاً لأجله، ويكون مفعول الفعل، هو شبه الجملة أيضًا، وهي قوله:(من الثمرات)، أي: وأنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات، ليكون بعض رزقكم.

---

(١)يُنظر: الكشاف:٩٤/١، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد:١٨٧/١، والبحرالمحيط:١٦٠/١، والدر المصون:١٩٣/١، وروح المعاني:١٩١/١.

رجَّح أبو حيان أنْ يكون إعراب (رزقًا) مفعولًا به للفعل (أخرج)، وليحصل تشاكل بين تراكيب الآية المباركة، ففي هذا الوجه يكون مشاكلته لقوله تعالى من الآية نفسها، وهو قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء﴾ (سورة البقرة:٢٢).[١]

نلحظ من ذلك أنَّ الجملة المعطوفة عليها لا يحتمل الاسم المنصوب وهو قوله: (ماء) إلا المفعولية؛ لأنَّه اسم جامد، و(من السماء) شبه جملة لا يصح أنْ تكون مفعولًا به، ومقتضى التشاكل بين الجملتين المتعاطفتين أن يتوازن تركيبهما، فيكون التركيبان على النحو الآتي: فعل +شبه جملة +مفعول به.

٢-المشاكلة بين آيات مختلفة، على صعيد السياق المنفصل، وذلك يكون بين آيات مختلفة وسور مختلفة، وهذه الصورة كثيرًا ما اعتمد عليها أبو حيان في توجيهه للآيات المباركة.

ومنها في قوله تعالى:﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(سورة طه:٩٢)

اختلف المعربون في توجيه (لا) من قوله: (ألا تسجد):[٢]

فقيل: يقدر معها محذوف يصح معه المعنى، وهو (ما منعك فأحوجك أن لا تسجد).

وقيل: معناها النفي، فمعنى: من أمرك أن لا تسجد، ومن قال لك أن لا تسجد.

---

(١)يُنظر: البحر المحيط:١/١٦٠.

(٢)يُنظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح: إبراهيم شمس الدين:١٥٤، إعراب القرآن، النحاس:٥/٥١، وشرح الكافية الشافية:٣/٥٦٢، والبحر المحيط:٥/١٧، والدر المصون٥/٢٦٢، ومغني اللبيب عن كتب الاعاريب:٣٢٧، وروح المعاني:٤/٣٢٨.

وقيل: أنْ تكون زائدة للتوكيد، وذلك بدليل قوله تعالى:﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: ٧٥)، وكذلك قوله تعالى:﴿ لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ (الحديد:٢٩)، وهو توجيه الزمخشري.(١)

وقد رجح أبو حيان توجيه الزمخشري بقوله:" والظاهرُ أنَّ (لا) زائدةٌ تفيد التوكيد والتحقيق كهي في قوله:﴿ لِئَلا يَعْلَمَ﴾ أي: لأن يعلم وكأنَّه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك ويدل على زيادتها قوله تعالى:﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ وسقوطها في هذا دليل على زيادتها في {ألاَّ تَسْجُدَ} والمعنى أنَّه وُبِّخَه وقرَّعَهُ على امتناعه عن السُّجُودِ"(٢)

والملاحظ أنَّ أبا حيان اختار الوجه النحوي الذي حقق التشاكل مع آية أخرى في سياق آخر جاءت متماثلة في تركيبها للآية التي هي محل الحديث.

٣-المشاكلة بالقراءات القرآنية: فقد يختار المعرب وجهًا معينًا من الأوجه النحوية لموافقته قراءة قرآنية أخرى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(سورة البقرة:٢٨٥)

---

(١)الكشاف:٨٩/٢.

(٢)البحر المحيط:١٧/٥.

وجَّه المعربون قوله: (والمؤمنون) بوجهين: [1]

الأول: أنْ يكون (والمؤمنون) معطوفًا على (الرسول)، أي مرفوع بالفاعلية، فيكون المعنى: آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه؛ لأنَّ العطف يقتضي الشركة في اللفظ والمعنى بين المعطوف والمعطوف عليه.

الثاني: أنْ يكون (والمؤمنون) مبتدأ، فيكون المؤمنون غير داخلين فيما دخل فيه الرسول، فيكون المعنى: أنَّ الرسول آمن بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون آمنوا بالله وملائكته وكُتبه ورُسله.

رجَّح أبو حيان الوجه الأوَّل، وهو أنْ يكون (والمؤمنون) عطفًا على الرسول؛ وذلك لموافقته قراءة أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب – عليه السلام–) وعبدالله: {وآمن المؤمنون}، فأظهر الفعل الذي أضمره غيره من القرَّاء، فإن القراءة القرآنية الواردة في الآية تفرز لنا معنى يحمله الوجه الأول دون الثاني؛ وهذا التشاكل يُعد مرجحًا للوجه الأول؛ لأنَّه يحقق توافق القراءات في المعنى.[2]، وهذا ما رجَّحه من بعده تلميذه السمين الحلبي [3]، والألوسي(ت١٢٧٠هـ)[4].

---

(١)يُنظر:الكشاف:٣٣١/١، ومفاتيح الغيب:١٠٧/٧، والتبيان في إعراب القرآن:٢٣٤/١، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل:٢٣٣/١.

(٢)يُنظر: البحر المحيط:٧٥٦./٢

(٣)الدر المصون:٦٩١/٢.

(٤)روح المعاني:٦٥/٢.

ثانيًا: التركيب بين المشاكلة اللفظية والمعنوية:

تتميز تراكيب اللغة العربية بالمرونة، ولعناصرها الحرية في الانتقال من موقع إلى آخر بحسب قواعد وضوابط أقرها النحاة العرب، وهذه المرونة سمحت للتركيب بتحقيق المشاكلة اللفظية وتناسق العناصر في ترتيبها، فضلاً عن أن للمشاكلة النحوية خاصية تتجاوز بها تحقيق التناسب والانسجام اللفظي، بل تتعداها؛ لتحقيق التشاكل والانسجام الدلالي والجمالي للتراكيب النحوية.

عنى أبو حيان بتراكيب النَّصِّ القرآني عناية خاصة، وكانت فكرة المشاكلة اللفظية والمعنوية حاضرة عنده، فقد تكررت كثيرًا، فأحيانًا يرجِّح المشاكلة اللفظية على المعنوية، وأحيانًا يرجِّح المعنوية على اللفظية، وفي أحيانٍ أخرى يرجح اللفظية مع المعنوية.

ومن صور المشاكلة اللفظية عنده، ما يتعلق بالإعراب والعطف على الجوار، والتقديم والتأخير، وغيرها.

ومن ذلك توجيهه في إعراب (السَّماء) من قوله تعالى:﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (سورة الرحمن:٦-٧)، إذ قال: " وقرأ الجمهور: والسماءَ بالنَّصب على الاشتغال، روعي مشاكلة الجملة التي تليه وهي (يسجدان)، وقرأ أبو السمال: (والسماءُ) بالرفع، راعى مشاكلة الجملة الابتدائية "[1]

فذكر لكلِّ قراءة وَجَه مشاكلةٍ وتناسبٍ مع ما عطف عليه الجَملة، فالقراءتان تمثلان وجهين نحويين جائزين، كل منهما روعي فيها تشاكله من جهة ما مع التركيب السابق له.

---

(١)البحر المحيط:٥٦/١٠.

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة:١٦٣)

وذلك في توجيهه المستثنى (هو) من قوله: (لا إله إلا هو) بأنَّه بدل مرفوع من الضمير المستتر في الخبر المحذوف لما قبله، قال:" فأعْرَبُوا ما كان تابعًا لما قبلَه بدلاً، وأعربوا هذا منصوبًا على الاستثناء، غير أن الإتباع أولى للمشاكلة اللفظية، والنصب جائز ولا نعلم في ذلك خلافًا" (١)

كان من الممكن أنْ يُعرب بدلًا من اسم (لا) على المحل، الذي محلها الرفع على الابتداء، أو بدلًا من (لا) وما عملت فيه، لكن أبا حيان قد استشكل هذا الإعراب وأعربه بدلًا من الضمير المحذوف في خبر (لا) المحذوف.

وفيما يتعلق بالمشاكلة للمجاورة، فقد تتغير صيغة الكلمة أو بنيتها للمجاورة والمشاكلة لما قبلها، وفي بعض الأحيان تتقدم بعض الكلمات أو تتأخر، أو يحصل لها حذف، أو تُعرب بإعراب ما، أو قد تأتي ألفاظ منونة مخالفة للقاعدة النحوية الخاصة بها؛ لأنَّها ممنوعة من الصرف، كلّ هذا من أجل المشاكلة اللفظية التي تمثلها المجاورة.

ومن ذلك توجيهه لقراءة (يغوث ويعوق) من قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (سورة نوح:٢٣)

---

(١)البحر المحيط:٢/٧٥.

قرأ الجمهور (يغوث ويعوق) من دون تنوين، وقرأ الأشهب العقيلي والأعمش (يغوثا ويعوقا) بالتنوين، حيث صرفا ما كان ممنوعًا من الصرف، وقد وجَّه أبو حيان هذه القراءة بناءً على المشاكلة، ومناسبة لما قبلهما وما بعدهما.(١)

بينما رأى ابن عطية أنَّ هذه القراءة وهمٌ، إذ قال:" وقرأ الأعمش:" ولا يغوثا ويعوقا " بالصرف، وذلك وهم، لأنَّ التعريف لازم ووزن الفعل"(٢)

ردَّ عليه أبو حيان بقوله:" وليس ذلك بوهم، ... ، وتخريجه على أحد الوجهين، أحدهما: أنَّه جاء على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف عند عامة العرب وذلك لغة وقد حكاها الكسائي وغيره، والثاني: أنَّه صرف لمناسبة ما قبله وما بعده من المنون، إذ قبله ﴿وَدًّا وَلا سُوَاعًا﴾، وبعده ﴿وَنَسْرًا﴾، كما قالوا في صرف ﴿سَلاسِلا وَأَغْلالا وَسَعِيرًا﴾(سورة الانسان:٤)و ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾(سورة الانسان:١٥-١٦) لمن صرف ذلك للمناسبة"(٣)

وكان الزمخشري قد فسَّر هذه القراءة بالمشاكلة وعبَّر عنها ب(الازدواج)، فقال في توجيه هذه القراءة:" وهذه القراءة مشكلة؛ لأنَّهما إنْ كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف: إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة، ولعله قصد الازدواج فصرفهما، لمصادفته

---

(١)يُنظر: معاني القرآن، الفراء:١٨٩/٣، وإعراب القرآن، النحاس:٢٩/٥، وإعراب القراءات السبع وعللها:٤٦٢-٤٦٣، والبحر المحيط:٢٨٧/١٠، وروح المعاني:٨٧/١٥.

(٢)المحرر الوجيز:٣٧٦/٥.

(٣)البحر المحيط:٢٨٧/١٠.

أخواتهما منصرفات (ودًا وسواعًا ونسرًا)، كما قرئ: وضحاها بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج"[1]

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان قد وجه صرف الممنوع من الصرف بناءً على مشاكلته لما قبله وما بعده.

أمَّا موقفه فيما يتعلق بالجر على الجوار أو العطف على الجوار، فهو كثيرٌ ما يرفض هذه الفكرة، أو يعدها من الوجوه النحوية الضعيفة أو يصفها بالشذوذ.

ومن ذلك رأيه في الجر على الجوار في قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ (سورة طه:٨٠)

فقد رفض حمل قراءة الجر لقوله: ﴿الأَيْمَنَ﴾ من قوله: ﴿جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ﴾ على المشاكلة. ووصف القول بها بالشذوذ، وذلك بعد رفضه توجيه الزمخشري والرازي، فقال:" وقرئ الأيمنُ بالجر على الجوار، نحو:(جُحْرَ ضَبٍّ خَرِبٍ)"[2]

ثمَّ علَّق على ذلك، بقوله:" وهذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي ان لا تخرج القراءة عليه، والصحيح أنه نعت للطور لما فيه من اليمن وأما لكونه على يمين من يستقبل الجبل"[3]

---

(١)الكشاف :٦١٩/٤.

(٢)الكشاف:٧٩/٣، ويُنظر: مفاتيح الغيب:٧٣/٢٢.

(٣)البحر المحيط:٣٦٤/٧، ويُنظر: الدر المصون:٨٥/٨.

أمَّا العطف على الجوار، ففي قوله تعالى:﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(سورة البقرة:١٠٥)

ففي قوله: ﴿وَلاَ الْمُشْرِكِينَ﴾ معطوف على (أهل) المجرور ب (من)، وتكون هنا (لا) زائدة للتوكيد، لأن المعنى: ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، كقوله تعالى:﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾(سورة البينة:١)

ويجوز في النحو القول :(ولا المشركون)، عطفًا على الذين كفروا، وذكر أبو حيان أنَّ أبا إسحاق الشيرازي(ت٤٧٦هـ) (صاحب كتاب التنبيه) يرى أن الأصل في (ولا المشركين) الرفع عطفًا على الذين كفروا، وإنما خفض للمجاورة، نحو:﴿ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(سورة المائدة:٦).[١]

أمَّا أبو حيان فقد رأى هذا التوجيه غير مقبول، إذ قال:" وهذا حديث من قصر في العربية، وتطاول إلى الكلام فيها بغير معرفة، وعدل عن حمل اللفظ على معناه الصحيح وتركيبه الفصيح. ودخلت (لا) في قوله: ولا المشركين، للتأكيد، ولو كان في غير القرآن لجاز حذفها"[٢]

---

(١)يُنظر: معاني القرآن، الفراء:٧٠/١، وإعراب القرآن، للنحاس:٧٣/١ ، والتبيان في إعراب القرآن:١٠٢/١، والبحر المحيط:٥٤٤/١، والدر المصون:٥٣/٢.

(٢)البحر المحيط:٥٤٥/١.

أمَّا المشاكلة المعنوية التي يُقصد بها، مشاكلة معنى لمعنى في اختيار معنى افاده النص في موضع آخر، أي هناك آية قرآنية تحمل المعنى نفسه تفسر به.[1]، فكانت حاضرة بوضوح في توجيهاته النحوية، فهو كثيرًا ما يذهب الى مراعاة المعنى على جانب اللفظ، ومنها ما يكون متعلقًا بالألفاظ المعجمية ودلالتها، أو تكون متعلقة بدلالتها في السياق القرآني.

ومن أقواله في ترجيح التشاكل المعنوي، قوله:" هو مطابق من جهة المعنى"[2]، وقوله:" فتحسن المقابلة من حيث المعنى"[3]، وقوله:" هو مراعىً من حيث المعنى"[4]

ومن توجيهاته المتعلقة بالمشاكلة المعنوية الخاصة بدلالة ألفاظ المعجمية، في قوله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(سورة الانعام:١٠٣)

فالفعل (يدرك) في قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ له دلالتان معجميتان، الأولى: يأتي بمعنى الرؤية. والثانية: بمعنى الإحاطة بالشيء.

---

(١)يُنظر: المشاكلة التركيبية في البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي دراسة نحوية دلالية ، بحث منشور ، للدكتور، إبراهيم بن هادي ، مجلة جامعة طيبة ، العدد:٢٠، ١٤٤١ هـ: ٢١٥.

(٢)البحر المحيط : ٤٨/٥.

(٣)المصدر نفسه:٣٠٤/٧.

(٤)المصدر نفسه :٢٧١/٨.

وقد رجَّح أبو حيان أنْ يكون معنى الفعل (يدرك) الإحاطة بالشيء، والوصول إلى أعماقه، قال:" وفي قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ دلالة على أنَّ الادراك لا يراد به هنا مجرد الرؤية، إذ لو كان مجرد الرؤية لم يكن له تعالى بذلك اختصاصٌ ولا تَمَدُّحٌ؛ لأنَّا نحن نرى الأبصار فدَلَّ على أن معنى الإدراك الإحاطة بحقيقة الشيء، فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار وهو محيط بحقيقتها"(١)

فالإدراك هنا يعني أنَّه لا يخفى عليه شيء محسوس وغير محسوس، وذُكر الابصار هنا لمراعاة الكلام الذي قبله.

ويرى الزمخشري أنَّ معنى الإدراك هنا الرؤية، بقوله:" فالمعنى أنَّ الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه؛ لأنَّه متعال أنْ يكون مبصرًا في ذاته؛ لأنَّ الأبصار إنَّما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو تابعًا، كالأجسام والهيئات وهو يدرك الأبصار وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك"(٢)

وقال الرازي عنهم:" أنَّهم قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية، بدليل أنَّ قائلاً لو قال أدركته ببصري وما رأيته، أو قال رأيته وما أدركته ببصري فإنَّه يكون كلامه متناقضًا، فثبت أنَّ الإدراك بالبصر عبارة عن الرؤية"(٣)

---

(١)البحر المحيط:٤/٦٠٦.

(٢)الكشاف: ٢/٥٤.

(٣)مفاتيح الغيب: ١٣/٩٩.

فيردُّ الرازي على كلامهم بقوله:" لا نُسلِّمُ أنَّ إدراك البصر عبارةٌ عن الرؤية والدليل عليه: أنَّ لفظ الادراك في أصل اللغة عبارة عن اللّحوق والوصول، قال تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(سورة الشعراء:٦١)، أي لملحقون ، ويقال: أدرك فلان فلانًا، وأدرك الغلام أي بلغ الحلم. فثبت أنَّ الإدراك هو الوصول إلى الشيء"(١)

وقيل: معنى (وهو يدرك الأبصار) لا يخفى عليه شيء، وذكر الأبصار هنا مجانسة لما قبله في قوله: (لا تدركه الأبصار)، إذ قال الزجاج:" في هذا الإعلام دليلٌ أن خَلقَهُ لا يُدرِكُونَ الأبصارَ، أي لا يعرفونَ كيف حقيقةُ البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر بعينيه دون أنْ يبصر من غيرهما من سائر أعضائه"(٢)

ففي قوله:﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾قد نسب الله عزّ وجلّ الادراك إلى نفس الأبصار، وعلَّ السيد الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ) ذلك بقوله:" وقد نسب إدراكه إلى نفس الأبصار، دون أولي الأبصار؛ لأنَّ الإدراك الموجود فيه تعالى ليس من قبيل إدراكاتنا الحسية حتى يتعلق بظواهر الأشياء من أعراضها كالبصر مثلًا الذي يتعلق بالأضواء والألوان، ... ، بنحو بل الأعراض وموضوعاتها بظواهرها وبواطنها حاضرة عنده مكشوفة له غير محجوبة عنه ولا غائبة فهو تعالى يجد الأبصار بحقائقها وما عندها وليست تناله"(٣)

---

(١)مفاتيح الغيب: ١٣/١٠٠.

(٢)معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٢/٢٧٨ ، ويُنظر: البحر المحيط: ٤/٦٠٦.

(٣)الميزان في تفسير القرآن:٧/٣٠٢.

ومن لطيف القول ما ذكره أحمد أبو زيد عن هذه المشاكلة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾هو بيان بأنَّ الله عزَّ وجلَّ يدرك الأشياء كلها جليلها ودقيقها، واللفظ القرآني يؤدي هذا المعنى بطريقة جمعت بين وضوح الدلالة وجمال العبارة، ومنشأ جمالها هذه المشاكلة.(١)

وممَّا يؤكِّد أنَّ معنى الفعل (أدرك) في قوله تعالى:﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ أنَّه بمعنى الإحاطة بالشيء، فمعناها ما يتعلق بالشخص المبصر لا العين (الجارحة)؛ لأنَّ العين هي وسيلة للإدراك، فهي توصل الشَّيء المرئي الى الدماغ، وإنمَّا ذكر جلَّ وعلا قوله: (وهو يدرك الأبصار) لمشاكلته لما قبله من قوله: (لا تدركه الابصار)، وهذا ما رجحه أبو حيان الأندلسي في تفسيره.(٢)

وأيضًا توجيهه في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (سورة المائدة: ٥٤)

قوله: (أذلة) من قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ كان من الممكن أن يُعدَّى ب (اللام) ولكنَّه عدل عن التعدية بحرف جر آخر وهو (على)؛ لأجل غاية معنوية وهو تضمن معنى قوله(أذلة) العطف والحنو وليس الضعف، وفي ذلك قال أبو حيان:" وعُدي أذلة بعلى وإن كان الأصل باللام؛ لأنَّه ضمنه معنى الحنو والعطف، كأنَّه قال: عاطفين على

---

(١)التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي :٢٧٠.

(٢)يُنظر: البحر المحيط: ٢٩٨/٢، والدر المصون: ٣٠٩/٤.

المؤمنين على وجه التذّلل والتَّواضع. قيل: أو لأنَّه على حذف مضاف التقدير: على فضلهم على المؤمنين، والمعنى أنَّهم يذلّون ويخضعون لمن فضلوا عليه مع شرفهم وعلو مكانهم، وهو نظير قوله: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾(سورة الفتح:٢٩)"[١]

وبيَّن الدكتور فاضل السامرائي سبب هذا العدول بقوله:" فعدَّى (أذلة) جمع ذليل ب (على) والأصل أنْ يعدَّى باللام لأنَّه يقال: (هو ذليل له) ولا يقال: (ذليل عليه) وقد عدل عن التعدية باللام إلى التعدية ب (على) لأنَّ المعنى يقتضي ذاك، وهو هُهنا في مقام المدح، فجاء ب (على) للإشعار بالذلة المستعلية وللدلالة على خفض الجناح، كما قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(سورة الحجر:٨٨)، أيْ: هم يوطئون أكنافهم ويتواضعون مع علو جانبهم وارتفاع مكانتهم، فجاء ب(على) للإشعار بالعلو (بخلاف ما لو قال :أذلة للمؤمنين)"[٢]

ومن نماذج المشاكلة المعنوية المتعلقة بدلالة السياق القرآني، إعراب المصدر المنسبك من (إمَّا أنْ تلقي) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (سورة طه:٦٥)

ذُكر في قوله: ﴿أَن تُلْقِيَ﴾ وجهين من الإعراب:[٣]

---

(١)البحر المحيط:٤/٢٩٨ -٢٩٩، والدر المصون:٤/٣٠٩.

(٢)التعبير القرآني:٢٠٣.

(٣)يُنظر: الكشاف:٣/٧٣، والبحر المحيط:٧/٣٥٤، والدر المصون:٨/٦٩-٧٠.

الأول: منصوب بفعل محذوف تقديره: (اختر أحد الامرين)، وهذا كان تقدير الزمخشري، فعلَّق أبو حيان على هذا الاختيار بقوله:" هذا تفسير معنى لا تفسير إعراب وَتفسِيرُ الْإعرابِ إِمَّا نَخْتَارُ أَنْ تُلْقِيَ"

الثاني: أنَّه مرفوع على الخبر والمبتدأ محذوف، تقديره: الأمر إلقاؤُك أو إلقاؤُنا، وهذا تقدير الزمخشري.(١)

الثالث: أنَّه كذلك مرفوع على المبتدأ ويكون الخبر محذوفًا تقديره: إلقاؤك أوَّلٌ. وهذا ما رجَّحه أبو حيان بقوله:" واختار أنْ يكون مبتدأ والخبر محذوفٌ تقديره إلقاؤك أول ويدل عليه قوله: {وإمَّا أنْ نكون أول من ألقى} فتحسن المقابلة من حيث المعنى وإنَّ كان من حيث التركيب اللفظي لم تحصل المقابلة"(٢)

فيعلق على اختيار الزمخشري بقوله:" لأنَّا قدَّرنا إلقاؤك أوَّلُ ومقابلةُ كونهم يكونون أوَّلَ مَنْ يُلقي لَكِنَّه يلزمُ من ذلك أن يكون إلقاؤُهم أوَّل فهي مقابلة معنوية. وفي تقدير الزمخشري الأمرُ إلقاؤكَ لا مُقابلة فيه، وتقدَّم نحو هذا في سورة الاعراف"(٣)

كان ترجيح أبي حيان لهذا التقدير، وذلك لملاءمة هذا الإعراب لمعنى السياق القرآني، ومشاكلته لما بعده.

---

(١)يُنظر: الكشاف:٣/٧٣.

(٢)يُنظر: البحر المحيط:٧/٣٥٣-٣٥٤.

(٣)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

ومن القضايا المتعلقة بتراكيب النَّصّ القرآني هي قضية مطابقة الجواب للسؤال من حيث اللفظ والمعنى، فقد يبتدئ المتكلم بمعنى ثمَّ يتمّ كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، فعندما يخالف الجواب السؤال لفظًا ويطابقه له معنى، هنا يكون خروج عن قواعد التكلم، كل هذا خدمة للسياق الوارد فيه.

وكثيرًا ما يذهب أبو حيان الى اختيار مخالفة الجواب للسؤال من حيث اللفظ ومطابقته من حيث المعنى، ذلك لمشاكلته معنى السياق.

وهذه بعض النماذج التي توضح موقف أبي حيان من هذه القضية، منها في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(سورة آل عمران:١٦٥)

فأداة الاستفهام (أنى) قد تأتي بمعنى: كيف، وبمعنى: من أين، وبمعنى: متى.

فاختار أبو حيان أن تكون بمعنى (كيف)، قال:" و(أنّى) سؤال عن الحال هنا، ولا يناسب أنْ يكون هنا بمعنى (أين) أو (متى)؛ لأنَّ الاستفهام لم يقع عن المكان ولا عن الزمان هنا إنَّما الاستفهام وقع عن الحالة التي اقتضت لهم ذلك سألوا عنها على سبيل التعجب، فإنَّ الجواب جاء على مراعاة المعنى لا على مطابقة الجواب للسؤال في اللفظ، والسؤال بأنى سؤال عن تعيين كيفية حصول الأمر، والجواب بقوله: {من عند أنفسكم}، يتضمن تعيين الكيفية؛ لأنَّه بتعيين السبب تتعين الكيفية من حيث المعنى، لو قيل على سبيل التعجب والانكار: كيف لا يحج زيد الصالح، وأجيب ذلك بأنْ

يُقال: بعدم استطاعته حصل الجواب وانتظم من المعنى أنَّه لا يحجّ وهو غير مستطيع"[1]

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان قد رجّح كون (أنى) بمعنى (كيف) بناءً على المشاكلة المعنوية التي تمثلها مطابقة الجواب للسؤال من حيث معناه لا من حيث لفظه؛ وذلك لغرض خدمة سياق النَّصّ القرآني والذي تطلبه معناه، وهو تحقيق الانسجام الدلالي.

وقد اختار الزمخشري أنْ تكون (أنَّى) بمعنى (من أين) كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ﴾ (سورة آل عمران:٣٧)، بدليل قوله تعالى:{ من عند أنفسكم} وقوله: { من عند الله}.[2]

كان اختيار الزمخشري أنْ يكون هناك تطابق بين السؤال والجواب في اللفظ لا في المعنى.

فردَّ عليه أبو حيان بقوله:" والظَّرف إذا وقع خبرًا للمبتدأ ألاَّ يُقَدَّرُ داخلاً عليه حرف جر غير (في)، أمَّا أنْ يقدر داخلاً عليه (مِن) فلا؛ لأنَّه إنَّما انتصب على إسقاط (في). ولك إذا أُضمر الظرفُ تعدَّى إليه الفعل بوساطة (في) إلاَّ أنْ يُتَّسع فيه. فتقدير الزمخشري: أنَّى هذا، من أين هذا تقديرٌ غير سائغ، واستدلاله على هذا التقدير بقوله: {من عند أنفسكم} وقوله: {من عند الله} وقوف مع مطابقة الجواب للسؤال في اللفظ، وذهول عن هذه القاعدة"[3]

---

(١)البحر المحيط: ٣/٤١٩-٤٢٠.

(٢)الكشاف:١/٤٣٦.

(٣)البحر المحيط: ٣/٤٢٠.

ردَّ تلميذه السمين الحلبي عليه بقوله:" أمَّا قوله: لا يقدر الظَّرف بحرف جر غير (في) فالزمخشري لم يقدر (في) مع (أنَّى) حتى يلزمه ما قال، إنَّما جعل (أنَّى) بمنزلة (من أين) في المعنى. وأمَّا عدوله عن الجواب المطابق لفظًا فالعكس أولى"(١)

وأيضًا في قوله تعالى:﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾(سورة الأعراف: ٣٧). فقوله: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ يحتمل إعرابها وجهين:(٢)

الأوَّل: أنْ تكون معطوفة على قوله: (قالوا)

الثاني: أن تكون جملة استئنافية، فتكون عبارة عن إخبار من الله تعالى بإقرارهم على أنفسهم بالكفر، وهو اختيار أبي حيان، إذ قال:" وجواب سؤالهم ليس مطابقًا من جهة اللفظ، لأنه سؤال عن مكان، وأجيب بفعل وهو مطابق من جهة المعنى إذ تقدير السؤال ما فعل معبود و كَمْ من دون الله معكم قالوا ضلوا عنا"(٣)

نلحظ أنَّ أبا حيان يبحث عن التناسب اللفظي بين السؤال والجواب في سياق النَّصِّ القرآني ويسوغ عدم التطابق اللفظي بمراعاة التطابق المعنوي.

---

(١)الدر المصون: ٤٧٤/٣.

(٢)يُنظر: البحر المحيط:٤٨/٥، والدر المصون:٣١١/٥.

(٣)البحر المحيط:٤٨/٥.

قد بيَّنا سابقًا أن الانسجام أو التناسب الذي يخصُّ المشاكلة بين التراكيب كان سمة النَّصّ القرآني، والتي عنى أبو حيان بها عناية خاصة في تفسيره (البحر المحيط).

ثالثًا: وسائل تحقيق المشاكلة النحوية:

هناك وسائل مختلفة تتحقق بها المشاكلة النحوية والتي اعتمدها أبو حيان في توجيهاته، ومنها:

١-التقدير:

التقدير مظهرٌ من مظاهر التأويل الذي أقره النحويون في مصنفاتهم وجعلوه عنصرًا من عناصر تنظيم التركيب وتقويمه. والتقدير: هو افتراض وجود تراكيب لا وجود لها فعلًا، يدفعُ إلى افتراضها السياق وتقويم المعنى، أو التزام القواعد النحوية، وسواءٌ في ذلك تقدير جملة بأسرها أو بعض أجزائها.(١)

وقد اتخذ أبو حيان التقدير وسيلة لتحقيق التشاكل، إذ كثيرًا ما نجده يقدّر محذوفًا ليستقيم التوازن التركيبي مرجحًا الوجه الذي فيه تقدير على غيره؛ لأنَّ به تتحقق المشاكلة، وجاعلًا من المشاكلة اللفظية قرينة مرجحة يعتمد عليها في بيان الوجه الراجح.

ومن التراكيب القرآنية التي كان التقدير فيها وسيلة لتحقيق المشاكلة، ما ذكره أبو حيان في تقدير المحذوف في قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(سورة يونس:٢٧)

---

(١)يُنظر: تقدير الاستفهام في القرآن الكريم ، (بحث منشور)، إعداد: د. محمود بن عبد الجليل روزن، مجلة :تبيان للدراسات القرآنية، العدد:٢٥، ١٤٣٧ هـ: ٨.

أُعرب قوله:﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ إعرابين، بهما يتحقق نوعان من المشاكلة النحوية، وهما:(١)

الأوَّل: أنْ يكون قوله: (الَّذين كَسَبُوا) مبتدأ وخبره جملة (جزاء سيئةٍ بمثلها)، ولكن خبر(جزاء) في هذه الجملة محذوف، قُدر ب (لهم)، وهذه شبه الجملة متقدمة على المبتدأ (جزاء)؛ وذلك ليُشاكل بها قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى﴾(سورة يونس:٢٦)، فالمشاكلة تقتضي ترجيح أن يكون الخبر تقديره: لهم جزاء سيئة، والباء من قوله (بمثلها) متعلقة بمحذوف تقديره: مستقر بمثلها.

قال أبو حيان في ذلك:" وقيل: محذوف، فقدَّره الحوفي: لهم جزاء سيئة، قال: ودلَّ على تقدير لهم، قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى﴾. حتى تُشاكل هذه بهذه"(٢)

وقد رجَّح أبو حيان تقدير الحوفي بأنْ يكون الخبر محذوفًا تقديره:(لهم)، والدليل على ذلك التقدير، قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى﴾ من الآية التي سبقتها.

فهو قد ذهب إلى تقدير محذوف يكون خبرًا، ولم يكتفِ بعناصر التركيب الظاهرة فضلًا عن أنَّه قدره متقدمًا حتى يحافظ على التَّشاكل والتناسق بين تراكيب النَّصِّ المبارك.

---

(١)يُنظر: والكشاف:٣٤٣/٢، والمحرر الوجيز:١١٦/٣، والتبيان في إعراب القرآن:٥٧٢/٢، والبحر المحيط:٤٤/٦-٤٥، والدر المصون: ١٨٣/٦.

(٢)البحر المحيط:٤٥/٦.

الثاني: أنْ يكون قوله:(الَّذين كَسَبُوا) خبرًا مقدَّمًا مجرورًا بحرف جر محذوف، تقديره: للذين كسبوا، ويكون معطوفًا على قوله:﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى﴾، و(جزاء) مبتدأ مؤخر. ويكون هذا التقدير: للذين أحسنوا الحسنى وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، فيتعادل التقسيم. هذا ما ذهب إليه الزمخشري[١]، وابن عطية[٢].

قال أبو حيان في هذا التقدير:" وهذا التركيب مسموع من لسان العرب، فخرَّجه الأخفش على أنَّه من العطف على عاملين. وخرَّجه الجمهور على أنَّه مما حُذف منه حرف الجر، وجرُّه بذلك الحرف المحذوف، لا بالعطف على المجرور"[٣]

نلحظ أن أبا حيان ذكر وجهًا نحويًا يحفظ للنَّصِّ القرآني تشاكله، وللتراكيب توازنها وتعادلها. (فالذين كسبوا السيئات) مقابلة دلاليًا لقوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى) والتقابل الدلالي يراعى فيه التشاكل النحوي، لكن التركيب (الذين كسبوا) جاء الموصول بلا حرف جر. فقدَّر له النحاة حرف جر محذوف.

ومن الآيات الأخرى التي اعتمد أبو حيان فيها على التقدير في توجيه التركيب ليتشاكل مع تركيب آخر من النص القرآني قوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(سورة الرعد:٣٣)

---

(١)الكشاف:٢/٣٤٣.

(٢)المحرر الوجيز:٣/١١٦.

(٣)البحر المحيط:٦/٤٥.

ذكر المفسرون في قوله:﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾، أنَّ الموصول الاسمي (مَنْ) في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، فاختلفوا في تقديره على وجهين:[١]

الأول: أنْ يكون تقديره: كمن هو ساهٍ عن ذلك، وتكون جملة (وجعلوا لله شركاء) قد عطفت على قوله(كسبت)، وكان هذا اختيار العكبري.[٢]

الثاني: أنْ يكون الخبر تقديره: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه، وتكون جملة (وجعلوا) معطوفة على الخبر المحذوف. وهذا ما ذكره الزمخشري.[٣]، وردَّ عليه أبو حيان بقوله:" وفي هذا التوجيه إقامة الظاهر مقام المضمر في قوله: { وجعلوا لله }، أي :و جعلوا له، وفيه حذف الخبر عن المقابل، وأكثر ما جاء هذا الخبر مقابلاً"[٤]

نجد أبا حيان هنا يتخذ من المشاكلة أساسًا في رد الوجه الذي ذكره الزمخشري، واعتمد على السياق المنفصل، ففي القرآن الكريم تكرر هذا التركيب بذكر المعادل المقابل له، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾(سورة الزمر:٢٢)، وهذا مرجح كافٍ لتفضيل التقدير المقابل.

---

(١)يُنظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد:٦٨٣/٣، والبحر المحيط:٣٩٢/٦، والدر المصون:٥٥/٧.

(٢)التبيان في إعراب القرآن:٧٥٩/٢.

(٣)يُنظر: الكشاف:٥٣٢/٢.

(٤)البحر المحيط:٣٩٢/٦.

قال أبو حيان في ذلك:" والخبر محذوف تقديره: كمن يئس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع، كما حذف من قوله:﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾(سورة الزمر:٢٢)، تقديره : كالقاسي قلبه الذي هو في ظلمة"(١)

وقد ذكر الدليل على هذا المحذوف قوله تعالى:﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء﴾، ويكون إعرابها جملة مستأنفة جيء بها دليلًا، كما دَّل على المحذوف في قوله: {أفمن شرح الله صدره للإسلام} فالدليل عليه: {فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله} (سورة الزمر:٢٢).(٢)

وقد بين إجازة حذف الخبر بقوله:" ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف، وقد جاء مثبتًا كثيرًا، كقوله تعالى:﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل : ١٧)، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ (سورة الرعد:١٩)"(٣)

ومن المشاكلة أيضًا في تقدير جواب الشَّرط المحذوف ما ورد في قوله تعالى:﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾(سورة غافر:٧٧)

ذكر المفسرون في إعراب قوله:﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ وجهين:(٤)

---

(١)البحر المحيط: ٣٩٢/٦ ، ويُنظر: الدر المصون: ٥٥/٧.

(٢)يُنظر: البحر المحيط : ٣٩٢/٦ .

(٣)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٤)يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ٦٤، والبحر المحيط: ٢٧٤/٩.

الأول: أنْ يكون جوابًا للمعطوف عليه وهو (إمَّا نُرِينَّك)، وللمعطوف (نَتَوَفَّيَنَّكَ)، ويكون بمعنى: إنْ نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم فإنَّا نعذبهم في الآخرة أشدّ العذاب.

الثاني: أن يكون جوابًا ل (نَتَوَفَّيَنَّكَ)، وجواب (نُرِينَّك) محذوف تقديره: فإما نُرِينَّك بعض الذي نعدهم، وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك غاية الملك.

وقد اختار أبو حيان أنْ يكون قوله:﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ جوابًا للمعطوف، وهو قوله: ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ ، وجواب الشرط الأوَّل محذوفًا تقديره:(فإنْ نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك وإنْ نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون وننتقم منهم أشد الانتقام).

وعلَّلَ سبب اختياره هذا بقوله:" وجواب فإمَّا نُرِيَنَّك محذوف لدلالة المعنى عليه، أي فيقر عينك ... وهو يصح أنْ يكون جوابَ أو نتوفينك: أيْ فإلينا يرجعون فننتقم منهم ونعذبهم لكونهم لم يتبعوك. ونظير هذه الآية قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾(سورة الزخرف:٤١-٤٢)"[١]

وعلَّلَ عدم اختياره أنْ يكون جوابًا للشرطين بقوله:" ولا يصح أنْ يكون (فإلينا يرجعون) جوابًا للمعطوف عليه والمعطوف؛ لأن تركيب: فإما نُرينكَ بعض الموعود في حياتك، فإلينا يرجعون ليس بظاهر"[٢]

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان قد جعل مقاربة تركيب الآية بتركيب آية أخرى دليلاً على توجيه الآية وتقدير المحذوف.

---

(١)البحر المحيط: ٢٧٤/٩، ويُنظر: الدر المصون: ٥٠٠/٩، والتحرير والتنوير: ٢٠٩/٢٤.
(٢)البحر المحيط:٢٧٤/٩.

ومن التراكيب القرآنية أيضًا التي كان التقدير فيها وسيلة لتحقيق المشاكلة، ما ذكره أبو حيان، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(سورة التوبة:١١٨)

فقد قيل: في إعراب (إذا) ثلاثة أقوال:(١)

إمَّا ظرفية أو شرطية أو زائدة، واختلفوا في جوابها إذا كانت شرطية، فمنهم من ذهب إلى أن جوابها قوله: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وتكون (ثم) زائدة.

أو يكون مقدرًا، تقديره:(تاب عليهم) بدليل قوله تعالى: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ في الآية السابقة. وهذا ما رجحه أبو حيان، إذ قال:" وإذا إنْ كانت شرطية فجوابها محذوف تقديره: تاب عليهم، ويكون قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ نظيره قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾بعد قوله: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّه عَلَى النَّبِيِّ﴾ (سورة التوبة:١١٧)"(٢)

نلحظ من ذلك تقدير أبي حيان للمحذوف كان من جنس المذكور في الآية نفسها وفي الآية التي قبلها.

---

(١)يُنظر: البحر المحيط:٥/٥٢٠، وحاشيتان من حواشي ابن هشام على ألفية ابن مالك، تح: جابر بن عبد الله بن سريع:٢/١٠٥٣، والبرهان في علوم القرآن:٣/٩٠.

(٢)البحر المحيط:٥/٥٢٠، ويُنظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي:٤/٣٧٢.

٢-التقديم والتأخير:

من القضايا التي تناولها البلاغيون وعلماء الاعجاز في النَّصِّ القرآني بالدراسة والتحليل، وبينوا أغراضه وأنواعه، وكذلك أهميته، فالأصل في الجملة الفعلية تقديم المسند (الفعل)، وفي الجملة الاسمية تقديم المسند إليه(المبتدأ)، وقد يخالف هذا الأصل في الترتيب لداعٍ بلاغي أو جمالي في اللفظ.(١)

وفي النَّظم القرآني الأصل في تفسيره أنْ يُفسَّر على ترتيبه في النَّظمِ غير أنَّ هذا الأصل قد يتجاوز، فيقدِّم ما حقَّه التَّأخير في ترتيبه، ثمَّ إنَّه قد يكون لهذا التقديم والتأخير أثر في اختلاف المعنى.(٢)

التقديم والتأخير في القرآن الكريم يهدف إلى مراعاة المعنى قبل أنْ يكون لمراعاة اللفظ؛ لأنَّ مراعاة المعنى هو الأساس وليس اللفظ، والكلام البليغ لا يهمل (المعنى) على حساب (اللفظ)، بل يجمع بين جمال المعنى واللفظ.(٣)

من المفسرين المهتمين بهذا الأساس أبو حيان الأندلسي، وقد ظهر عنده في إعراب الآيات القرآنية.

وهناك صور من التَّقديم والتَّأخير تحقق المشاكلة النحوية، وقد أشار أبو حيان في تفسيره إلى أثر التقديم والتأخير في تحقيق تلك المشاكلة وجعلها علة وسببًا للتقديم في التركيب القرآني

---

(١)يُنظر: التناسب البياني في القرآن: ١٩٣.

(٢)التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، د. مساعد بن سليمان:٣٠٩.

(٣)يُنظر: قواعد التقديم والتأخير عند المفسرين ، عمر بن عبد المجيد:١١٦.

فبعضها يتعلق بتقديم المعمولات على العامل، أو تقديم الألفاظ والجمل بعضها على بعض، لمعنى يقتضيه السياق؛ لأجل المشاكلة بين التراكيب، أو لمطابقة رؤوس الآيات فيما بينها.

وهذه بعض النماذج توضح ذلك، منها توجيهه في قوله تعالى:﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة:٧)

فقوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ وردت فيه قراءتان، وهما:(١)

الأولى: قراءة الجمهور: وهي الرَّفع على أنْ تكون الجملة مكونة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر.

الثانية: قراءة عاصم في رواية المفضل: وهي النصب بإضمار فعل تقديره: (جعل على أبصارهم غشاوة).

وقد اختار أبو حيان الرَّفع، فقال:" وقراءة الرفع أولى" (٢)

وبيَّن أنَّه قدَّم الخبر وهو شبه الجملة (على أبصارهم) على المبتدأ(غشاوة)، ويرى الغرض من هذا التقديم هو لأجل المشاكلة بين تركيبي الجملتين، فقدمت الجملة الفعلية (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم)، ثمَّ الجملة الاسمية (وعلى أبصارهم غشاوة)، إذ قال:" وتقديم المجرور الذي هو (على أبصارهم) مصحح لجواز الابتداء بالنكرة، مع أنَّ

---

(١)يُنظر: معاني القراءات :١٣١/١، وإعراب القراءات السبع وعللها:٤٣، والبحر المحيط: ٨١/١، والدر المصون:١١١/١، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء، احمد عبد الكريم الاشموني، تح: عبد الرحيم الطرهوني:٥٩/١.

(٢)البحر المحيط:٨١/١.

فيه مطابقة بالجملة قبله؛ لأنَّه تقدَّم فيها الجزء المحكوم به. وهذه كذلك الجملتان تؤول دلالتهما إلى معنى واحد، وهو منعهم من الإيمان"[1]

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان قد ذكر علة تقديم الخبر على المبتدأ؛ لأجل تحقيق المشاكلة اللفظية والمعنوية، فاللفظية قد تقدمت الجملة الفعلية المتكونة من مسند وهو (المحكوم به) على المسند إليه وهو (محكوم عليه) في قوله:{ ختم الله على قلوبهم}، والتي جاءت على أصل ترتيبها، أمَّا الجملة الاسمية التي الأصح أنْ يكون ترتيبها بتقديم المسند إليه على المسند، فجاء بها مقدمًا الخبر:{وعلى أبصارهم غشاوة}، وهو المسند على المسند إليه وهو المبتدأ، لغرض التطابق والتشابه بين تركيبي الجملتين (الجملة الفعلية والجملة الاسمية)، وفي الجانب المعنوي فكلتا الجملتين تدلُّ على معنى واحد وهو منعهم من الإيمان.

ومن توجيهاته التي يكون فيها تقديم الجمل بعضها على بعض وسيلة لتحقيق التشاكل النحوي، ما ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة:١٧٤)

ذكر أبو حيان في تفسيره لهذه الآية المباركة أنَّ للعرب طريقين في ترتيب الأوصاف، فقال:" فللعرب فيه طريقان: أحدهما: أن تكون تلك الأمور المترتبة على الأوصاف مقابلة لها، الأوَّل منها لأول تلك الأوصاف والثاني للثاني، فتحصل

---

(١)البحر المحيط:١/٨١.

المقابلة من حيث المعنى ومن حيث الترتيب اللفظي، حيث قُوبل الأول بالأول، والثاني بالثاني، وتارة يكون الأول من تلك الأمور مجاورًا لما يليه من تلك الاوصاف، فتحصل المقابلة من حيث المعنى لا من حيث الترتيب اللفظي"(١)

وفي قوله هذا بيَّن أنَّ الأمر يذكر وصفه مجاورًا له، وتارة أخرى يذكر الامر، ثم وصف الأمر الآخر المجاور له، ففي الأول تكون المطابقة من حيث اللفظ والمعنى، وفي الطريقة الأخرى تكون المطابقة من حيث المعنى فقط، ويذكر أنَّ الآية المباركة جاءت على هذه الطريقة بقوله:" وهذه الآية جاءت من هذا القبيل"(٢)

وبيَّن مسألة تقديم وصف الجملة الثانية على الأولى، بقوله:" لما ذكر تعالى اشتراءهم الثمن القليل، وكان ذلك كناية عن مطامعهم الخسيسة الفانية بدأ أولاً في الخبر بقوله: ما يأكلون في بطونهم إلا النار، ثم قابل تعالى كتمانهم الدين والكتمان هو أن لا يتكلموا به بل يخفوه بقوله تعالى: ولا يكلمهم الله، فجوزوا على منع التّكلم بالدين أنْ منعوا تكليم الله إياهم، وابتنى على كتمانهم الدين، واشترائهم بما أنزل الله ثمنًا قليلاً"(٣)

نلحظ أنَّ أبا حيان بيَّن أن قوله: ﴿الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾، قد يقابله ما تأخر بعد قوله: ﴿ويشترون به ثمنًا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاَّ النار﴾، ففي هذا القول جاء الأمر ووصفه مجاورًا له، فحصل في هذا التقديم والتأخير نوع من التشاكل والتقابل المعنوي بين تراكيب النَّصِّ المبارك.

---

(١)البحر المحيط:١٢٣/٢.

(٢)المصدر نفسه: والصفحة نفسها، ويُنظر: روح المعاني:٤٤١/١.

(٣)البحر المحيط: ١٢٣/١.

وقد تتقدم بعض الألفاظ على بعض على الرغم من ورود آيات متشابهة جاءت على العكس مما جاءت عليه آية أخرى، وذلك التقديم غايته المقابلة والتشاكل الذي اقتضاه سياق الآية الخاص.

فلم يكتف التعبير القرآني بوضع اللفظة الملاءمة للسياق الواردة فيه فقط، بل يراعي في ذلك جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله، فيأتي التعبير القرآني تعبيرًا متسقًا متناسقًا مع غيره من التعبيرات كأنَّه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة.(١)

وذكر أبو حيان في قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٢١)

تقدَّم لفظ(الجنة) على لفظ(المغفرة)، وظاهر السياق القرآني أن يقدم المغفرة على الجنة، كما تأخرت في قوله:﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(سورة آل عمران:١٣٣)، وقوله:﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الحديد:٢١)

---

(١)يُنظر: التعبير القرآني:٥٣.

في هاتين الآيتين تقدَّم لفظ المغفرة على الجنة وهذا التقديم مُسَوَّغ؛ لأنَّ دخول الجنة متسبب عن حصول المغفرة، لذا فالآيتان جاءتا على هذا الأصل. وقد خالفت الآية: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ ﴾(سورة البقرة:٢٢١).

قال أبو حيان:" والأصلُ فيه تقدُّم المغفرة على الجنة؛ لأنَّ دخول الجنة متسبب عن حصول المغفرة، ففي تلك الآيتين جاء على هذا الأصل، وأمَّا هنا فتقدَّم ذكر الجنة على المغفرة لتحسن المقابلة، فإن قبله:﴿أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، فجاء ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ ﴾ وليبدأ بما تتشوق إليه النفس حين ذكر دُعاء الله، فأتى بالأشرف للأشرف، ثُم أتبع بالمغفرة على سبيل التَّتمَّة في الإحسان، وتهيئة سبب دخول الجنة"(١)

نخلص إلى أنَّ التقديم كان وسيلة لتحقيق التشاكل المعنوي في التركيب القرآني في هذا السياق.

وهذا يعني أنَّ التعبير القرآني تعبير مقصود، كل لفظ فيه وضع وضعًا فنيًا مقصودًا، وأنَّه لم يقدَّم لفظة على لفظة إلاَّ لغرض يقتضيه السياق. وقد رُوعي في ذلك التعبير القرآني كُلّه ونظر إليه نظرة واحدة.(٢)

---

(١)البحر المحيط:٢/٤٢٠، ويُنظر: الدر المصون:٢/٤١٨.

(٢)يُنظر: التعبير القرآني:٧٤.

٣-توافق الضمائر فيما تعود عليه:

اعتنى علماء اللغة والتفسير بمسألة عود الضمير ووضعوا قواعد تحدد مرجعه؛ ذلك أنَّ المعنى متوقف على تحديد ما يرجع إليه الضمير، فهو من الأسماء المبهمة التي لا تحمل دلالة معجمية، وتحدد دلالته بما يعود عليه.

وكان أبو حيان من أكثر المفسرين تعرضًا لمسألة عود الضمائر، ومما التزمه في عود الضمير، توافق الضمائر في المرجع الذي تعود إليه عند تعددها. فهذا أولى من عودها إلى مراجع مختلفة، قال:" إذا كان جعل الضمائر المتناسبة عائدةً على واحد، والمعنى فيها جيدٌ صحيحُ الإسناد، كان أولى من جعلها متنافرةً. ولا نعدل إلى ذلك إلا بصارفٍ عن الوجه الأول إمَّا لفظي وإمَّا معنوي"(١)

وهذا يعني أنَّ أبا حيان يسعى إلى مراعاة المشاكلة النحوية للنَّصِّ القرآني من خلال توافق الضمائر في عودها على مرجع واحد، وهذا التناسب في عود الضمائر كان وسيلة من وسائل تحقيق التشاكل النحوي عنده.

وقد ردَّد أبو حيان الاندلسي هذه القاعدة في أكثر من موضع، إذ قال:" فعود الضمائر على نسق واحد أولى من اختلافها"(٢). وقال في موضع آخر:" الأولى اتحاد الضمائر"(٣). وقال" فتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى أولى من جعلهما لمختلفين"(٤)، وغيرها.

---

(١)البحر المحيط:١/٥٩٢-٥٩٣.

(٢)البحر المحيط:٤/٣٣٩.

(٣)المصدر نفسه:٥/١٤٢.

(٤)المصدر نفسه:١٠/٥٣٠.

وهذه بعض النماذج القرآنية التي كان فيها تناسق الضمائر في العود على مرجع واحد وسيلة لتحقيق المشاكلة النحوية، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة البقرة:١٢١)

ذكر المعربون احتمالات عدة في عود الضمير (الهاء) في (به)، وهي:(١)

الأول: عوده على الكتاب.

الثاني: عوده على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

الثالث: عوده على الله تعالى.

الرابع: على الهدى، وهو رأي ابن عطية.(٢)

وقد رجَّح أبو حيان عوده على الكتاب؛ لأنَّه اعتمد على قاعدة توحيد الضمائر في العود على مرجع واحد، فقال:" لكنَّ الظاهر أنْ يعود على الكتاب؛ لتتناسب الضمائر ولا تختلف، فيحصل التعقيد في اللفظ والإلباس في المعنى؛ لأنَّه إذا كان جعل الضمائر المتناسبة عائدة على واحد، والمعنى فيها جيد صحيح الاسناد، كان أولى من جعلها متنافرة، ولا نعدل إلى ذلك إلاَّ بصارف عن الوجه الأوَّل، إمَّا لفظي أو معنوي"(٣)

---

(١)يُنظر: البحر المحيط:٥٩٢/١،و الدر المصون:٩٦/٢.

(٢)المحرر الوجيز:٢٠٥/١.

(٣)البحر المحيط:٥٩٢/١-٥٩٣.

يبدو من ذلك أنَّ أبا حيان قد رجَّح عود الضمائر إلى الكتاب على الاحتمالات الأخرى؛ لأنَّ الضمائر التي قبله عائدة عليه، فمن باب التناسب أنْ يكون المرجع واحدًا، وبيَّن وجود قرائن لفظية ومعنوية تمنع عودتها على مراجع مختلفة، والتي تمنع المشاكلة.

أمَّا عودته على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فذكر أبو حيان علة عدم عودته عليه، بقوله:" قالوا: وإنْ لم يتقدم له ذكر، لكن دلت قوة الكلام عليه، وليس كذلك، بل يتقدم ذكره في قوله:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ (سورة البقرة: ١١٩)ولكن صار ذلك التفاتًا وخروجًا من خطاب إلى غيبة"(١)

أمَّا عودته على الله تعالى أيضًا فيه التفات من ضمير المتكلم المعظم نفسه إلى ضمير الغائب المفرد. أمَّا عودته على الهدى، الذي كان رأي (ابن عطية)، فأنه ذكر كفار اليهود والنصارى في الآية، وحذَّر رسوله من اتباع أهوائهم وأعلمه بأنَّ هدى الله هو الهدى الذي أعطاه، وبعثه به، وبيَّن أبو حيان احتمالية هذا الرأي.(٢)

وفي قوله تعالى:﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة البقرة:٢١٣)

---

(١)البحر المحيط:٥٩٢/١.

(٢)يُنظر: المحرر الوجيز:٢٠٥/١، والبحر المحيط: ٥٩٢/١.

ذكر المفسرون احتمالاتٍ عدةً لمرجع الضمير الهاء في (فيه) الأولى والثانية، وهي:[1]

الأول: أنَّه عائد على (ما) الموصولة. الثاني: عائد على الكتاب، أيْ وما اختلف في الكتاب إلا الذين أتوه. الثالث: أو على النبي، أي: وما اختلف في النبي إلا الذين أوتوا علم نبوته، فيكون الكتاب هنا التوراة. الرابع: أو عائد على عيسى (عليه السلام)، أو على الدين أي وما اختلف في الدين.

وقد رجَّح أبو حيان عودة الضمائر على (ما) الموصولة، من باب التناسب في عود الضمير على مرجع واحد وعدم اختلاف المرجع، إذ قال:" والذي يظهر من سياق الكلام وحسن التركيب أن الضمائر كلها في: أوتوه، و(فيه) الأولى والثانية، تعود على (ما) الموصولة في قوله: وما اختلفوا فيه، وأن الذين اختلفوا فيه مَفْهومُهُ كل شيء اختلفوا فيه فمرجعه إلى الله"[2]

وقد جوّز الزجاج من قبله عودته على النبي، بقوله:" أيْ ما اختلف في أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاَّ الذين أعطوا علم حقيقته"[3]

وأيضًا من القواعد التي اعتمدها أبو حيان في عود الضمير، إن كان أحد الضمائر محدثًا عنه، كان عوده على المحدث عنه أرجح، ومن ذلك توجيهه في قوله تعالى:﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾(سورة طه:٣٩)

---

(١)يُنظر: المحرر الوجيز: ٢٨٦/١، والبحر المحيط:٣٦٦/٢-٣٦٧، والدر المصون:٣٧٦/٢-٣٧٧.

(٢)البحر المحيط:٣٦٦/٢-٣٦٧.

(٣)معاني القرآن وإعرابه :٢٨٤/١.

قال السمين الحلبي:" والضمائر في قوله:﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ إلى آخرها عائدة على موسى عليه السلام؛ لأنه المحدث عنه، وجوز بعضهم أن يعود الضمير في قوله:﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾للتابوت، وما بعده وما قبله لموسى (عليه السلام)"[١]

فقد رجَّح أبو حيان عودة الضمير (الهاء) في (اقذفيه) الأولى والثانية على موسى؛ لأنَّه محدث عنه، فقال:" والظاهر أنَّ الضمير في﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ عائد على موسى، وكذلك الضميران بعده، إذ هو المحدث عنه لا التابوت، إنما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة"[٢]

وما رجَّحه أبو حيان كان موافقًا فيه قول الزمخشري [٣]. واتبعه من المعاصرين له السمين الحلبي[٤]، و من المتأخرين أبو السعود(ت٩٨٢هـ)[٥]، والألوسي[٦].

وقد ذكر ابن عطية جواز عود الضمير الثاني على التابوت، قال:" والضمير الأوَّل في اقذفيه عائد على موسى وفي الثاني على التابوت، ويجوز أن يعود على موسى"[٧]

---

(١)الدر المصون:٨/٣٤-٣٥.

(٢)البحر المحيط:٧/٣٣٠.

(٣)الكشاف:٣/٦٣.

(٤)الدر المصون:٨/٣٤.

(٥)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٦/١٥.

(٦)روح المعاني:٨/٥٠٢.

(٧)المحرر الوجيز:٤/٤٤.

وردَّ الزمخشري على من قال بتعدد مرجع الضمير؛ لأنَّه يفضي إلى التنافر ويخرج القرآن الكريم من اعجازه، فقال:" والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدى إليه من تنافر النظم، فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى الساحل. قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تتفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم اعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته من أهم ما يجب على المفسر"(١)

وقال الشوكاني(ت١٢٥٠هـ):" والضمائر هذه كلها لموسى لا التابوت، وإنْ كان قد ألقى معه لكن المقصود هو موسى مع كون الضمائر قبل هذا وبعده له"(٢)

وقال الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ):" والصَّواب رجوعه إلى موسى في داخل التابوت؛ لأنَّ تفريق الضمائر غير حسن"(٣)

وردَّ أبو حيان على من قال بعود الضمير على التابوت، بقوله:" ولقائل أنْ يقول: إنَّ الضمير إذا كان صالحًا؛ لأنَّ يعود على الأقرب وعلى الأبعد كان عوده على الأقرب راجحًا، وقد نصَّ النحويون على هذا، فعوده على التابوت في قوله:﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ ﴾راجح، والجواب أنه إذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلة كان عوده على المحدث عنه أرجح، ولا يلتفت إلى القرب"(٤)

---

(١)الكشاف: ٣/٦٣.
(٢)فتح القدير:٣/٤٣١.
(٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:٤/٥٠٧.
(٤)البحر المحيط:٧/٣٣٠-٣٣١.

ويبدو من ذلك أنَّ الرَّاجح هو ما رجحه أبو حيان، وهو أنَّ الضمائر كلها تعود إلى موسى؛ لأنَّه المحدث عنه وهو في داخل التابوت، وهذا ما نصَّ عليه المفسرون من قواعدهم التوجيهية، التي تقول:" إذا جاء الضمير في سياق قرآني، وتعددت الاحتمالات في مرجعه، فرجوعه إلى المحدث عنه في السياق أولى من رجوعه إلى غيره، لأنَّه هو المقصود بالكلام، وإليه يتَّجه الخطاب"(١)

وهذا التناسب والتوافق في عود الضمائر المتعددة على مرجع واحد كان وسيلة لتحقيق التشاكل النَّحوي في القرآن الكريم الذي يسعى إليه المفسر بوصفه كتابًا معجزًا بلغت تراكيبه قمة الفصاحة والتلاؤم والانسجام.

٤-الحذف:

هو ظاهرة أسلوبية بارزة في الكلام العربي، تناولها النحاة والمفسرون واللغويون والبيانيون، وأشاروا إلى قيمتها البيانية، ولها علاقة بالتناسب ووحدة السياق، وقد أشار المعربون إلى ما حذف من بعض الآيات أو التراكيب القرآنية، منها ما كان حفاظًا على التناسب بين التراكيب، أو تناسب الفواصل.(٢)

فقد يُحذف حرفٌ، أو كلمة، أو جملة، أو فقرة، وبوجود دليل على الحذف، وهذا ما ذكره (ابن جني)، بقوله:" قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلاَّ عن دليل عليه وإلاَّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"(٣)

---

(١)قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي:٦٠٣/٢.

(٢)يُنظر: التناسب البياني في القرآن :٢٠٣ و٢٠٥.

(٣)الخصائص:٣٦٢/٢.

وتحدَّث الدكتور فاضل السامرائي عن خاصية الحذف، إذ قال:" قد يحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يُحذف حرفًا أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال"[١]

ومن الأغراض التي تلمس في ظاهرة الحذف تحقيق المشاكلة النحوية، إذ قد أوعز أبو حيان في بعض الآيات سبب الحذف إلى التناسب والتشاكل.

ومن التراكيب القرآنية التي كان الحذف وسيلة لتحقيق المشاكلة فيه، ما ذكره أبو حيان في البسملة :﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (سورة الفاتحة:١).

فقد ذكر المفسرون أنَّ (الباء) في (بسم) متعلقة بمحذوف، واختلفوا في تقدير ذلك المحذوف، فمنهم من قدره اسمًا، تقديره:(ابتدائي باسم الله)، ومنهم من قدره فعلًا، تقديره:(اقرأ باسم الله أو ابتدئ باسم الله) متقدمًا أو متأخرًا.[٢]

ولكنْ لماذا حذف متعلق شبه الجملة؟، يَذكر أبو حيان أنَّ سبب الحذف كان مشاكلة اللفظ لمعناه، إذ قال:" والحذف وهو يتعلق به الباء في (بسم)، قيل: لتخفيف اللفظ، كقولهم: بالرفاء والبنين، وباليمن والبركة، قال أبو القاسم السهيلي: وليس كما زعموا، إذ لو كان كذلك كان إظهاره وإضماره في كل ما يحذف تخفيفًا، ولكنْ في حذفه فائدة، وذلك أنَّه موطن ينبغي أنْ لا يُقدم فيه سوى ذكر الله تعالى، فلو ذكر الفعل وهو لا يستغني عن فاعله، لم يكن ذكر الله مقدمًا وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى، كما تقول في الصلاة: "الله أكبر"، ومعناه: من كل شيء، ولكن يحذف ليكون اللفظ في اللسان مطابقًا لمقصود القلب، وهو أن لا يكون في القلب ذكر إلا الله عزَّ وجلَّ"[٣]

---

(١)اسرار البيان في التعبير القرآني:١٠٠.

(٢)يُنظر: الكشاف:١/٣-٤، والدر المصون: ٢٢/١.

(٣)البحر المحيط:٣٢/١، ويُنظر: نتائج الفكر في النحو:٤٣.

نلحظ من نَّصِّ السهيلي(ت٥٨١هـ) الذي نقله أبو حيان أنَّ الحذف حقّق مشاكلة معنوية في التركيب القرآني، إذ القرآن الكريم يدعو الناس إلى أنْ يكون الله تعالى حاضرًا في قلوبهم واذهانهم وقبل كل شيء وهذا يناسبه حذف المتعلق.

يبدو أنَّ أبا حيان قد اختار أنْ يكون متعلق الباء فعلًا، ويكون متأخرًا عن الاسم، وقد حذف هذا الفعل؛ لأجل أنْ يكون ذكر الله مقدمًا في كل عمل نقوم به، فهو دون سواه مقصودًا وموجودًا في قلبنا، ويكون ذكره حاضرًا معنا؛ لأنَّ وجوده سابق على وجود كل شيء.

وقد قيل: إنَّ سبب الحذف هو لتخفيف اللفظ، وردَّ عليهم السهيلي كما أشرنا إلى ذلك، بأنْ "لو كان للتخفيف لجاز إظهاره وإضماره لكل ما يحذف تخفيفًا"(١)

وذكر ابن عاشور فائدة أخرى للحذف، وهي الإيجاز، إذ قال:" وقد أُسعف هذا الحذف بفائدة وهي صلوحية البسملة لِيبتدئ بها كل شارع فعل فلا يلجأ إلى مخالفة لفظ القرآن عند اقتباسه، والحذف من قبيل الإيجاز؛ لأنه حذف ما قد يصرح به في الكلام"(٢)

نستخلص من ذلك أنَّ حذف متعلق الباء في البسملة قد حقق مشاكلة معنوية؛ ليكون اسم الله حاضرًا في اللسان وفي القلب، وهذا ما ذكره أبو حيان من مشاكلة اللفظ للمعنى.

---

(١)نتائج الفكر: ٤٣.

(٢)التحرير والتنوير:١٤٧/١.

وفي قوله تعالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٨)

ذكر المفسرون في قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قراءتين:(١)

الأولى: أنْ يكون الفعل مبنيًا للمجهول، ومتعديًا؛ لأجل المشاكلة اللفظية لما قبلها.

الثانية: قُرئ مبني للفاعل، لأنَّه وقع في القرآن الكريم، ولأنَّ (رجع) يكون لازمًا ومتعديًا.

فقد اختار أبو حيان أن يكون مبنيًا للمجهول، حُذف فاعله وهي قراءة الجمهور، وذلك لفصاحتها، إذ قال:" وقراءة الجمهور أفصح؛ لأنَّ الإسناد في الأفعال السابقة هو إلى الله تعالى، فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم، فكان سياق هذا الإسناد أن يكون الفعل في الرجوع مسندًا إليه، لكنه يفوت تناسب الفواصل والمقاطع، إذ يكون الترتيب ثم إليه مرجعكم"(٢)

وبيَّن سبب حذف الفاعل، بقوله:" فحذف الفاعل للعلم به وبُني الفعل للمفعول حتى لا يفوت التناسب اللفظي، وقد حصل التناسب المعنوي بحذف الفاعل، إذ هو قبل البناء للمفعول مبني للفاعل"(٣)

---

(١)يُنظر: إعراب القراءات العشر وعللها:٦٤، والبحر المحيط:٢١٤/١، والنشر في القراءات العشر:٢٠٨/٢-٢٠٩.

(٢)البحر المحيط:٢١٤/١.

(٣)البحر المحيط:٢١٤/١، ويُنظر: روح المعاني:٢١٦/١.

وردَّ على قراءة مجاهد من أن يكون الفعل مبنيًا للفاعل، بقوله:" أما قراءة مجاهد، ومن ذكر معه فإنَّه يفوت التناسب المعنوي، إذ لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أن غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادَّ"(١)

وهذا ما ذكره من بعده السمين الحلبي، وابن عادل الذي قال:" ووجه القراءتين أن (رجع) يكون قاصرًا ومتعديًا فقراءة الجمهور من المتعدي، وهو أرجح؛ لأنَّ أصلها "ثم إليه مرجعكم" لأنَّ الإسناد في الأفعال السابقة لله تعالى، فناسب أنْ يكون هذا كله، ولكنه بُني للمفعول لأجل الفواصل والمقاطع"(٢)

وبيَّن الدكتور عبد الله خضر حمد، ما يقصده أبو حيان من كلامه، إذ قال:" والمقصود هنا إظهار القدرة والتصرف التام بنسبة الإحياء والاماتة، والإحياء والرجوع إليه تعالى، وإن كنا نعلم أن الله تعالى هو فاعل الأشياء جميعًا"(٣)

نستخلص من ذلك أنَّ أبا حيان جعل حذف الفاعل، وبناء الفعل للمجهول، سببًا في تحقيق المشاكلة اللفظية والمعنوية بين رؤوس الآيات المباركة.

---

(١)البحر المحيط:٢١٣/١-٢١٤.

(٢)اللباب في علوم الكتاب:٤٨٦/١، ويُنظر: الدر المصون:٢٤٠/١.

(٣)الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية:١٥٢/٢.

٥-الزيادة:

الوسيلة المقابلة لوسيلة الحذف، التي كانت حاضرة عند أبي حيان في تفسيره، لتحقيق التشاكل والتناسب بين التراكيب القرآنية، ومن نماذج الزيادة التي وردت في القرآن الكريم، زيادة بعض الحروف، أو بعض الالفاظ والعبارات، ويختلف غرضها من موضع إلى آخر، بحسب السياق التي وردت فيه، ومن الأغراض تحقيق المشاكلة النحوية.(١)

ومن النماذج التي أشار فيها أبو حيان إلى الزيادة لغرض المشاكلة النحوية، قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٠٣)

اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فهذا اللفظ يُطلق على المقصر في أعمال الحج، ولا يطلق على الذي استوفى تمام عمله.(٢)

وقد اختار أبو حيان أنْ يكون قوله:﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾من باب المشاكلة اللفظية، إذ قال:" إنَّما أتى بقوله: ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ، مقابلاً لقوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ، كقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (سورة البقرة:١٩٤)"(٣)

---

(١)يُنظر: التناسب السياقي ومستوياته في تفسير التحرير والتنوير، إعداد: فضيلة عظيمي، كلية الآداب واللغات، الجزائر،٢٠١٨م:٢٠٤.

(٢)يُنظر: مفاتيح الغيب : ٣٤٢/٥.

(٣)البحر المحيط:٣٢٣/٢

وهذا بعينه قاله الواحدي(ت٤٦٨هـ) في تفسيره، إذ قال:" فقال: ﴿فلا إثم عليه﴾، وهو يريد هذا المعنى لتوافق اللفظة الأولى الثانية، وتكون على مثل سبيلها، وقد ذكرنا أنه حُمل على موافقة اللفظ بما لا يصلح في المعنى، وهو قوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (سورة الشورى:٤٠)، وقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾(سورة البقرة:١٩٤)، فلِأَنَّ يُحمل على موافقة اللفظ بما يصح في المعنى أولى ؛لأن المبرور المأجور يصح في المعنى نفي الاثم عنه"[١]

وقد قيل: معناه: التخيير بين التعجيل والتأخير، وهذا ما قاله الزمخشري، إذ قال:" فإنْ قلت: كيف قال: ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ عند التعجل والتأخر جميعًا؟ قلت: دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما، كأنه قيل: فتعجلوا أو تأخروا، ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر؛ لأجل الحاج المتقي: لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثام في الإقدام عليه؛ لأن ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه، ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله"[٢]

وقال الراغب معنى قوله: ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾:" ورفع الإثم عن المتعجل والمتأخر على وجه الإباحة، وقيل: معنى رفع الإثم أنه خط ذنوبهما بإقامتهما الحج تعجل أو تأخر بشرط أن يكون متقيًا، تنبيهًا أن الاعتبار بالتقوى فقط، وعلى ذلك دلّ قوله: (عليه السلام):" من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه"[٣]

---

(١)التفسير البسيط:٤/٧١.

(٢)الكشاف:١/٢٥٠.

(٣)تفسير الراغب الأصفهاني، تح: محمد عبد العزيز بسيوني:١/٤٢٦.

يبدو من ذلك أنَّ أبا حيان، قد اختار معنى: ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ من باب المقابلة اللفظية، التي تعني زيادة عبارة: ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ لتشاكل ما قبله من قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وليس بمعناه الحقيقي؛ ليحصل تشابه بين التراكيب. أمَّا بقية الآراء فهي تنفي أنْ يكون ذلك لأجل المشاكلة، بل لغاية أخرى كما ذكرتها.

٦-تناسب الجمل المتعاطفة من حيث الاسمية والفعلية:

الوسيلة الأخرى التي تحقق التشاكل بين التراكيب أنْ يكون هناك تناسب بين جملتي العطف، أيْ المعطوف والمعطوف عليه. ومن التراكيب القرآنية التي كان التناسب بين الجمل المتعاطفة وسيلة لتحقيق التشاكل النحوي، ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (سورة الانعام :٩٥)

ذكر المفسرون في إعراب قوله: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ وجهين:(١)

الأول: أنْ يكون معطوفًا على قوله(فالق)، وتكون جملة (يخرج الحي من الميت)، جملة استئنافية، مبينة لما قبلها.

الثاني: أنْ يكون قوله: (ومخرج) معطوفًا على قوله: (يخرج)، وتكون جملة(ويخرج) في موضع رفع خبر ثانيًا ل(إنَّ).

---

(١)يُنظر: الدر المصون:٥/٥٧.

وقد رجَّح أبو حيان أنْ يكون قوله:(ومخرج) معطوفًا على (فالق)، وجملة (ويخرج الحي من الميت) جملة استئنافية، مبينة لمعنى ما قبلها، لا محل لها من الإعراب، إذ قال:" وعطف قوله: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ على قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ﴾ اسم فاعل على اسم فاعل، ولم يعطفه على يخرج؛ لأن قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ﴾ من جنس إخراج الحي من الميت؛ لأن النَّامي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(سورة الروم:١٩)"[١]

وبيَّن موقع جملة (يخرج)، بقوله:" فوقع قوله:﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ من قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ والنَّوَى﴾ موقع الجملة المبينة، فلذلك عطف اسم الفاعل لا على الفعل"[٢]

فكان توجيه أبي حيان أنْ يكون هناك تناسب تركيبي بين الجملتين المتناظرتين بنائيًا؛ للمحافظة على تناسب الجمل المتعاطفة من حيث الاسمية والفعلية، فقد عطف اسم الفاعل على اسم فاعل؛ ليحدث تقابل تركيبي من حيث اللفظ والمعنى، فكان من حيث اللفظ، كلاهما اسم فاعل، ومن حيث المعنى، فقوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ والنَّوَى﴾ من جنس اخراج الحي من الميت، ولا يعطف (مخرج) على (يخرج)، لعدم صلاحيته لتبين (فالق الحب والنوى).[٣]

---

(١)البحر المحيط:٤/٥٩١-٥٩٢.

(٢)المصدر نفسه:٤/٥٩٢.

(٣)يُنظر: حاشيتان من حواشي ابن هشام على ألفية ابن مالك: ٢/١١٠٢.

ولا بُـدَّ مـن الإشـارة إلـى مـن سـبقه، فقـد ذكـر الزمخشـري وجهًـا واحـدًا مـن العطـف، وهـو عطـف (مخـرج) علـى (فـالق)، إذ قـال:" كيـف قـال: ﴿وَمُخْـرِجُ الْمَيِّـتِ مِـنَ الْحَـيِّ﴾بلفـظ اسـم الفاعـل، بعـد قولـه: ﴿يُخْـرِجُ الْحَـيَّ مِـنَ الْمَيِّـتِ﴾ قلـت: عطفـه علـى ﴿فَـالِقُ الْحَـبِّ والنَّـوَى﴾ لا علـى الفعـل، و: ﴿يُخْـرِجُ الْحَـيَّ مِـنَ الْمَيِّـتِ﴾ موقعـه موقـع الجملـة المبينـة لقولـه: ﴿فَـالِقُ الْحَـبِّ والنَّـوَى﴾، لأن (فلـق الحـب والنـوى) بالنبـات والشـجر النـامين مـن جـنس اخراج الحي من الميت؛ لأنَّ النَّامي في حكم الحيوان"[١]

وقـد ذكـر النسـفي دليـل العطـف علـى (فـالق)، بقولـه:" دليلـه قولـه: ﴿وَيُحْيِـي الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا﴾(سـورة الـروم:١٩) ﴿ذَلِكُـمُ اللَّـهُ﴾ ذلكـم المحيـي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية لا الاصنام"[٢]

وكـان اختيـار الألوسـي مـا رجَّحـه أبـو حيـان مـن عطـف اسـم الفاعل(مخرج) على اسم الفاعل السابق وهو (فالق).[٣]

وقد بيَّن الدكتور فاضل السامرائي إمكانية عطف الاسم المشبه للفعل كاسم الفاعل على الفعل وبالعكس، ذاكرًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ فهنا عطف اسم فاعل (مخرج) على (يخرج)، ذاكرًا السبب:" أنه هذه المغايرة سببها اختلاف الدلالة وذلك أن دلالة الفعل غير دلالة الاسم فالفعل يدل على الـحدوث والـتجدد والاسم يدل على الثبوت، فإذا اقتضى المقام الحدوث جيء

---

(١)الكشاف:٢/٤٧-٤٨.

(٢)مدارك التنزيل وحقائق التأويل:١/٥٢٣-٥٢٤.

(٣)روح المعاني:٤/٢١٤.

بالفعل، وإذا اقتضي الثبوت جيء بالاسم، فجاء بقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾على صيغة الفعل؛ لأنَّ من أبرز صفات الحي الحركة والتجديد فجاء بالفعل الدال على الحركة والتجدد، وجاء ب ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ على الاسم؛ لأنَّ الميِّت لا حركة فيه ولا تجدد فجاء اسم الفاعل الدَّال على الثبوت"[1]

وبيَّن كذلك سبب مجيء المعطوف والمعطوف عليه بصيغة فعل في قوله تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(سورة آل عمران:٢٦-٢٧)

بأنَّ المقام اقتضى ذلك، إذ قال:" فإنَّ المقام كله تغيير وتبديل وحركة، وتجدد من تغير الملوك وإدالة الدول، وتعاقب الليل والنهار، وأمور الموت والحياة، وغيرها فالمقام كله حركة تغيير وتبديل بخلاف الآية الأولى، التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ فالمقامان مختلفان، فجاء في كل مقام بما يناسبه"[2]

نخلص ممَّا سبق أنَّ المشاكلة النَّحوية لكي تتحقق فلا بدّ من اعتماد وسيلة معينة وقد وجدنا أنَّها وسائل متنوعة، كالتقدير، والتقديم والتأخير، والحذف، والزيادة، وتوافق الضمائر فيما تعود عليه، وتناسب الجمل المتعاطفة من حيث الاسمية والفعلية، كلها وسائل لتحقيق التناسب النحوي والتشاكل في عبارات النَّصِّ المبارك وجمله.

---

(١)معاني النحو:٣/٢٦٧-٢٦٨.

(٢)المصدر نفسه: ٣/٢٦٨.

رابعًا: غايات المشاكلة النحوية:

للمشاكلة بين التراكيب غايات تحققها، فقد تكون سببًا لتحقيق التماسك والانسجام الدلالي، والجمالي بين تراكيب النَّصِّ القرآني، ومن هذه الغايات التي حققتها المشاكلة، وقد أشار إليها أبو حيان في تفسيره، منها:

١-التماسك:

يمثل النَّصُّ القرآني أبهى جماليات التماسك والترابط بين اجزائه، فهو المعجز في لفظه ونظمه ومعناه.

والتماسك تناوله المفسرون، وأطلقوا عليه تسميات مختلفة، منها المناسبة، والالتحام، والانسجام، والمشاكلة، وهذه بعض النصوص التي وردت عند القدماء تصف القرآن الكريم بالتماسك، قال البقاعي(ت٨٨٥هـ) عن سورة الناس:" ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وفذلكة النظام، كما أن الفاتحة شاملة لذلك، لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول والمثل بالممثول"[١]

وقال السيوطي عن إعجاز القرآن الكريم:" مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني"[٢]

---

(١)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٤٢٣/٢٢.

(٢)معترك الأقران في إعجاز القرآن:٤٣/١.

فالتماسك: هو البحث عن العلاقات التي تربط أجزاء النص الواحد بعضها ببعض من الناحية الشكلية ومن الناحية الدلالية، للوصول الى المعنى الأصلي له.(١)

وكان للمفسرين أثرٌ بارز في دراسة المعالجة النصية، للنص القرآني، قال الدكتور صبحي إبراهيم الفقي في بيان عملهم:" فعملهم يقوم أساسًا على النظرة إلى النص القرآني كاملاً، إلى درجة أنَّهم رأوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة، كلٌّه آخذ بعضه بيد بعض، فأكدوا التماسك الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، وكذلك التماسك النصي. وأيضًا أكدوا المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة، وكلمات الجملة الواحدة، وجمل النص الواحد، ونصوص القرآن كلِّه"(٢)

ومن هؤلاء المفسرين أبو حيان الأندلسي الذي اهتم ببيان طبيعة التركيب القرآني وتماسكه، وأشار إلى التماسك النصي من خلال المشاكلة النحوية للنصّ القرآني. منها قوله في ختام آية(٩٠) من سورة النمل:" فانظُر إلى بلاغة هذا الكلام، وحُسن نظمه وترتيبه، ومكانةِ إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحُجزة بعضٍ، كأنما أُفرغ إفراغًا واحدًا"(٣)

والمشاكلة تحقق التماسك النَّصي؛ لأنَّها تعمل على الرَّبط بين أجزاء التركيب، إذ المشاكل يستدعي المشاكل له ويستحضره في الذهن ويكون وسيلة لربط أجزاء التركيب وتناسقها، فالحذف مثلما هو وسيلة لتحقيق المشاكلة

---

(١)يُنظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور الطوال:٩٦/١.

(٢) المصدر نفسه:٥٠/١.

(٣)البحر المحيط:٢٧٤/٨.

فهو وسيلة لتحقيق التماسك النصي، والحذف أحد عناصر التماسك بالإضافة إلى الربط والإحالة والاستبدال، غيرها من العناصر.

الحذف له أغراض، ومن هذه الأغراض التي أضافها علماء اللغة المحدثون دوره في التماسك النصي، الذي يعني حذف جزء من الجملة الثانية، يدلُّ عليها دليل من الجملة الأولى، أو العكس، فتحقيق الترابط بين الآيات المباركة، من خلال تقدير المحذوف، فهي الوسيلة التي تحقق بها خاصية الاستقرارية في ظاهر النَّصِّ.(١)

ومن الآيات الكريمة التي كان فيها الحذف محققًا للمشاكلة التي تفضي إلى التماسك النصي، قوله تعالى:﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف:٣٢)

ففي قوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُواْ﴾ اختلفوا في متعلقه، وبما أنَّ الآيات بمعنى: أنها لهم في الدنيا على الشركة بين المؤمنين وبين الكافرين، والظاهر أن (للذين آمنوا) في الحياة الدنيا خالصة للمؤمنين، وعلى ثلاثة أوجه: (٢)

الأول: أنَّ في الكلام حذفًا تقديره: قل هي للمؤمنين والكافرين في الدنيا خالصة للمؤمنين في القيامة لا يشاركهم فيها أحد.

---

(١)يُنظر: ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النصي "دراسة تطبيقية على سورة البقرة"، بحث منشور، إعداد: إسلام محمد عبد السلام:٨١-٨٢.

(٢)يُنظر: لباب التفاسير:٣٨٤، والكشاف:١٠١/٢، والبحر المحيط:٤٣/٥، والدر المصون:٣٠٥/٥-٣٠٦.

الثاني: أن يكون (للذين آمنوا) ليس متعلقًا بكون مطلق، بل بكون مقيدٍ، يدل عليه المعنى، والتقدير: قل هي غير خالصة للذين آمنوا؛ لأن المشركين شركاؤهم فيها، خالصة لهم يوم القيامة، لا يشركهم فيها أحد. وهو رأي الزمخشري.(١)

ذكر الزمخشري ما قاله التبريزي، إذ قال:" فإن قلت: هلا قيل للذين آمنوا ولغيرهم؟ (قلت): لينه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة، وأن الكفرة تبع لهم كقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾(سورة البقرة:١٢٦)"(٢)

بيَّن التبريزي حُسن حذف المعطوف وعدم ذكره مع المعطوف عليه، بقوله:" ولم يذكر الشركة بينهم وبين الذين أشركوا في الدنيا تنبيهًا على أنه إنما خلقها للذين آمنوا بطريق الاصالة، والكفار تبع لهم، ولذلك خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (سورة البقرة:٢٩)"(٣)

اختار أبو حيان أنْ يكون متعلق (للذين آمنوا) محذوفًا، إذ قال:" إن ما تعلق به للذين آمنوا ليس كونًا مطلقًا بل كونًا مقيدًا يدل على حذفه مقابله وهو خالصة تقديره: قل هي غير خالصة للذين آمنوا"(٤)

---

(١)الكشاف:١٠١/٢.

(٢)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٣)البحر المحيط:٤٢/٥-٤٣.

(٤)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

فكان اختيار أبي حيان للمتعلق محذوفًا بدلالة التشاكل، ولا شك أنَّ هذا الحذف حقق تماسكًا وتشاكلًا واتساقًا في تراكيب الآية المباركة، فكانت المشاكلة دليلاً على المحذوف، وهو كونٌ خاصٌ، ولولاها لما جاز تعلق شبه الجملة بكون خاص، فكان تقدير المحذوف: (للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة يوم القيامة)، والدليل بين المذكور والمحذوف، فهو في الآية قوله:(خالصة)، وبتحديد هذه العناصر تحقق التماسك النصي داخل الآية المباركة.

وفي قوله تعالى:﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾(سورة الكهف:٢)

ذكر المفسرون في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أن الفعل (ينذر) يتعدى لمفعولين كما في قوله: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ (سورة النبأ:٤٠)، وقوله:﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ (سورة فصلت:١٣)، فالمفعول الأول محذوف، والثاني (بأسًا شديدًا).[١]

واختلفوا في تقدير المفعول الأول على أقوال: [٢]

الأول: أنَّ المفعول ضمير متصل تقديره: لينذركم بأسًا، كما في قوله تعالى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾ (سورة آل عمران:١٧٥)، والتقدير: يخوفكم أولياءه.

الثاني: قدَّره الزمخشري ب (الذين كفروا)، قال:" "أنذر" متعدّ إلى مفعولين، كقوله: إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ (سورة النبأ:٤٠) فاقتصر على أحدهما، وأصله: لِيُنذرَ الذين كفروا بأسًا شديدًا"[٣]

---

(١)يُنظر: الدر المصون:٤٣٧/٧.

(٢)يُنظر: معاني القرآن، للفراء:١٣٣/٢، وجامع البيان:١٤٥/١٥، والبحر المحيط:١٣٧/٧، والدر المصون:٤٣٧/٧.

(٣)الكشاف:٧٠٢/٢-٧٠٣.

وهذا أيضًا ما مال إليه الرازي في تقديره، إذ قال:" وأصله لينذر -الذين كفروا- بأسًا شديدًا كما قال في ضده: ويبشر المؤمنين"[١]

الثالث: قدَّره ابن عطية:(العالم)، قال:" والمعنى لينذر العالم"[٢]

الرابع: قدَّره أبو البقاء العكبري: (لينذر العالم أو لينذركم).[٣]

اختار أبو حيان أنْ يكون المفعول المحذوف تقديره: (الذين كفروا)، الذي قاله الزمخشري، وأشار إليه أبو حيان، معللاً ذلك بقوله:" وكأنه راعى في تعيين المحذوف مقابله وهو: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾"[٤]

نلحظ أن أبا حيان يقدَّر محذوفًا يتشاكل مع سياق الآية الكريمة، فيراعي نوع المقدَّر بما يناسب سياق الآية ليحقق المشاكلة التي تحقق التماسك النَّصي للتركيب القرآني.

وقال عن المفعول الأول:" وحُذف هنا المفعول الأول، وصرح بالمنذر به، لأنه هو الغرض المسوق إليه فاقتصر عليه، ثم صرح بالمنذر في قوله حين كرر الإنذار فقال: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (سورة الكهف:٤)، فحذف المنذر اولاً لدلالة الثاني عليه، وحُذف المنذر به لدلالة الأول عليه، وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة"[٥]

---

(١)مفاتيح الغيب:٤٢٣/٢١.

(٢)المحرر الوجيز:٤٩٥/٣.

(٣)التبيان في إعراب القرآن :٨٣٧/٢.

(٤)البحر المحيط:١٣٧/٧.

(٥)المصدر نفسه: ١٣٦/٧، ويُنظر: الدر المصون:٤٣٧/٧.

فقد استغنى عن ذكر المفعول اعتمادًا على المشاكلة، وهذه المشاكلة حققت تماسكًا دلاليًا بتقدير المحذوف.

قال الزمخشري في بيان هذا الأمر:" فإنْ قلت: لِم اقتصر على أحد مفعولي أنذر؟ قلت: قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق إليه، فوجب الاقتصار عليه، والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله:(وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا) متعلقًا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به، كما ذكر المبشر به في قوله: {أن لهم أجرًا حسنًا} استغناء بتقدم ذكره"(١)

نلحظ من ذلك أنَّ الزمخشري وأبا حيان قد راعا تقدير المحذوف اعتمادًا على المذكور في الآية المباركة، وقدَّر المحذوف في قوله: (لينذر) (لينذر الذين كفروا)، مراعاة للمفعول المذكور في مقابله (وبشر الذين آمنوا)، وهذا التشاكل الذي سمح بالحذف وكان دليلًا عليه حقق تماسكًا بين أجزاء النَّصِّ.

فقد اعتمدا على المشاكلة في تعيين المحذوف والمذكور من الآية الأخرى، فكان للحذف أثر في ترابط النَّصِّ القرآني وتماسكه من خلال تقدير المحذوف ومكانه والدليل عليه، ففي الآية التقدير:(الذين كفروا)، ومكانه (لينذر الذين كفروا بأسًا شديدًا)، والدليل (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا)، فكان تقدير المحذوف وبيان مكانه والدليل عليه أدى الى نوع من التماسك بين تراكيب الآيات المباركة، من خلال المشاكلة التي مثلت هذا التماسك والترابط.

---

(١)الكشاف:٢/٧٠٣.

ومن العناصر الأخرى التي تحقق التماسك النصي، هي مرجعية الضمير، فالاختلاف في مرجعية الضمير يظهر التماسك الدلالي، فمرجعية الضمير في النَّصِّ القرآني، يسهم اسهامًا كبيرًا في اتساق النَّصِّ.(١)

من ذلك في قوله تعالى:﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة:٢٥٥)

فمرجع الضمير (الهاء) في قوله: ﴿حِفْظُهُمَا﴾قيل فيه: إنَّه يعود على الله تعالى، أو يعود على الكرسي.(٢)

رجَّح أبو حيان عودته على الله تعالى، معللاً ذلك بقوله:" لتكون الضمائر متناسبة لواحد ولا تختلف، ولبعد نسبة الحفظ إلى الكرسي"(٣)

فاتفاق الضمائر في العودة على مرجع واحد، بالاعتماد على المشاكلة، قد أدى إلى نوع من التماسك والترابط في النَّصِّ القرآني.

وأيضًا في قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة النور:٣٩)

---

(١) يُنظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق :١٥١/١.

(٢)يُنظر: البحر المحيط:٦١٤/٢.

(٣)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

ذكروا أنَّ الضمائر في (جاءه-لم يجده-وجد) تعود على (الظمآن) والضمائر في (عنده – وفاه – حسابه) تعود على (الكافر).[١]

اختار أبو حيان أنْ تعود الضمائر كلها على مرجع واحد وهو (الظمآن)، إذ قال:" إن الضمائر فيما بعد الظمآن له"[٢]

وبيَّن سبب هذا الاختيار بقوله:" فيكون الكلام متناسقًا آخذًا بعضه بعنق بعض. وذلك باتصال الضمائر لشيء واحد"[٣]

وصف أبو حيان الذين جعلوا الضمائر تعود على أكثر من مرجع، بقوله:" ففيه تفكيك الكلام، إذ غاير بين الضّمائر وانقطع ترصيف الكلام بجعل بعضه مفلتًا من بعض"[٤]، وقد رجَّحه تلميذه السَّمين الحلبي.[٥]

نلحظ من ذلك أنَّ اتفاق الضمائر فيما تعود عليه، قد أدى إلى الترابط والتماسك في النَّصِّ القرآني.

٢-الانسجام الدلالي:

من الغايات الأخرى التي تحققها المشاكلة النحوية الانسجام الدلالي الذي يعني انتظام أجزاء النص القرآني، وتآلف وظائفه المختلفة، فلا تتعارض ولا تتنافر، بل تتفق وتصل إلى غاية واحدة، والبحث عن التناسق والتلاحم بين الجمل والفقرات والنص بكامله، وهو نوع من التماسك لكنه ليس بلفظي وإنما دلالي.[٦]

---

(١)يُنظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٥١٢٢/٨ ، والدر المصون:٤١٣/٨.

(٢)البحر المحيط:٥٢/٨.

(٣)المصدر نفسه: ٥٢/٨.

(٤)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٥)الدر المصون :٤١٣/٨.

(٦)يُنظر: الاتساق والانسجام في سورة الكهف،(رسالة ماجستير)، بوشيخي الهام وقطاف نبيله، جامعة د. مولاي الطاهر، الجزائر، ٢٠١٦: ٢٠.

ومن المهتمين بهذه الخاصية أبو حيان في تفسيره، فهو يبحث عن وحدة النصّ وانسجامه، قال في ختام الآية: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة البقرة:٢٠٢):" وجاءتْ هذه الآية شديدةُ الالتئام، مُستحكمةُ النظام، منسوقًا بعضُها على بعضٍ، ولا كنَسق اللآلئ مُشرقةُ الدَّلالةِ ولا كإشراقِ الشمس في بُرجِها العالي. ساميةٌ في الفصاحةِ إلى أعالي الذُّرى، مُعجزةٌ أنْ يأتي بمثلها أحد من الورى"(١)

فالقرآن الكريم قد جمع في حسن صياغته للألفاظ ودلالتها على المعنى، مما أدى إلى تحقيق نوع من التناسب والانسجام في تراكيب النص القرآني.

ومن الآيات التي نلمس فيها توظيف أبي حيان الاندلسي للمشاكلة في تحقيق الانسجام الدلالي، قوله تعالى:﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلُ اللهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (سورة البقرة:٩٠)

فقد وجه أبو حيان قوله: ﴿بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ المشار به إلى الكتاب، الذي تم ذكره في الآية السابقة، إذ قال تعالى:﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(سورة البقرة:٨٩)، وهو القرآن الكريم، وأُسند الفعل (أنزل) إلى (الله) عز وجل؛ لأن هذا الكتاب منزل من عنده، إذ قال:" ونُسب إسناده إلى الله، ليحصل التوافق من حيث المعنى بين قوله: {كتاب من عند الله} وبين قوله: {بما أنزل الله}"(٢)

---

(١)البحر المحيط:٢/٢٧٣.
(٢)المصدر نفسه:١/٤٩٠.

المشاكلة بين الآيتين حاصلة بنسبة الكتاب إلى الله، وهذا التشاكل ولَّد انسجامًا دلاليًا بين التركيبين، وهذا يدَّلُ على أنَّ القرآن ككلمة واحدة متلاحم الأجزاء.

ومن آليات الانسجام الدلالي مطابقة الجواب للسؤال، قد يكون توافقًا لفظيًا، أو من حيث المعنى، ومن ذلك توجيه أبي حيان في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (سورة الصف:١٤)

قيل في (إلى) من قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ﴾ قولان: [١]

الأول: أنْ تكون بمعناها الأصلي وهو انتهاء الغاية التي تفيده (إلى)، ويكون المعنى: مَنْ جندي متوجهًا إلى نصرة الله؟

الثاني: أنْ تكون بمعنى(مع) من باب تنزيل الحروف بعضها مقام بعض، فيكون المعنى: من ينصرني مع الله؟ أي: من انصاري مع الله.

فالأوَّل يكون فيه مطابقة الجواب للسؤال من حيث المعنى، أيْ: يجب أنْ يكون الجواب مطابقًا للسؤال من حيث المعنى، قال أبو حيان:" وقد تقرر في علم العربية أن الجواب يأتي على حسب السؤال مطابقًا له في اللفظ، ومراعًى فيه المعنى لا اللفظ"[٢]

---

(١)يُنظر: إعراب القرآن ،للنحاس:٢٧٩/٤، و إعراب القرآن ،للباقولي:٨٠٦/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية:٧٤٤٧/١١، ومفاتيح الغيب:٥٣٣/٢٩، والدر المصون:٣٢٣/١٠-٣٢٤.

(٢)البحر المحيط:٤٢٠/٣.

نلحظ لو كان السؤال: من أنصاري إلى الله؟ بمعنى: من أنصاري مع الله، لما كان جوابهم: نحن أنصار الله، مشاكلًا له. فالجواب ليس من جنس السؤال. وهذا التشاكل يتحقق عندما نقول: إنَّ معنى (من أنصاري إلى الله)؟ من منهم متوجهًا إلى نصرة الله، وقد عضَّد هذا الوجه بقراءة (عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي): أنصار الله بالإضافة.(١)، بلا حرف الجر (إلى)، وفيها تكون المشاكلة بين السؤال والجواب واضحة جدًا.

قال أبو حيان:" أي: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال: من أنصاري إلى الله؟"(٢)

وقد رفض الزمخشري كذلك من قبله أنْ تكون (إلى) بمعنى (مع)، إذ قال:" فإنْ قيل: ما معنى قوله:(من أنصاري إلى الله؟) فالجواب: يجب أنْ يكون معناه مطابقًا لجواب الحواريين (نحن أنصار الله)، والذي يطابقه أنْ يكون المعنى مَنْ جندي متوجهًا إلى نصرة الله، وإضافة أنصاري خلاف إضافة (أنصار الله) فإن معنى (نحن أنصار الله) نحن الذين ينصرون الله، ومعنى من أنصاري، من الأنصار الذين يختصمون بي ويكونون معي في نصرة الله، ولا يصح أنْ يكون معناه: من ينصرني مع الله؛ لأنَّه لا يطابق الجواب، والدليل عليه قراءة من قرأ: من أنصار الله"(٣)

وهذا يعني أن (إلى) لا تكون بمعنى (مع)، لسببين: الأول: هو التناسب بين السؤال والجواب في المعنى. والثاني: قراءة من قرأ: من أنصار الله.

---

(١)يُنظر: السبعة في القراءات:٦٣٥، ومعاني القراءات:٦٩/٣.

(٢)البحر المحيط:١٦٨/١٠-١٦٩.

(٣)الكشاف:٥٢٨/٤، ويُنظر: الدر المصون:٣٢٣/١٠-٣٢٤.

وقد بيَّن الباقولي قول بعض المفسرين في إقامة بعض الحروف مقام بعضها الاخر، إذ قال:" هذا في الحقيقة باب الحمل على المعنى، فقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ﴾ معناه: من يضيف نصرته إلى نصرة الله"(١)

وجَّه ابن جني قول من فسر أن تكون (إلى) بمعنى(مع)، في (باب في التفسير على المعنى دون اللفظ)، إذ قال:" ومنه قول المفسرين في قول الله :(من أنصاري إلى الله) أي مع الله، ليس أن (إلى) في اللغة بمعنى(مع)، ألا تراك لا تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: سرت مع زيد، هذا لا يعرف في كلامهم. وإنما جاز هذا التفسير في هذا الموضع؛ لأن النبي إذا كان له أنصار فقد انضموا في نصرته إلى الله، فكأنه قال: من أنصاري منضمين إلى الله، كما تقول: زيد إلى خير، وإلى دعة وستر، أي آوٍ إلى هذه الأشياء، ومنضم إليها. فإذا انضم إلى الله فهو معه لا محالة، فعلى هذا فسر المفسرون هذا الموضع"(٢)

وردَّ محمد عبد الخالق عضيمة(ت١٤٠٤هـ) على من أدعى أن تكون(إلى) بمعنى (مع)، بقوله:" وقيل: هي بمعنى(مع)، وليس بشيء فإن (إلى) لا تصلح أن تكون بمعنى (مع) ولا قياس يعضده"(٣)

نلحظ أنَّ اعتماد المشاكلة عند أبي حيان منطلقًا للترجيح في التوجيه، قد حقق انسجامًا دلاليًا بين السؤال والجواب. وهذا يعني أنَّ في قوله: {من أنصاري إلى الله} أن (إلى) بمعناها الأصلي، وذلك لأنَّ المعنى

---

(١)إعراب القرآن:٣/٨٠٦.

(٢)الخصائص:٣/٢٦٦.

(٣)دراسات لأسلوب القرآن الكريم:١/٣٨١.

يتطلب ذلك وسياق النص القرآني وتلاحم اجزائه، كل ذلك دلّ على الانسجام بين التراكيب القرآنية، فعلى الرغم من اللفظة الواحدة قد تدّل على عدة معانٍ، وفي النَّصِّ المبارك يترجَّح معنى معين، وذلك لأجل الانسجام والتلاؤم والترابط بين التراكيب والآيات المباركة.

٣-التناسب الإيقاعي:

هذه الميزة يمثلها النَّصُّ القرآني خير تمثيل، فله جانب من الروعة خاصٌ به، وجانب من هذه الروعة يرجع إلى جمال الإيقاع، وهذا ينبع من التناسب بين العناصر الصوتية واللفظية، أي من الأصوات اللغوية والحركات والمقاطع الصوتية، ومن توازن الفقرات والآيات، ومن تماثل الفواصل والغايات، فلو تغير وضع هذا النظام القرآني العجيب، من حذف وزيادة أو تقديم وتأخير، أو وضع كلمة مكان أخرى، لأدى إلى اختلال هذا التناسق والتلاؤم بين تراكيبه.(١)

ومن غايات المشاكلة التناسب الايقاعي بل هي أوضح غايات المشاكلة، فهي تضفي جمالاً موسيقيًا وإيقاعيًا على النَّصّ الكريم، ومن ذلك التناسب في فواصل الآيات المباركة التي تحمل جانبًا من الجمال الايقاعي للنظم القرآني.

ومن الآيات المباركة التي نجد فيها عناية أبي حيان في ابراز الجانب الايقاعي للمشاكلة النحوية ما ذكره في قوله تعالى:﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (سورة البقرة:٤٨)

---

(١)يُنظر: التناسب البياني في القرآن الكريم:٢٨٩.

ففي قول الله تعالى: ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾جِيء بالضمير(هم) جمعًا، وإن كان عائدًا على النفس، وهي مؤنث، وذلك حملاً على المعنى المراد، وهي (نفوس العباد)، وليس (النفس) المفردة، وجعل حرف النفي(لا) داخلاً على جملة اسمية، والأصل أن يدخل على الجملة الفعلية، كل ذلك من أجل المشاكلة لرؤوس الآيات المباركة. قال أبو حيان:" وحسن الحمل على المعنى كون ذلك في آخر فاصلة، فيحصل بذلك التناسب في الفواصل، بخلاف أن لو جاء: (ولا تنصر)، إذ كان يفوت التناسب"(١)

نلحظ من ذلك أن أبا حيان رصد التغيرات التركيبية التي طرأت على الجملة الفاصلة من أجل تحقيق التشاكل النحوي بين الفواصل القرآنية ليكون الإيقاع والتناسب الصوتي طابعًا بهذا النص الكريم، مما وجه مجيء الجملة الاسمية بعد حرف النفي(لا)، والمعطوفة على جملة فعلية، من باب التناسب التركيبي والإيقاعي الذي تمثله الفاصلة القرآنية، فعدل عن الجملة الفعلية إلى الاسمية لسبب ايقاعي، وهو تماثل الفواصل؛ لأن رؤوس الآيات في السياق القرآني للسورة قد ختمت بالنون في الأسماء والأفعال.

٤-الدلالة على المحذوف:

أجاز علماء العربية الحذف في التركيب شريطة وجود دليل يدلُّ على المحذوف، فذكر الزركشي من شروط الحذف:" أَنْ تَكونَ في المَذْكُورِ دَلالَةٌ عَلَى المَحْذُوفِ إِمَّا مِنْ لَفظِهِ أَوْ مِنْ سِيَاقِهِ وَإِلَّا لَمْ يُتمَكَّنْ مِنْ مَعرِفَتِهِ فَيَصيرُ اللَّفظُ مُخِلًّا بِالْفَهْمِ وَلِئلَّا يصير الكلام لغزا فيهج في الفَصَاحَةِ"(٢)

---

(١)البحر المحيط:٣١٠/١.

(٢)البرهان في علوم القرآن:١١١/٣.

وذكر أيضًا ثمانية أدلة للحذف، مرة يكون هذا الدليل دالًا على محذوف مطلق، ومرة يدَّلُ على محذوف معين.(١)

وهنا نرصد في تفسير البحر المحيط أن أبا حيان وظَّف المشاكلة النحوية دليلًا على وجود محذوف في التركيب ولا تتحقق المشاكلة النحوية إلا بتقدير هذا المحذوف، وعدم التقدير يؤدي إلى فوات التعادل التركيبي.

وهذه بعض النماذج التي تُبيِّن كيف كانت المشاكلة النحوية هي الدليل على المحذوف، منها في قوله تعالى:﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٨)

ذكر المفسرون في إعراب قوله: (لقومٍ يؤمنون)، من قوله تعالى:﴿إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ وجهين:(٢)

الأول: أنها متعلقة بهما جميعًا، أي بـ (نذير وبشير) لأن المعنى: أنهم ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالبشارة.

الثاني: أنها متعلقة بالبشير فقط، وأمَّا متعلق (نذير) فمحذوف، أي: نذير للكافرين، باقين على كفرهم، وبشير لقوم يؤمنون.

فهنا يكون قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ متعلقًا ب (بشير)، أي ذكر إحدى الطائفتين، وترك ذكر الثانية، لأن ذكر أحدهما يفيد ذكر الأخرى،

---

(١)البرهان في علوم القرآن:١٠٨/٣-١١١.

(٢)يُنظر: البحر المحيط:٢٤٢/٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٣٠٢/٣، وروح المعاني : ١٢٨/٥، والاعراب المفصل لكتاب الله المرتل ، بهجت عبد الواحد صالح:١٤٤/٤.

كما في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (سورة النحل:٨١)، وفي الأول، أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان نذيرًا وبشيرًا لكلتا الطائفتين، إلا أن المنتفع بتلك النذارة والبشارة هم المؤمنون، فلهذا السبب خصَّهم الله بالذكر.[١]

اختار أبو حيان أن يكون (لقوم يؤمنون) متعلقة بالبشير، ومتعلق (نذير) محذوفاً دلَّ عليه المقابل وهو (لقوم يؤمنون)، إذ قال:" قيل: حُذف متعلق النذارة، ودلَّ على حذفه إثبات مقابله والتقدير: نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون كما حُذف المعطوف في قوله:﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (سورة النحل:٨١)، أي والبرد، وبدأ بالنذارة"[٢]

وعلل ذلك الاختيار بقوله:" لأن السائلين عن الساعة كانوا كُفارًا إمَّا مُشرِكُو قريشٍ وإمَّا اليهودُ فكان الاهتمامُ بذكر الوصفِ من قوله: إن أنا إلا نذيرٌ آكَدُ وأوْلى بالتقديم"[٣]

وهذا ما ذكره المفسرون من بعده، كابن عاشور، معلقًا على هذا الحذف، بأنه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، إذ قال:" وأنَّ متعلق النذارة المتروك ذكره في النظم هو لأضداد المؤمنين، أي المشركين، وهذا المعنى مقصود على نحو قوله تعالى:﴿ لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الاحقاف:١٢). وهذه المعاني المستتبعات مقصودة من القرآن، وهي من وجوه إعجازه؛ لأن فيها استفادة معانٍ وافرةٍ من ألفاظ وجيزة"[٤]

---

(١)يُنظر: مفاتيح الغيب: ٤٢٦/١٥.

(٢)البحر المحيط:٢٤٢/٥، ويُنظر: الدر المصون:٥٣٣/٥.

(٣)البحر المحيط:٢٤٢/٥.

(٤)التحرير والتنوير:٢٠٩/٩.

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان قد حمل الآية على توجيه يحقق تناسبًا تركيبيًا بين قوله تعالى:﴿نَذِيرٌ﴾ يقابل قوله:﴿بشير لقوم يؤمنون﴾ لكي تتم المقابلة بين التركيبين، وكانت المشاكلة بينهما هي القرينة الدالة على الحذف.

وقد أشار إلى الوجهين الزمخشري في تفسيره، دون اختيار أحدهما، إذ قال:" (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعًا، لأن النذارة والبشارة إنما تنتفعان فيهم، أو يتعلق بالبشير وحده ويكون متعلقًا بالنذير محذوفًا، أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون"(١)

ومن الآيات الأخرى التي كانت المشاكلة النحوية هي القرينة الدالة على الحذف قوله تعالى:﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ (سورة الاسراء:١٨)

ذكر المفسرون في معنى قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ أقوالًا:(٢)

الأول: المراد منه: من كان يريد العاجلة بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر، كما قال عليه الصلاة والسلام: " من طلب الدنيا بعمل الاخرة فما له في الاخرة من نصيب"

الثاني: وقيل في المنافقين، الذين كانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة لا للثواب.

الثالث: المراد من (يريد) هم الكفرة، بدليل قوله تعالى في الآية اللاحقة لها:

---

(١)الكشاف:٢/١٨٥.

(٢)يُنظر: البحر المحيط:٧/٢٨، والدر المصون :٧/٣٣١، وروح المعاني:٨/٤٥.

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (سورة الاسراء:١٩).

اختار أبو حيان أن يكون المراد من قوله:﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ هم الكفرة، إذ قال:" ولا بُدَّ من تقدير حذف دلَّ عليه المقابل في قوله:﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فالتقدير: من كان يريد العاجلة وسعى لها سعيها وهو كافر"[١]

يبدو من ذلك أن أبا حيان قد اختار المعنى بناءً على المقابلة أو التناسب التركيبي بين الآيتين، حيث راعى التشاكل مع الآية قرآنية التالية في تقدير المحذوف، ودلّت عليه.

وكذلك يعضد اختيار أبي حيان لتقديره، ما جاء في قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (سورة هود:١٥-١٦)، فهذه الآية في الكفار، وهي نظير قوله تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما يشاء﴾.

وقد أشار من قبله الزمخشري أنَّ المراد فيها هم الكفار والفاسقون.[٢]

وقد رجَّح الألوسي اختيار أبي حيان، وذلك بعد ذكره، إذ قال:" ويؤيده تفسير كثير من كان يريد العاجلة بمن كان همه مقصورًا عليها لا يريد

---

(١)البحر المحيط:٢٨/٧، ويُنظر: الدر المصون:٣٣١/٧.

(٢)يُنظر:الكشاف:٦٥٥/٢.

غيرهـا أصـلاً فـإن ذلـك ممـا لا يكـاد يصـدق علـى مـؤمن فاسـق فإنـه لـو لـم يكن له إرادة للآخرة ما آمن بها"[1]

ومنهـا أيضًـا فـي قولـه تعـالى:﴿ وَقَـالَ الْمَـلَأُ مِـن قَوْمِـهِ الَّـذِينَ كَفَـرُوا وَكَـذَّبُوا بِلِقَـاء الآخِـرَةِ وَأَتْرَفْنَـاهُمْ فِـي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا مَـا هَـذَا إِلاَّ بَشَـرٌ مِّـثْلُكُمْ يَأْكُـلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (سورة المؤمنون:٣٣)

ذكر المفسرون في إعراب (ما) من قوله: ﴿مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ وجهين:[2]

قبـل ذكـر هـذه الأوجـه لا بُـدَّ مـن التميـز بـين (ما)المصـدرية و(مـا) الموصـولة، نقـول: أن (مـا) الموصـولة اسـم، وتحتـاج فـي صـلتها إلـى عائـد يعـود عليهـا، و(مـا) المصـدرية فهـي حـرف لا تحتـاج إلـى هـذا العائـد. فـإذا كـان فـي صـلتها (أي: مـا) ضـمير عائـد فهـي موصـولة لا غيـر؛ لأن الضـمير لا يعـود علـى الحـروف و(مـا) المصـدرية كمـا قلنـا هـي حـرف، كمـا فـي قولنـا: اعجبنـي مـا فعلتـه، ولكـن إذا حُـذف العائـد وهـو جـائز أن يحـذف فـي مواضـع ، فحينئـذ تحتمـل (مـا) المصـدرية والموصـولة، مـثلا: أعجبنـي مـا فعلـت، يمكـن أنْ تكـون بمعنـى : أعجبنـي فعلـك (مصـدرية) أو : أعجبنـي الـذي فعلـت (موصـولة)، ولكـن قـد يكـون السـياق حاكمًـا فـلا يصـح إلاَّ أحـد الاحتمـالين، مثـل قولـه تعـالى: ﴿ قَالَـتْ إِنَّ أَبِـي يَـدْعُوكَ لِيَجْزِيَـكَ أَجْـرَ مَـا سَـقَيْتَ لَنَـا﴾(سـورة القصـص: ٢٥) ف (مـا سـقيت) الصـلة لـيس فيهـا ضمير ولا تحتمل الا المصدرية ،أي: أجر سقيك، ولا يستقيم المعنى إذا

---

(١)روح المعاني:٨/٤٥.

(٢)يُنظر: إعراب القرآن، النحاس:٣/٧٩، ومشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، تح: د. حاتم صالح الضامن:٢/٥٢٠، والبحر المحيط:٧/٥٥٩، وروح المعاني:٩/٣٢٣.

قدرناه موصولة: أجر الذي سقيت، لا معنى له. واحيانًا لا تصح إلا الموصولة مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (سورة آل عمران:٩٢) أي: مما تحبونه، أي: من الذي تحبونه وهو المال ولا تصح المصدرية؛ لأنه لا معنى لذلك (من حبكم).[١]

الأول: أنَّها مصدرية ولا تحتاج إلى عائد، والتقدير: يشرب من مشروبكم، بتأويل المصدر باسم المفعول.

الثاني: أنَّها موصولة، وحينئذ تحتاج جملة الصلة إلى عائد، واختلفوا في هذا العائد، فمنهم من قدره مفعولًا به للفعل (تشربون)، فيكون التقدير: (ممَّا تشربونه) لوجود شروط جواز حذف العائد، فهو منصوب بفعل تام، ومنهم من قدره مجرورًا بحرف جر، قد حذف مع جاره، والتقدير: (تشربون منه).[٢]

فالعائد مجرور بحرف قد حذف مع جاره، لاستيفائه شروط الحذف. وهي أن يكون قد جر بحرف مماثل للجار العامل متحد معه لفظًا ومعنى، والعاملان متفقان أيضًا، كما في قوله: (ويشرب مما تشربون).[٣]

اختار أبو حيان أن تكون (ما) موصولة، وقد حذف العائد مع جاره لاستيفائه شرائط الحذف، بقوله:" والظاهر أنَّ (ما) موصولةٌ في قوله: ممَّا تشربون وأنَّ العائد محذوف تقديره:

---

(١)يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام:١/٣١٦-٣١٧.

(٢)يُنظر: معاني القرآن: ٢/٢٣٤، وجامع البيان: ١٧/٤٠.

(٣)يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:١/٥٥٠.

مما تشربون منه لوجود شرائط الحذف. وهو اتحاد المُتعلِّق والمتعلَّق، كقوله: مررتُ بالذي مررتَ"[١]

ورفض بعض المفسرين هذا التقدير، قال النحاس:" وذا لا يجوز عند البصريين فلا يحتاج إلى حذف البتَّة، لأنَّ "ما" إذا كانت مصدرًا لم تحتج إلى عائد فإن جعلتها بمعنى: الذي وحذفت المفعول ولم يحتج إلى إضمار من"[٢]

وضَّح أبو حيان قول النحاس، بقوله:" يعني أنَّه يصير التقدير: مما تشربونه، فيكون المحذوف ضميرًا متصلًا وشروط جواز الحذف فيه موجودةٌ، وهذا تخريجٌ على قاعدة البصريين"[٣] ومن الرافضين أيضًا الزركشي.[٤]

وعلَّل أبو حيان سبب اختياره، بقوله:" يفوت فصاحة معادلة التركيب ألا ترى أنه قال: مما تأكلون منه فعدَّاه بمن التبعيضية، فالمعادلة تقتضي أنْ يكون التقدير: مما تشربون منه، فلو كان التركيب مما تأكلونه، لكان تقدير تشربونه هو الراجح"[٥]

وقوله أيضًا:" وحسن هذا الحذف ورجَّحه كون تشربون فاصلة ولدلالة منه عليه في قوله مما تأكلون منه"[٦]

---

(١)البحر المحيط:٥٥٩/٧.

(٢)إعراب القرآن:٧٩/٣.

(٣)البحر المحيط:٥٥٩/٧.

(٤)البرهان في علوم القرآن:١٦٣/٣.

(٥)البحر المحيط:٥٥٩/٧.

(٦)المصدر نفسه:٥٥٩/٧.

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان، قد وجه هذا التركيب القرآني على وجه تتحقق به المشاكلة النحوية بين قوله: ﴿يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ وقوله: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ لكي تتم المقابلة بينهما، فكانت المقابلة هي الوسيلة أو القرينة الدالة على المحذوف.

وفي قوله تعالى:﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (سورة النمل:٦٠)

ذكر المفسرون في قوله(أمَّن) قراءتين:[١]

الأولى: وهي قراءة الجمهور (أمَّن) متكونة من (أمْ) المنقطعة، و(مَنْ) اسم استفهام.

الثانية: وهي قراءة الأعمش (أمن) متكونة من (من) المخففة الموصولة بمعنى(الذي) دخلت عليها همزة الاستفهام، وفي كلتا القراءتين تكون (من) مبتدأ، والخبر محذوفًا.

اختلفوا في تقدير ذلك الخبر، فقدَّر أبو حيان الخبر المحذوف من جنس المذكور من آية أخرى في السورة نفسها، قال:" وتقدير تلك الجملة: أمن خلق السماوات كمن لم يخلق، وكذلك أخواتها، وقد أظهر في غير هذا الموضع ما أضمر فيها لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل:١٧)"[٢]

---

(١)يُنظر: المحتسب:١٤٢/٢، والمحرر الوجيز:٢٦٦/٤.

(٢)البحر المحيط:٢٥٧/٨.

كان هذا التقدير الذي ذكره أبو حيان هو رأي أبي الفضل الرازي في كتابه(اللوامح)، وهو:" إذ قال: ولا بُدَّ من إضمار جملة معادلة، وصار ذلك المضمر كالمنطوق به لدلالة الفحوى عليه، وتقدير تلك الجملة: أمن خلق السماوات والأرض كمن لم يخلق، وكذلك أخواتها، وقد أظهر في غير هذا الموضع ما أضمر فيها لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النمل:١٧)"[١]

وهذا كما ذكرت كان اختيار أبي حيان لتقدير الخبر لكن اعترض على الرازي في تسمية الخبر ب (جملة)، إذ قال:" وتسمية هذا المقدر جملة إن أراد بها جملة من الالفاظ فهو صحيح، وإن أراد الجملة المصطلح عليها في النحو فليس كذلك، بل هو مضمر من قبيل المفرد"[٢]

أمَّا ابن جني والزمخشري، فقد ذهبا إلى تقدير الخبر ب (خيرٌ أمَّا تشركون)، وذلك بدلالة ما قبله عليه، وهو قوله: {آلله خير أما يشركون}، فكأن المعنى: الذي خلق السموات والأرض، وأنزل لكم من السماء ماء، فأنبتا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها خير أم تشركون.[٣]، وهذا ما ذهب إليه الألوسي كذلك.[٤]

في حين ذهب ابن عطية إلى أن الخبر محذوف وتقديره: (يكفر بنعمته ويشرك به)، إذ قال:" وتقدير الخبر يكفر بنعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى"[٥]

---

(١)البحر المحيط: ٢٥٧/٨.

(٢)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٣)يُنظر: المحتسب:١٤٢/٢، والكشاف:٣٧٦/٣.

(٤)روح المعاني:٢١٦/١٠.

(٥)المحرر الوجيز :٢٦٦/٤.

فكان تقدير أبي حيان للخبر بناءً على المشاكلة مع تركيب آية أخرى، وكانت هذه المشاكلة هي القرينة الدالة على نوع المحذوف المقدَّر.

خامسًا: أثر المشاكلة في التوجيه النحوي:

إنَّ المشاكلة أو التلاؤم والانسجام في تراكيب النَّصّ القرآني له أثر كبير في التوجيه النحوي وبيان مدى قوته أو ضعفه أو رفضه، وقد اعتمدها أبو حيان في توجيه النحوي للتركيب القرآني في مواضع كثيرة من تفسيره.

من ذلك توجيه قوله:﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ من قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(سورة الأعراف:٨٦)

ذُكر فيها وجهان :[١]

الأول: أنَّ (من آمن) مفعول ب (توعدون) فيصير من إعمال الأول، والضمير في (به) عائد إلى (كل صراط)، تقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم دلالة على عظم ما يصدون عنه. وهو اختيار الزمخشري.[٢]

الثاني: أنَّ (من آمن) منصوب ب (تصدون) على إعمال الثاني، ومفعول (توعدون) ضمير محذوف، والضمير في (به) قيل: إنه عائد على (سبيل الله)؟ لأن (السبيل) تذكر وتؤنث، وقيل: على (الله). وهو قول العكبري.[٣]

---

(١)يُنظر: البحر المحيط:١٠٧/٥، واختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعًا ودراسة ،بدر بن ناصر البدر:٧٨.

(١)الكشاف:١٢٨/٢.

(٣)التبيان في إعراب القرآن:٥٨٢/١.

وقد رجَّحه أبو حيان، إذ قال:" ويدل على (من آمن) منصوب ب تصدون الآية الأخرى، وهو قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ (آل عمران:٩٩)"[١]

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان قد راعى التَّشاكل بين آيتين من سورة آل عمران وسورة الأعراف، في اختياره لإعراب قوله: (من آمن) في آية الأعراف، بالاعتماد على التركيب القرآني الوارد في سورة آل عمران، إذ جاء هذا التركيب قاطعًا بوجه واحد. والتماثل التركيبي بين الآيتين دفع أبا حيان إلى حمل الآيتين على توجيه واحد واختيار الوجه النحوي الذي يحقق التشاكل التركيبي. وقد تابعه تلميذه السمين الحلبي في رأيه.[٢]

ردَّ أبو حيان رأي الزمخشري بقوله:" وهذا تعسفٌ في الإعراب لا يليقُ بأن يُحمل القرآن عليه لما فيه من التقديم والتأخير، ووضع الظاهر موضع المُضمر من غير حاجةٍ إلى ذلك، وعود الضمير على أبعد مذكور مع إمكان عوده على أقرب مذكور الإمكان السائغ الحَسَنَ الرَّاجح، وجعلَ (مَن آمنَ) منصوبًا ب (تُوعدون) فيصيرُ من إعمال الأوَّلِ وهو قليل"[٣]

وينقل أيضًا رأي النحاة:" وقد قال النحاة: إنَّه لم يرد في القرآن لقلته، ولو كان من إعمال الأول للزم ذكر الضمير في الفعل الثاني وكان يكون التركيب (تصدونه) أو (تصدونهم) إذ هذا الضمير لا يجوز حذفه على قول الاكثرين إلا ضرورة على قول بعض النحاة يحذف في قليل من الكلام"[٤]

---

(١)البحر المحيط:١٠٨/٥.

(٢)الدر المصون:٣٧٦/٥.

(٣)البحر المحيط:١٠٨/٥.

(٤)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

وفي قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الانعام:٣٩)

أعرب المفسرون قوله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ بأوجه: [١]

الأول: أنْ يكون خبرًا ثانيًا لقوله:﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾.

الثاني: أنْ يكون حالاً من الضمير المقدر في الخبر، تقديره: ضالُّون حال كونهم مستقرين في الظلمات.

الثالث: أن يكون صفة (بكم)، على أنَّه متعلق بمحذوف، والتقدير: بُكم كائنون في الظلمات.

الرابع: أنْ يكون ظرفًا ل (صم) أو (بكم).

رجَّح أبو حيان أن يكون (خبرًا)؛ لأن قوله: (في الظلمات)، نظير لقوله تعالى في آية أخرى وهي:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة البقرة:١٨).

فعبارة (في الظلمات) تساوي (العمي) في الدلالة، إذ قال:" والاخبار عنهم بقوله: {صم وبكم في الظلمات} ... وجاء قوله: (في الظلمات) كناية عن عمي البصيرة، فهو يَنظُرُ كقوله: ﴿صم بكم عمي﴾، لكن قوله: (في الظلمات) أبلغ من قوله: {عُميٌ} إذ جُعلت ظرفًا لهم وجمعت لاختلاف جهات الكفر، كما قيل في قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (سورة الانعام:١)"[٢]

---

(١)يُنظر: التبيان في إعراب القرآن:١/٤٩٤، والبحر المحيط: ٥٠٥/٤، ، والدر المصون:٦١٣/٤-٦١٤.

(٢)البحر المحيط:٥٠٥/٤.

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان قد رجَّح الخبرية، وذلك تناسبًا وتشاكلاً مع قوله تعالى في آية أخرى:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾، فالمشاكلة بين الآيتين والبحث عن التناظر التام بينهما دفع باتجاه خبرية (في الظلمات).

وقد تابعه تلميذه السمين الحلبي، ووضح اختيار أستاذه، بقوله:" أَنْ يكون خبرًا ثانيًا لقوله:(والذين كذبوا) ويكون ذلك عبارة عن العمى، ويصير نظير الآية الأخرى:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة البقرة:١٨) فعبر عن العمي بلازمه، والمراد بذلك عمى البصير"[١]، واختاره ابن عاشور.[٢]

وقد أشار ابن عطية إلى ذلك دون ذكر إعرابه، بقوله: " وقوله: (في الظلمات) ينوب عن(عمي)، وفي الظلمات أهول عبارة وأفصح وأوقع في النفس"[٣]

ورجح الزمخشري أن يكون حالاً، إذ قال:" خابطون في ظلمات الكفر، فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه"[٤]

والباقولي أيضًا بقوله:" والجار في قوله: (في الظلمات) متعلق بمحذوف، والتقدير: صم وبكم ثابتون في الظلمات"[٥]

---

(١)الدر المصون:٤/٦١٤.

(٢)التحرير والتنوير:٧/٢١٩.

(٣) المحرر الوجيز:٢/٢٩٠.

(٤)الكشاف:٢/٢٢.

(٥)إعراب القرآن : ١/١٨٠، ويُنظر: روح المعاني: ٤/١٤٠.

نلحظ أنَّ أبا حيان لم يكتفِ بالمشاكلة النحوية أساسًا مرجحًا عندما تكون في آية واحدة أو آيتين متتاليتين في سورة واحدة، بل جعلها أساسًا للترجيح باعتماد المشاكلة بين الآيات المتناظرة في السور المختلفة.

وأيضًا في قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(سورة يونس:٣٥)

الفعل(يهدي) فعل متعدٍ إلى اثنين، وقد قيل: إنَّه فعل لازم(قاصر) لا يتعدى بمعنى(اهتدى)، وقد كانت المشاكلة بين تراكيب النص القرآني، دليلًا على توجيه الفعل بأنه متعدٍ. وهذا ما اختاره أبو حيان، بقوله:" ويهدي إلى الحق حُذف مفعوله الأول، ولا يصح أن يكون لازمًا بمعنى: يهتدي؛ لأن مقابله إنما متعدٍ، وهو قوله: ﴿قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أي يهدي من يشاء إلى الحق"(١)

وجعل الفعل لازمًا هو رأي الفراء والكسائي، إذ قال الفراء:" العرب تقول: قد هدى فلان، واهتدى بمعنى واحد، وهما جميعًا في أهل الحجاز"(٢)

وقال الزمخشري:" ويقال: هدى بنفسه بمعنى اهتدى، كما يقال: شرى واشترى"(٣)

وقد تابع ابن عادل من المفسرين أبا حيان في اختياره، وردَّ على راي الكسائي والفراء، ومن بعدهم الزمخشري، بقوله:" وفيه نظر؛ لأن مقابله وهو (قل الله يهدي للحق) متعدٍ"(٤)

---

(١)البحر المحيط:٦/٥٥.

(٢)كتاب فيه لغات القرآن:٧٣.

(٣)الكشاف:٢/٣٤٦.

(٤)اللباب في علوم الكتاب:١٠/٣٢٤.

يبدو من ذلك أنَّ أبا حيان قد اختار أنْ يكون الفعل متعديًا؛ لأن مقابله متعدٍ وليس لازمًا حتى يكون بينهما تلاؤم وانسجام، الذي هو ميزة النص القرآني.

وأيضًا في قوله تعالى:﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (سورة النمل:٣١)

ذكر المفسرون في إعراب (أن) من قوله: (ألا تعلوا) أوجهًا:[١]

الأول: أنَّ (أنْ) مصدرية في موضع رفع بدلاً من (كتاب)، كأنه قيل التقدير: أُلقي إلي أن لا تعلوا عليَّ، وتكون (لا) نافية.

الثاني: أنْ تكون في موضع رفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو أن لا تعلوا.

الثالث: أنْ تكون في موضع نصب على إسقاط الخافض، بمعنى: بأن لا تعلوا، وتكون (لا) نافية.

الرابع: أنْ تكون مفسرة، كما تقدم في قراءة عكرمة لقوله:﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَأَنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(سورة النمل:٣٠)، وتكون هنا(لا) ناهية. وهو اختيار الزمخشري.[٢]، والرازي.[٣]

رجَّح أبو حيان اختيار الزمخشري، بأن تكون (أن) مفسرة، و(لا) ناهية؛ لأجل المشاكلة بين تركيب الآيتين، قال:" وقال الزمخشري: وأن في (ألا تعلوا) على أن تكون مفسرة، وهو حسن لمشاكلة عطف الامر عليه وهو قوله: (وأتوني)، ويكون المعنى: لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك"[٤]، وتابعه تلميذه السمين الحلبي.[٥]

---

(١)يُنظر: الكشاف:٣/٣٦٤، والبحر المحيط:٨/٢٣٥، والدر المصون:٨/٦١٠.

(٢)الكشاف:٣/٣٦٤.

(٣)مفاتيح الغيب:٢٤/٥٥٤.

(٤)البحر المحيط:٨/٢٣٥.

(٥)الدر المصون:٨/٦١٠.

وهذا الرأي ذكره الكرماني ثم تابعه الزمخشري، إذ قال:" ويجوز في (ألا تعلوا عليَّ) الرفع على (أُلقي إليَّ أن لا تعلوا)، ويجوز النصب كتابًا بأن لا تعلوا، والأحسن أن تكون مفسرة"[١]

ذكر الألوسي أوجه الاعراب هذه دون ترجيح أحدها، إذ قال عند كلامه على عطف (أتوني مسلمين):" (وأتوني مسلمين) عطف على ما قبله، فإن كانت فيه (لا) ناهية فعطف الامر عليه ظاهر، وإن كانت نافية و(أن) مصدرية فعطفه عليه من عطف الإنشاء على الأخبار والكلام فيه مشهور، والأكثرون على جوازه في مثل هذا"[٢]

من الآيات الأخرى التي كانت المشاكلة لها أثر في الاعراب، قوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(سورة الرعد:١٨)

ذكر المفسرون في إعراب:﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ وجهين:[٣]

الأول: أنْ يكون(للذين) خبرًا مقدمًا، و(الحسنى) مبتدأ مؤخرًا، و(الذين) مبتدأ وخبره (لو أن لهم ما في الأرض).

الثاني: أنْ يكون(للذين) متعلقًا ب(يضرب) معطوفًا عليه، والمعني: كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين اجابوا ربهم، وللكافرين الذين لم يجيبوا، وهما الفريقان،

---

(١)لباب التفاسير:١٨٩٧.

(٢)روح المعاني:١٩١/١٠.

(٣)يُنظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد:٦٧٣/٣-٦٧٤، والبحر المحيط:٣٧٥/٦، وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش:١٠٩/٥.

و(الحسنى) صفة لمصدر (استجابوا)، فيكون المعنى: استجابوا الاستجابة الحسنى، ويكون قوله: (لو أن لهم ما في الأرض) كلامًا مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين.

وهذا اختيار الزمخشري، إذ قال:" للذين استجابوا اللام متعلقة ب يضرب، أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا، وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مثلا الفريقين، والحسنى صفة لمصدر استجابوا الاستجابة الحسنى. وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم﴾ كلام مبتدأ، في ذكر ما أعد لغير المستجيبين". [1]، واختاره البيضاوي(ت٦٨٥هـ)[2]، والشوكاني[3].

رجح أبو حيان الوجه الأول، وهو أن يكون (للذين استجابوا لربهم) كلامًا مستأنفًا عما قبله، أي أن (للذين) خبر مقدم و(الحسنى) مبتدأ مؤخر، إذ قال: "لأنه فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين، والله تعالى قد ضرب أمثالا كثيرة في هذين وفي غيرهما، ولأنه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري فكما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب، ذكر ما للمستجيبين من الثواب"[4]

ردَّ أبو حيان على رأي الزمخشري، بقوله:" ولأن تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقيد الاستجابة، ومقابلتها ليس نفي الاستجابة مطلقًا، إنَّما مقابلُها نفي الاستجابة الحسنى، والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقًا. ولأنه على قوله: يكون قوله:

---

(١)الكشاف:٢/٥٢٤.

(٢)أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣/١٨٥.

(٣)فتح القدير:٣/٩١.

(٤)البحر المحيط:٦/٣٧٥.

" لـو أن لهـم مـا فـي الأرض جميعًـا" كلامًـا مُفلتـا ممـا قبلـه، أو كالمُفلـت، إذ يصير المعنى: كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين"[١]

وقـد سـبق العكبـري أبـا حيـان، إذ قـال:" للـذين اسـتجابوا، مسـتأنف، وهو خبر (الحسنى)"[٢]، ووافقهما الهمذاني(ت٦٤٣هـ)[٣].

وهـذا رأي ابـن عاشـور مـع بيانـه لتقـديم الخبـر علـى المبتـدأ، إذ قـال:" وفـي العـدول إلـى الموصـولين وصـليتهما فـي قولـه: للـذين اسـتجابوا – والـذين لـم يسـتجيبوا إيمـاء إلـى أنَّ الصـلتين سـببان لمـا حصـل للفـريقين. وتقـديم المسـند فـي قولـه: (للـذين اسـتجابوا لـربهم الحسـنى)؛ لأنَّـه الأهـم لأن الغـرض التنويـه بشـأن الـذين اسـتجابوا مـع جعـل الحسـنى فـي مرتبـة المسـند إليـه، وفـي ذلك تنويه بها أيضًا"[٤]

نلحـظ مـن ذلـك أنَّ أبـا حيـان قـد رجـح الـرأي الأول، ولـم يـرتضِ توجيـه الزمخشـري بنـاءً علـى المشـاكلة بـين عناصـر تركيـب الآيـة المباركـة، فيكـون كلاهمـا متكونًـا مـن مبتـدأ وخبـر مـن ناحيـة اللفـظ، ومـن حيـث المعنـى، يكـون هذا الضرب لكلا الفريقين المؤمنين والكافرين.

وفـي قولـه تعـالى:﴿ وَالأَنْعَـامَ خَلَقَهَـا لَكُـمْ فِيهَـا دِفْءٌ وَمَنَـافِعُ وَمِنْهَـا تَـأْكُلُونَ ۞وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾(سورة النحل:٥-٦)

---

(١)البحر المحيط: ٣٧٥/٦.

(٢)التبيان في إعراب القرآن :٧٥٦/٢.

(٣)الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد:٦٧٤/٣.

(٤)التحرير والتنوير:١٢٢/١٣.

ذكر المفسرون في إعراب ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ وجهين: [1]

الأول: أنْ يكون(لكم) متعلقًا بالفعل (خلقها)، و(فيها دفءٌ) جملة في موضع الحال من الضمير المنصوب (الهاء) في(خلقها).

الثاني: أنْ يكون (لكم) شبه جملة متعلقة بمحذوف، وهو (خبر)، ويكون(فيها) متعلقًا بما تعلق به الخبر، أو يكون حالاً من (دفءٌ)، لأنه لو تأخر لكان صفة له، أو يكون هو الخبر، و(لكم) متعلق بما تعلق به. وهو اختيار العكبري، الذي قال:" ويجوز أن يكون (لكم) حالاً من (دفءٌ) و(فيها) الخبر، ويجوز أن يرتفع (دفءٌ) ب (لكم) أو ب (فيها) والجملة كلها حال من الضمير المنصوب"[2]

وقد اختار أبو حيان أن يكون (لكم فيها دفءٌ) جملة مستأنفة، و(دفءٌ) هي المبتدأ والخبر(لكم)، و(فيها) متعلق بما تعلق به (لكم) من معنى الاستقرار.

ردَّ أبو حيان على العكبري، بقوله:" وهذا لا يجوز لأن الحال إذا كان العامل فيها معنى فلا يجوز تقديمها على الجملة بأسرها، لا يجوز: قائمًا في الدار زيدٌ، فإن تأخرت الحال عن الجملة جازت بلا خلاف، أو توسطت فأجازه ذلك الأخفش، ومنعه الجمهور"[3]

وقوله أيضًا:" ولا تسمى جملة؛ لأنَّ التقدير: خلقها لكم فيها دفءٌ، أو خلقها لكم كائنًا فيها دفءٌ، وهذا من قبيل المفرد لا من قبيل الجملة"[4]

---

(١)يُنظر: البحر المحيط:٥٠٦/٦، والدر المصون:١٩١/٧.

(٢)التبيان في إعراب القرآن:٧٨٩/٢.

(٣)البحر المحيط:٥٠٦/٦.

(٤)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

وذكر وجهًا آخر ذكره المفسرون، إذ قال:" وجوزا أن يكون (لكم) متعلقًا ب (خلقها)، و(فيها دفءٌ) استئناف لذكر منافع الانعام"[١]

وقد رجح وجهًا من هذه الأوجه الاحتمالية ما يحقق المقابلة النحوية بين قوله:(لكم فيها دفءٌ) و(لكم فيها جمال)، على أنها جملة مستأنفة عما قبله، إذ قال:" ويؤيد كون (لكم فيها دفءٌ) يظهر فيه الاستئناف مقابلته بقوله: (لكم فيها جمال)، فقابل المنفعة الضرورية بالمنفعة غير الضرورية"[٢]، وهذا ما رشحه الكرماني[٣]، والرازي[٤].

سادسًا: المشاكلة والمفاضلة بين التقديرات:

إذا دلَّ دليل على المحذوف في آية، وظهر هذا المحذوف في آية أخرى، فتقدير ذلك المحذوف بما ظهر في موضع آخر أولى من كل تقدير في ترجيح صحة تقدير المحذوف، وأوفق للصواب، وهو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وهذه القاعدة التي اعتمدها اكثر مفسري القرآن الكريم.[٥]، ومنهم أبو حيان الاندلسي في تفسيره.

---

(١)البحر المحيط: ٥٠٦/٦.

(٢)المصدر نفسه: والصفحة نفسها، ويُنظر: روح المعاني:٣٤١/٧

(٣)لباب التفاسير:١٠١٦.

(٤)مفاتيح الغيب:١٧٥/١٩.

(٥٦)يُنظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية:٤٣٩/١، والاشارة إلى الايجاز، عز الدين عبد العزيز:١٥.

ومن التراكيب القرآنية التي كان أساس المفاضلة في التقدير فيها هو تشاكل الآية القرآنية مع آية أخرى قوله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى باللهِ وَكِيلاً﴾ (سورة النساء:١٧١)

ذكر المفسرون في إعراب (ثَلاثَةٌ) من قوله: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ﴾ أنها خبر لمبتدأ محذوف، واختلفوا في تقدير ذلك المبتدأ:(١)

الأول: أنْ يكون تقديره (هم ثلاثة). وهو اختيار الفراء(٢)، وأبو عبيدة(ت٢٠٩هـ)(٣)، والطبري(ت٣١٠هـ) الذي قال:" ورفعت الثلاثة بمحذوف دلَّ عليه الظاهر، وهو (هم)، ومعنى الكلام: ولا تقولوا هم ثلاثة، وإنما جاز ذلك؛ لأن القول حكاية، والعرب تفعل ذلك في الحكاية، ومنه قول الله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (سورة الكهف:٢٢)، وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه، ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم"(٤)

الثاني: أنْ يكون تقديره (آلهتنا ثلاثة). وهو اختيار الزجاج(٥)، والنحاس(٦)

---

(١)يُنظر: البحر المحيط:١٤٤/٤، والدر المصون:١٦/٤-١٦٧.

(٢)معاني القرآن :٢٩٦/١.

(٤)مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سزكين:١٤٤/١.

(٤)جامع البيان:٧٠٦/٧.

(٥)معاني القرآن وإعرابه:١٣٥/٢.

(٦)إعراب القرآن:٢٥٣/١.

ومكي بن ابي طالب[١]، والعكبري[٢]، والزمخشري الذي قال:" تقديره: الآلهة ثلاثة. والذي يدلَّ عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة"[٣]

الثالث: أنْ يكون تقديره (هو ثالث ثلاثة). وهو اختيار أبي علي الفارسي، وذكره ابن عطية، إذ قال:" وقوله تعالى: {ولا تقولوا ثلاثة} المعنى: الله ثالث ثلاثة، فحذف الابتداء والمضاف، كذا قدر أبو علي"[٤]

ورجَّح أبو حيان قول أبي علي الفارسي بأن يكون المقدر:(الله ثالث ثلاثة)؛ وذلك لمشاكلته لتركيب آية قرآنية أخرى، إذ قال:" أراد أبو علي موافقة قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ (سورة المائدة:٧٣)"[٥]

وقوله:" ويترجح قول أبي علي بموافقته الآية التي ذكرناها، وبقوله تعالى:﴿ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (سورة النساء:١٧١)، والنصارى وإن اختلفت فرقهم فهُم مجمعون على التثليث"[٦]

نلحظ في هذه المسألة أن التوجيهات المذكورة في الآية كلها تقدَّر محذوفًا لكن أبا حيان وازن بين التقديرات المختلفة واختار أقربها مشاكلة للتركيب القرآني الوارد في آية أخرى على الرغم من أن هذا التقدير يقتضي حذف مبتدأ على التقديرات الأخرى.

---

(١)الهداية إلى بلوغ النهاية:٢١٤/١.

(٢)التبيان في إعراب القرآن:٤١٢/١.

(٣)الكشاف:٥٩٣/١-٥٩٤.

(٤)المحرر الوجيز:١٣٩/٢.

(٥)البحر المحيط:١٤٤/٤.

(٦)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

في قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الانفال:٦٧)

ذكر المفسرون في إعراب (الآخرة) من قوله: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ وجهين، استنادًا إلى قراءتين هما:(١)

الأولى: وهي قراءة الجمهور بالنصب على أنَّه مفعول به للفعل (يريد). وهذه القراءة تحمل وجهين:

الأول: عدم التقدير.

الثاني: التقدير على أنْ يكون قد حُذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهي (الآخرة)، بتقدير: يريد ثواب الآخرة.

الثانية: وهي قراءة سليمان بن جماز، بجرِّ (الآخرة) على أن يكون قد حُذف المضاف وبقي المضاف إليه على جره.

يتضح من ذلك أنَّه قد حذف المضاف وأبقى المضاف إليه في قراءة الجمهور التي تحتمل التقدير وهي بالنصب، وهنا من قدَّر فأنه حاول المشاكلة مع القراءة، أو قراءة سليمان بن جماز بالجر، ومن قدَّر حاول المشاكلة في تحديد نوع المقدَّر، وذلك على النحو الآتي:

الأول: منهم من قدره: ثواب الآخرة، فيكون التقدير: الله يريد ثواب الآخرة، أيْ: يريد بكم ثواب الآخرة.

---

(١)يُنظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها:٢٨١/١-٢٨٢، والبحر المحيط:٣٥٣/٥ ، والدر المصون:٦٣٨/٥، وروح المعاني:٢٢٩/٥.

وهو اختيار النحاس[١]، والبغوي(ت٥١٠هـ)[٢]، والكرماني[٣]، والزركشي الذي قال:" قدروه عرض الاخرة والاحسن أن يقدَّر ثواب الاخرة؛ لأن العرض لا يبقى بخلاف الثواب"[٤]

الثاني: منهم من قدره: زينة الآخرة، أيْ يريد لكم زينة الآخرة وخيرها. وهو اختيار مكي بن أبي طالب[٥]

الثالث: منهم من قدره: عمل الآخرة. وهو اختيار ابن عطية الذي قال:" والله يريد الآخرة أي عمل الآخرة فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، وجعله كقوله: ونارٍ توقد باليل نارًا، بتقدير: وكل نارٍ"[٦]

وردَّ عليه أبو حيان في جعله الآية الكريمة كالبيت الشعري، بقوله:" لأن جره مثل ونارٍ جائز فصيح وذلك إذا لم يفصل بين المجرور وحرف العطف، أو فصل ب(لا) نحو: ما مثلُ زيدٍ ولا أخيه يقولان ذلك ... إمَّا إذا فصل بينهما بغير(لا) كهذه القراءة، فهو شاذٌ قليل"[٧]

الرابع: منهم من قدره: عرض الآخرة، فيكون قد حذف المضاف لدلالة ما قبله عليه، وهو قوله:(عرض الدنيا)، وهذا لا يجوز من حيث المعنى، أنَّ الله عزَّ وجلَّ

---

(١)إعراب القرآن:١٠٥/٢.

(٢)معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش:٣٧٦/٣.

(٣)لباب التفاسير:٥٥١.

(٤)البرهان في علوم القرآن:١٥٢/٣.

(٥)الهداية إلى بلوغ النهاية:٢٨٧٨./٤

(٦)المحرر الوجيز:٥٥٢/٢.

(٧)البحر المحيط:٣٥٣/٥.

يريد عرض الآخرة لكنَّه خُرج من باب المقابلة أو المشاكلة من حيث اللفظ لما قبله، وليس من حيث المعنى. وهذا رأي الزمخشري، الذي قال:" على التقابل، يعني ثوابها"[1]

وهذا ما رجَّحه أبو حيان، وذلك بناءً على المشاكلة اللفظية بين تراكيب الآية المباركة، إذ قال بعد ذكره لرأي الزمخشري:" إنه لما أطلق على الفداء عرض الدنيا أُطلق على ثواب الآخرة عرضًا على سبيل التقابل لا أن ثواب الآخرة زائل فانٍ كعرض الدنيا فسمي عرضًا على سبيل التقابل، وإن كان لولا التقابل لم يسم عرضًا"[2]

ولا بُدَّ من الإشارة إلى من ذكر هذا التقدير قبل الزمخشري وأبي حيان، فقد ذكره ابن جني، بعد ذكره لقراءة سليمان بن جماز بقوله:" "والله يريد الآخرة" يحملها على عرض الآخرة وجه جواز ذلك على عزته وقلة نظيره أنه لما قال: تريدون عرض الدنيا، فجرى ذكر العرض فصار كأنه أعاده ثانيًا، فقال: عرض الآخرة، ولا يُنكر نحو ذلك، وإذا جُر فقال: يريد الآخرة، صار كأن العرض في اللفظ موجود لم يحذف، فاحتمل ضعف الإعراب تجريدًا للمعنى، وإزالة الشك أن يظنُّ ظان أنه يريد الآخرة إرادة مرسلة هكذا"[3]

نلحظ من ذلك أنَّه قد يلجأ المفسر إلى المفاضلة بين التقديرات لأجل المشاكلة أو التناسب النحوي، للآيات المباركة، وجعلها وحدة واحدة في انسجامها وتلاؤمها، وهذا ما وجدته في ترجيح أبي حيان في تقدير المحذوف في الآيات الكريمة.

---

(١)الكشاف:٢/٢٣٧.

(٢)البحر المحيط:٥/٣٥٣.

(٣)المحتسب:١/٢٨١-٢٨٢.

سابعًا: المشاكلة والقراءات القرآنية:

مراعاة المشاكلة بين القراءات القرآنية تركيبًا كانت غاية يسعى إليها المفسر وقرينة يعتمدها لترجيح وجه أو ردِّه، قد نظر المفسرون إلى القراءات التي ترد في آية من آيات الكتاب العزيز، وحاولوا حملها على التوافق وعدم الاختلاف مراعاة لأصل من الأصول المقرة عندهم (توافق القراءات أولى من عدم توافقها)، فبعض الآيات يحتمل تركيبها أوجهًا مختلفة من الإعراب، وفي ضوء القراءات الواردة فيها يُرجَح وجه معين، فهذا يعني أنَّ بعض الأوجه يحقق تشاكلاً، والآخر لا يحققها، فيرجِّح ما يحقِّق التَّشاكل، لتلتقي مع التوجيه، ونلحظ ذلك عند أبي حيان إذ حاول توجيه الآيات الكريمة توجيهًا يراعي ويشاكل ما ورد في هذه الآيات من قراءات لتجتمع الآية بقراءاتها المتعددة على توجيه واحد ومعنى واحد.

وهذه بعض النَّماذج التي كانت المشاكلة بين القراءات مرجحًا لبعض الأوجه النحوية عند أبي حيان في تفسيره. منها في قوله تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة:٢١٩)

ذكر المعربون في قوله: (العَفْوَ) من قوله: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ قراءتين، استنادًا على إعراب(ماذا):[1]

الأولى: وهي قراءة الجمهور بنصب(العفو)، يكون مفعولًا به لفعل مضمر تقديره:

---

(١)يُنظر: الحجة للقراء السبعة:٣١٨/٢، ومعاني القراءات:٢٠١/١، والتبيان في إعراب القرآن:١٧٦/١، والبحر المحيط:٤٠٧/٢، واللباب في علوم الكتاب:٤٠/٤، والنشر في القراءات العشر:١٦٠/٢-١٦١، والإتقان في علوم القرآن:٣٩٢/٢.

(قل ينفقون العفو)، فيكون (ماذا) من قوله:(ماذا ينفقون) اسم استفهام منصوبًا بالفعل (ينفقون)، والمعنى: أي شيء ينفقون؟، فيكون (العفو) جواب (ما)، فأُعربت بإعرابها، ويكون هناك مطابقة بين الجواب والسؤال من حيث اللفظ؛ لأن إعراب الجواب كإعراب السؤال وهذا نظير قوله:﴿ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ (سورة النحل:٣٠).

وهذا اختيار الفراء[١]، والنحاس[٢]، والطبري الذي قال بعد ذكره القراءتين:" غير أنَّ أعجب القراءتين إليَّ وإنْ كان الأمر كذلك قراءة من قرأ بالنصب؛ لأنَّ من قرأ به من القرَّاء أكثر وهو أعرف وأشهر"[٣]

الثانية: قراءة أبي عمرو بالرفع (العفوُ)، على أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: قل المنفق العفو، فتكون (ما) استفهامية مبتدأ و(ذا) موصولة بمعنى (الذي) وهي خبره، ويكون عائد الموصول محذوفًا تقديره: (ما الذي ينفقونه؟)، فتكون هنا المطابقة بين الجواب والسؤال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، وذلك بناءً على المشاكلة بين قوله: (ماذا ينفقون) وقوله: (قل العفو)؛ لتحقيق التناسب والتلاؤم بين التركيبين من حيث كلتاهما جملة اسمية، ونظير هذا قوله تعالى:﴿ مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾(سورة النحل:٢٤).[٤]

---

(١)معاني القرآن:١/١٤١.

(٢)إعراب القرآن:١/١١١.

(٣)جامع البيان:٣/٦٩٤.

(٤)يُنظر: البحر المحيط:٢/٤٠٨.

هنا قد وردت قراءتان للآية، وفي كل قراءة التمس أبو حيان وجهًا من المشاكلة بين السؤال والجواب، فالقراءة الأولى كانت المشاكلة بينهما على أساس اللفظ وفي القراءة الثانية كان التوجيه يراعي المشاكلة على أساس المعنى.

ولا بُدَّ من الإشارة إلى الذين ذكروا القراءتين من الذين سبقوا أبا حيان، منهم الأخفش[١]، والزجاج[٢]، والعكبري[٣]، ومن جاء من بعده، منهم ابن كثير (ت٧٧٤هـ)[٤]، والألوسي[٥]، وابن عاشور[٦].

وقد ردَّ أبو حيان على كلام ابن عطية عند ذكره رأي الطبري، في توجيه القراءتين، اعتمادًا على إعراب (ماذا)، إذ قال ابن عطية في تفسيره:" وهذا متركب على (ماذا)، فمن جعل (ما) ابتداء و(ذا) خبره بمعنى(الذي) وقدر الضمير في ينفقونه عائدًا قرأ(العفو) بالرَّفع؛ لتصح مناسبة الجمل، ورفعه على الابتداء تقديره (العفو إنفاقكم)، أو الذي تنفقون العفو، ومن جعل(ماذا) اسمًا واحدًا مفعولاً ب(ينفقون)، قرأ (قل العفو) بالنصب بإضمار فعل، وصحَّ له التناسب، ورفع (العفو) مع نصب (ما) جائز ضعيف، وكذلك نصبه مع رفعها"[٧]

---

(١)معاني القرآن:١/١٨٥.

(٢)معاني القرآن وإعرابه:١/٣٩٣.

(٣)التبيان في إعراب الفرآن:١/١٧٦.

(٤)تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة:١/٥٧٩.

(٥)روح المعاني:١/٥١٠.

(٦)التحرير والتنوير:٢/٣٥٢.

(٧)المحرر الوجيز:١/٢٩٥، ويُنظر: جامع البيان:٣/٦٩٤.

قال أبو حيان في ردَّه:" وتقديره: العفوُ إنفاقُكُم، ليس بجيدٍ، لأنَّه أتى بالمصدرِ، وليس السؤالُ عن المصدرِ، وقوله: جائزٌ ضعيفٌ، وكذلك نصبه مع رفعها ليس كما ذكرَ، بل هو جائزٌ وليس بضعيفٍ"(١)

ومن المواضع التي تلحظ فيها تلمس أبي حيان الاندلسي للتشاكل النحوي في توجيه القراءات وبيان طبيعة التركيب ما ذكر في قوله تعالى:﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة:٣٨)

ذكر المفسرون في إعراب ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ وجهين على ضوء القراءات الواردة فيها :(٢)

الأولى: وهي قراءة الجمهور: (فلا خوفٌ عليهم) بالرفع والتنوين.

الثانية: قراءة الزهري وعيسى الثقفي ويعقوب:(فلا خوفَ عليهم) بالفتح.

الثالثة: قرأ ابن محيصن:(فلا خوفُ عليهم) بالرفع من غير تنوين.

وقد وجَّه المفسرون هذه القراءات توجيهًا إعرابيًا، فوجَّه أبو حيان قراءة الجمهور، التي تكون بالرفع والتنوين، بقوله:" وجهُ قراءة الجمهور مراعاة الرفع في (ولا هم يحزنون)، فرفعوا للتعادل"(٣)

نلحظ من ذلك أنَّ أبا حيان قد لجأ إلى التعادل (التشاكل) بين تركيبي قوله:(فلا خوف عليهم) قوله:(ولا هم يحزنون)، فكلاهما جملة اسمية (متكونة من مبتدأ وخبر)، و(لا) نافية غير عاملة، فكأنَّ ترجيح وجه الرفع بناءً على التشاكل بين التراكيب.

---

(١)البحر المحيط:٢/٤٠٨.

(٢)يُنظر: البحر المحيط:١/٢٧٤، والنشر في القراءات العشر:٢/٢١١، والدر المصون:١/٣٠٤-٣٠٥.

(٣)البحر المحيط:١/٢٧٤.

ووجَّه ابن عطية هذه القراءة بعد ترجيحها، على أنَّ (لا) عاملة عمل (ليس).[1]، وردَّ عليه أبو حيان، بقوله:" ولا يتعين ما قاله، بل الأولى أنْ يكون مرفوعًا بالابتداء لوجهين: الأول: أنَّ إعمال (لا) عمل (ليس) قليل جدًا، ويمكن النِّزاع في صحته وإنْ صحَّ فيُمكن النزاع في اقتياسه. الثاني: حصول التعادل بينهما، إذ تكون(لا) قد دخلت في كلتا الجملتين على مبتدأ ولم تعمل فيهما"[2]، وهذا ما ذكره النحاس[3]، والعكبري[4]، والقرطبي[5].

وجَّه أبو حيان قراءة يعقوب التي تكون بالفتح في جميع القرآن، على أنْ تكون(لا) النافية للجنس، بقوله:" ووجه قراءة الزهري من وافقه ان ذلك نصٌّ في العموم، فينفي كُلَّ فردٍ فردٍ من مدلول الخوف، وأمَّا الرفع فيُجوزه وليس نصًّا، فراعوا ما دلَّ على العموم بالنصِّ دون ما يدلَّ عليه بالظاهر "[6]

أمَّا قراءة ابن محيصن فقد خرجها ابن عطية أيضًا على أن (لا) عاملة عمل (ليس).[7]، فردَّ عليه أبو حيان بقوله:" فالأولى أن يكون مبتدأ، كما ذكرناه، إذا كان مرفوعًا منونًا، وحُذف تنوينه كما قال لكثرة الاستعمال، ويجوز أنْ يكون

---

(١)يُنظر: المحرر الوجيز:١/١٣٢.

(٢)البحر المحيط:١/٢٧٤.

(٣)إعراب القرآن:١/٤٨.

(٤)التبيان في إعراب القرآن:١/٥٥.

(٥)الجامع لأحكام القرآن:١/٣٢٩.

(٦)البحر المحيط:١/٢٧٤، ويُنظر: التبيان في إعراب القرآن:١/٥٥.

(٧) المحرر الوجيز:١/١٣٢.

عُـرَّي مـن التنـوين؛ لأنَّـه علـى نيـة الألـف والـلام، فيكـون التقـدير: فـلا الخـوفُ علـيهم، ويكـون مثـل مـا حكـى الأخفـش عـن العـرب: سـلامٌ علـيكم، بغيـر تنـوين، قـالوا: يريـدُون السـلام علـيكم، ويكـون هـذا التخـريج أولـى، إذ يحصـل التعـادل فـي كـون(لا) دخلـت علـى المعرفـة فـي كلتـا الجملتـين، وإذا دخلـت على المعارف لم تُجرِ مجرى ليس"[1]

نلحـظ مـن ذلـك أنَّ أبـا حيـان قـد وجَّـه الوجـه الأول مـن الأوجـه المحتملـة مـن القـراءة ووصـفها بالتشـاكل النحـوي، وقـد وجَّـه التوجيـه الثـاني وهـو أنْ يكون حذف التنوين لأجل نية الألف واللام تحقيقًا للمشاكلة أيضًا.

وفـي قولـه تعـالى:﴿ وَمَـا قَـدَرُواْ اللهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ إِذْ قَـالُواْ مَـا أَنـزَلَ اللهُ عَلَـى بَشَـرٍ مِّـن شَـيْءٍ قُـلْ مَـنْ أَنـزَلَ الْكِتَـابَ الَّـذِي جَـاءَ بِـهِ مُوسَـى نُـورًا وَهُـدًى لِّلنَّـاسِ تَجْعَلُونَـهُ قَـرَاطِيسَ تُبْـدُونَهَا وَتُخْفُـونَ كَثِيـرًا وَعُلِّمْـتُم مَّـا لَـمْ تَعْلَمُـواْ أَنـتُمْ وَلاَ آبَـاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (سورة الانعام:٩١)

ذكـر المفسـرون فـي الأفعـال: (تجعلونـه -تبدونـه -تخفونهـا) قراءتين:[2]

الأولـى: قـراءة الجمهور:(تجعلونـه قـراطيس تبـدونها وتخفـون كثيـرًا) بتـاء الخطـاب، ويـدلَّ عليـه قولـه: ﴿وَعُلِّمْـتُم مَّـا لَـمْ تَعْلَمُـواْ﴾ بتـاء الخطـاب، وكـذلك ما قبله، وهو قوله:﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

الثانية: قراءة ابن كثير وأبي عمرو: (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون)

---

(١)البحر المحيط:١/٢٧٤.

(٢)يُنظر: حجة القراءات:٢٦١، والبحر المحيط:٤/٥٨١.

بياء الغيبة، ويدلَّ عليه قوله: ﴿إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

وجَّه أبو حيان قراءة التاء(وهي قراءة الجمهور) ووصف تشاكل تركيبها من حيث المعنى، بقوله:" وتتناسق قراءة التاء مع قوله :(عُلِّمْتُم) ومَن قال : إنَّ المنكرين العرب أو كفار قريش لم يُمكن جعل الخطاب لهم بل يكون قد اعترض بني إسرائيل فقال: خلال السؤال والجواب: تجعلونه أنتم يا بني إسرائيل قراطيس ومثل هذا يَبعدُ وقوعه؛ لأنَّ فيه تفكيكاً لنظم الآية وتركيبها، حيث جَعل الكلام أوّلاً خطاباً مع الكفار وآخراً خطاباً مع اليهود وقد أُجيب بأن الجميع لما اشتركوا في إنكار نبوة الرسول، جاء بعض الكلام خطاباً للعرب وبعضُه خطاباً لبني إسرائيل"(١)

وكان هذا اختيار الأزهري(٢)، وابن زنجله(ت٤٠٣هـ) الذي قال:" فكأن قراءتهم مَا تَوسط بين الخطابين من الكلام على لفظ ما قبله وما بعده ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد أولى"(٣)

أمَّا الطبري، فقد رجح قراءة (ابن كثير)، إذ قال:" والأصوب من القراءة في قوله: {يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا}، أن يكون بالياء لا بالتاء على معنى: أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا، ويكون الخطاب بقوله:" قل من انزل الكتاب"، لمشركي قريش"(٤)

---

(١)البحر المحيط:٤/٥٨١.

(٢)معاني القراءات :١/٣٧٠.

(٣)حجة القراءات :٢٦١.

(٤)جامع البيان:١١/٥٢٥.

يبدو من ذلك أنَّ أبا حيان وجماعة أخرى من المفسرين قد وجهوا القراءة بتاء الخطاب لليهود، وذلك لأجل المشاكلة والمطابقة بين تراكيب الآية المباركة ليكون الكلام متصلًا بعضه ببعض.

وقد تُبيَّن القراءات القرآنية المحذوف من طريق المشاكلة التي كانت قرينة دالة على المحذوف في توجيه القراءة الخاصة بقوله تعالى:﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ (سورة المدثر:٣٣)

ذكر المعربون في قوله: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ ثلاث قراءات، وهي: [١]

الأولى: قراءة ابن كثير وأبي عمرو ومجاهد: (إذا دبر) ب (إذا) ظرف زمان للمستقبل، و(دبر) فعل ثلاثي، وهو بمعنى (أدبر) المزيد، ك (قبل وأقبل).

الثانية: قراءة نافع وحمزة وحفص: (إذ أدبر) ب (إذ) ظرف زمان للماضي و(أدبر) فعل رباعي.

الثالثة: قراءة أبو رزين والأعمش ويونس بن عبيد (إذا أدبر) ب (إذا)، و(أدبر)

ورجَّح أبو حيان قراءة أبي رزين وهي (إذا أدبر)، بناءً على المشاكلة بين قوله: (إذا أدبر) وقوله: (إذا أسفر)، بقوله:" وهو مناسب لقوله:﴿ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (سورة المدثر:٣٤)"[٢]

---

(١)يُنظر: الحجة للقراء السبعة:٦/٣٣٨، والبحر المحيط:١٠/٣٣٥،.

(٢)البحر المحيط:١٠/٣٣٥.

هـــذا مـــا رجَّحـــه البغـــوي، بقولـــه:" وقـــرأ بـــالألف (إذا) (أدبـــر) بـــالألف؛ لأنـــه أشـــد موافقـــة لمـــا يليـــه، وهـــو قولـــه: {والصـــبح إذا أســـفر}، ولأنـــه لـــيس فـــي القـــرآن قســـم بجانبـــه (إذ) وإنمـــا بجانـــب الإقســـام (إذا)"[1]، وكـــذلك كـــان اختيـــار ابن خالويه[2]، وابن زنجله[3]

نلخـــص ممَّـــا ســـبق أنَّ المشـــاكلة النحويـــة كانـــت حاضـــرة فـــي توجيـــه القـــراءات القرآنيـــة والمفاضـــلة بـــين الأوجـــه المحتملـــة فيهـــا بـــل فـــي المفاضـــلة بينها عند بعض المفسرين.

---

(١)معالم التنزيل في تفسير القرآن:٨/٢٧١-٢٧٢.

(٢)الحجة في القراءات السبع:٣٥٥.

(٣)حجة القراءات :٧٣٤.

الفَصْلُ الثالثُ

المشاكلة الدلالية

أوَّلًا: مفهوم المشاكلة الدلالية وغايتها.

ثانياً: المشاكلة بين الحقيقة والمجاز.

ثالثاً: أنواع المشاكلة الدلالية، وأنماط تحقيقها في:

١-السياق المتصل.

٢-السياق المنفصل.

٣-السياق المقامي.

رابعاً: المشاكلة وانتقال الدلالة:

١-التخصيص.

٢-التعميم.

٣-التغيير.

خامساً: المشاكلة وتعدد احتمالات الدلالة.

أوَّلًا: مفهوم المشاكلة الدلالية وغايتها:

تتمثل المشاكلة في هذا الفصل بعلاقة اللفظ بالمعنى، أي: العلاقة الدلالية، فهذه المشاكلة الدلالية إذن تتعلق بدلالة الألفاظ، وتقتضي النظر في سياق الكلام من حال أو مقام، فهو مجموع الظروف التي تحيط به، فظاهرة المشاكلة تُراعي الموقف سواءٌ أ كلامًا كان أم لفظًا أم مذهبًا.(١)

وعرَّف السكاكي (ت٦٢٦هـ) المشاكلة بقوله:" وهي أنْ تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. كقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (سورة البقرة:١٣٨)، وقوله: ﴿ ومكرُوا ومكرَ اللهُ ﴾(سورة آل عمران:٤٥)"(٢)

ثمَّ أضاف السبكي (ت٧٧٣ هـ) إلى تعريف السكاكي نوعي المشاكلة فعرَّفها بقوله:" المشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوع في صحبة ذلك الغير تحقيقًا أو تقديرًا"(٣)

فالألفاظ التي تقع فيها المشاكلة يكون معناها المعجمي واحدًا، ولكن المعنى الذي يؤديه كل لفظ في السياق الوارد فيه يختلف عن معنى اللفظ الآخر، أي قد يُذكر اللفظ أول مرة، ويُراد به معناه الأصلي، ثم يُذكر مرة أخرى ويُراد به غير معناه الأصلي، إنَّما معنى آخر يطلبه السياق، فهي تختلف عن المشاكلة الصَّوتية والصَّرفية والنَّحوية فهي قائمة على تكرار نفس اللفظ بمعنى مختلف، نلحظ تكرر لفظ(الصبغة، والمكر، والاعتداء، والخداع، والسيئة).

---

(١)يُنظر: المشاكلة في الحديث النبوي:٢١.

(٢)مفتاح العلوم:٤٢٤، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي:٣٠٩.

(٣)عروس الأفراح:٢/٢٣٧، ويُنظر: الإتقان في علوم القرآن:٣/٣٢٢.

ولا بُـدَّ مـن الإشـارة إلـى مـن سـبق السـكاكي فـي ذكـر المشـاكلة الدلاليـة، فقـد ذكروهـا مـن قبلـه علمـاء مـن مفسـرين ولغـويين، فتناولوهـا بمصـطلحها المعروف أو بما يدلُّ عليها أو بمصطلحات متقاربة.(١)

فـأول مـن أشـار إليهـا الفـراء، لكـن دون الإشـارة منـه إلـى مصـطلح المشـاكلة، قـال فـي تفسـير قولـه تعـالى: ﴿ فَمَـنِ اعْتَـدَى عَلَـيْكُمْ فَاعْتَـدُواْ عَلَيْـهِ بِمِثْـلِ مَـا اعْتَـدَى عَلَـيْكُمْ ﴾(سـورة البقـرة:١٩٤):" فـإن قـال قائـل: أ رأيـت قولـه:" فـلا عـدوان إلا علـى الظـالمين" أ عـدوان هـو وقـد أباحـه الله لهـم؟ قُلنـا: لـيس بعـدوان فـي المعنـى، إنَّمـا هـو لفـظ علـى مثـل مـا سـبق قبلـه ألا تـرى أنَّـه قـال: " فمـن اعتـدى علـيكم فاعتـدوا عليـه بمثـل مـا اعتـدى علـيكم" فالعـدوان مـن المشـركين فـي اللفـظ ظلـم فـي المعنـى والعـدوان الـذي أباحـه الله وأمـر بـه المسـلمين إنمـا هـو قصـاص. فـلا يكـون القصـاص ظلمًـا، وإن كـان لفظـه واحـدًا. ومثلـه قـول الله تبـارك وتعـالى: ﴿وَجَـزَاء سَـيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِّثْلُهَـا﴾(سـورة الشورى:٤٠) وليست من الله على مثل معناها من المسيء لأنها جزاء"(٢)

وقـال فـي تفسـير قولـه تعـالى: ﴿صِـبْغَةَ اللَّـهِ وَمَـنْ أَحْسَـنُ مِـنَ اللَّـهِ صِـبْغَةً وَنَحْـنُ لَـهُ عَابِـدُونَ﴾ (سـورة البقـرة:١٣٨):" إنمـا قيـل: "صـبغة الله" لأن بعـض النصـارى كـانوا إذا وُلـد المولـود جعلـوه فـي مـاء لهـم يجعلـون ذلـك تطهيـرًا لـه كالختانـة، وكـذلك هـي فـي إحـدى القـراءتين. قـل: " صـبغة الله" وهـي الختانـة، اختـتن إبـراهيم (صـلى الله عليـه وسـلم) فقـال: قـل:" صـبغة الله" يـأمر بهـا محمـدًا (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) فجـرت الصـبغة علـى الختانـة لصـبغهم الغلمـان في الماء"(٣)

---

(١)يُنظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب:٢٥٨-٢٥٩.

(٢)معاني القرآن:١/١١٦-١١٧.

(٣)المصدر نفسه:١/٨٢-٨٣.

وقال الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة:٩):" وقد قال: {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} فذا على الجواب. يقول الرجل لمن كان يخدعه إذا ظفر به "أَنَا الذي خدعتُكَ" ولم تكن منه خديعة ولكن قال ذلك اذ صار الأمر إليه. وكذلك {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ} (سورة آل عمران:٥٤) و{اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ} [سورة البقرة:١٥] على الجواب. والله لا يكون منه المكر والهزء. والمعنى ان المكر حاق بهم والهزء صار بهم"[١]

وقد جاء بعض العلماء بمفهوم المشاكلة لكنْ تحت مسمَّيات مختلفة فأطلق عليها الزجاج لفظ الازدواج.[٢]، وقد وردت عند النحاس(ت:٣٣٨هـ) تحت مسمى المزاوجة، إذ قال في تفسير قوله تعالى:﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾(سورة البقرة:١٥):" قال عزَّ وجلَّ:﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ فيه أوجه من الجواب أصحها ان معناه يجازيهم على استهزائهم فسمَّى جزاء الذنب باسمه لازدواج الكلام وليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (سورة الشورى:٤٠)"[٣]

وأول من أطلق لفظ المشاكلة هو أبو علي الفارسي بلفظ التشاكل، قال:" وفي التنزيل: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾(سورة البقرة:١٩٤)، والثاني قصاص وليس بعدوان، وكذلك: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(سورة الشورى:٤٠) ونحو ذلك. فأن يلزم التشاكل في اللفظ مع صحة المعنى أولى"[٤]

---

(١)معاني القرآن:١/٤٠.

(٢)معاني القرآن وإعرابه:١/٩٠.

(٣)إعراب القرآن:١/٩٦-٩٧.

(٤)الحجة للقراء السبعة:١/٣١٦.

فأشار الفارسي إلى هذه الظاهرة بلفظ يقترب من المصطلح الذي شاع بعد ذلك، وقد تنبه إلى أن المشاكلة وسيلة تعبيرية يبتغيها النَّصُّ القرآني بإجراء كلماته المتصاحبة في المعنى في بعض المواضع على حذو واحد من اللفظ لإبراز غرض ما وتحقيق قدر من الانسجام الصوتي بينهما.[١]

وذكرها الرماني باسم المزاوجة بوصفها أحد وجهي التجانس، فقال:" فالمزاوجة تقع في الجزاء كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾(سورة البقرة:١٩٤) أي جازوه بما يستحق على طريق العدل، إلا انه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان"[٢]

وذكرها ابن فارس تحت باب المحاذاة، فقال:" ومن هذا الباب ــ المحاذاة ــ الجزاء على الفعل بمثل لفظه، نحو: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ۞ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾(سورة البقرة:١٤-١٥)، أي يجازيهم جزاء الاستهزاء ..."[٣]

ووردت عند الباقلاني(ت٤٠٣هـ) بلفظ المزاوجة.[٤]، والقيرواني (ت:٤٧٩هـ) أيضًا.[٥]، والكرماني(ت نحو ٥٠٥هـ)[٦]، والاصبهاني(٥٣٥هـ)[٧]

---

(١)يُنظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد:٤٩٨.

(٢)النكت في إعجاز القرآن:٩٩.

(٣)الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:١٧٥.

(٤)إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر:٢٧١.

(٥)النكت في القرآن الكريم، تح: د. عبد الله عبد القادر الطويل:١٧٩.

(٦)غرائب التفسير وعجائب التأويل:٤٠٢/١.

(٧)إعراب القرآن:٧٨.

وعند عبد القاهر الجرجاني وردت بلفظ المشاكلة أيضًا.[١]، وعند الزمخشري وردت بلفظ المقابلة.[٢]، وبلفظ المشاكلة.[٣]، وبلفظ المزاوجة.[٤]

ووردت عند الرازي بلفظ المشاكلة.[٥]، وكان ورودها عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، بلفظ المشاكلة.[٦]، وبلفظ المقابلة أكثر الأحيان.[٧]

نلحظ من ذلك كله أن المشاكلة هي أحد فنون علم البديع، يقصد به أنَّ المتكلم يضع لفظًا لمعنى لا يصح اطلاقه عليه إلاَّ من جهة المجاز، وما سوغ إطلاق هذا اللفظ، وقوعه في سياق يصلح له، وهذا ما بينه ابن عاشور، بقوله:" والمشاكلة من المحسنات البديعية ومرجعها إلى الاستعارة وإنَّما قصدُ المشاكلة باعثٌ على الاستعارة، وإنَّما سمَّاها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه فأغفلوا أن يسمُّوها استعارة وسمُّوها المشاكلة. وإنما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظٍ للفظ وقع معه. فأن كان اللفظ المقصود مشاكلته مذكورًا فهي المشاكلة، ولنا أن نصفها بالمشاكلة التحقيقية، وإنْ كان اللفظ غير مذكورٍ بل معلومًا من السياق، سُميت مشاكلة تقديرية"[٨]

---

(١)درج الدرر في تفسير الآي والسور، تح: وليد بن أحمد بن صالح الحسين، وإياد عبد اللطيف القيسي:٢/٤٥-٤٦.

(٢)الكشاف يُنظر على سبيل التمثيل:١/١١٣.

(٣)المصدر نفسه يُنظر على سبيل التمثيل:١/١٩٦.

(٤)المصدر نفسه يُنظر على سبيل التمثيل:٢/٦٤٤.

(٥)مفاتيح الغيب:٤/٧٥.

(٦)يُنظر على سبيل التمثيل:١/٦٥٦، ٢/٥٣٧.

(٧)يُنظر على سبيل التمثيل:٤/٤١٧، و ٧/١٦٩، و ٢/٢٥٠، و ١/١٩٦.

(٨)التحرير والتنوير:١/٧٤٤.

وقد اختلف البلاغيون في عدِّ هذا النوع البلاغي من ضمن المحسنات اللفظية أم المعنوية؟، فتتبه ولخصَّ ابن يعقوب المغربي(ت١١١٠هـ) هذا الاختلاف بقوله:" وتسمية المشاكلة سواء كانت لفظية أو تقديرية بديعًا معنويًا بالنظر إلى أن لها تعلقًا بالمعنى المصاحب إذ هي ذكر ذلك المعنى بلفظ غيره للصحبة بين المعنيين، فتلزم الصحبة بين اللفظين، فالقصد بالذات إلى تحسين المعنى المصاحب بالتعبير عنه بما يشاكل التعبير الآخر، وتناسب الطباق ومراعاة النظير السابقين من جهة أنَّ في كل مقابلة شيء شيئًا في الجملة، ومن ينظر إلى أن حاصلها إتيان بلفظ مشاكل لآخر مع اختلاف معناهما يبحث بأنها لفظية كالجناس بين اللفظيين، والتحقيق أنَّ للمعنى دخلًا فيها؛ إذ لولا مصاحبة المعنى للمعنى وقصد تحسينه لم تتصور"[١]

وكل هذا يرجع إلى ذوق صاحب النَّصِّ، وحسه الفني، فالمشاكلة من جهة تقوم على تكرير اللفظ بعينه والغرض من ذلك التناسق في النغمة واستكمال الإيقاع الموسيقي الناتج عن تكرارها، ومن جهة أخرى تشتمل على تخييل حسن يستبقى أثرها المعنوي في سياق مواضعها التي آثرت التعبير بها.[٢]

---

(١)مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تح: د. خليل إبراهيم خليل:٥١١/٢.

(٢)يُنظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية:٥٠٠.

وللمشاكلة الدلالية غايتان تكمن بلاغتها فيهما:

الأولى: التناسق أو التجانس الصوتي في العبارة القائم على تكرار لفظ معين في تراكيب الآيات القرآنية، فهذه المزية وفاعليتها تؤثر في الإحساس، إذ تمثل المعنى بصوت الحرف، وتصور الخفَّة مما يتعلق بجرس الكلمات، فالصوت والدلالة بذلك مقترنان متلاحمان، ففي هذه الناحية حققت مشاكلة لفظية بين الكلمات.(١)

الثانية: التأثير الدلالي في توليد المعاني المجازية، فهو القائم على جعل اللفظة تحمل المعنى الحقيقي لها ثم تحول هذا المعنى في اللفظة الأخرى إلى معنى آخر يطلبه السياق القرآني، فهذا يضفي على العبارة جمالًا وسموًّا في المعنى، ويضفي عنصر المفاجأة من الأثر الدلالي في اللفظ المشاكل الذي ينماز من الأوَّل بمعناه الذي يُدرك بالتأمل والتفكر ورسوخ الفهم حتى يستقر في الذهن وترتاح إليه النفس، ولفت اِنتباه السامع وتوكيد المعنى في نفس المتلقي.(٢)

وهذا يعني أن المشاكلة لها أثر في السياق الدلالي الصوتي، فالكلمة المكررة في العبارة مرتين، لها أثر موسيقي ولَّده التكرار الصوتي للكلمة، ومن الممكن أنْ تستبدل بها في المرة الثانية كلمة أخرى تؤدي المعنى نفسه، لكن بقاءَها أكمل وأدعى من ناحية التلاؤم والتناسق في الإيقاع الموسيقي الناتج عن ترديدها، وأن معناها ما

---

(١)يُنظر: دراسات منهجية في علم البديع:١٤٩، وقراءة في المفهوم البلاغي العربي، بحث منشور، إعداد: د. باسم محمد إبراهيم، ورائد حمد خلف، جامعة ديالى، مجلة ديالى، العدد:٦٨، ٢٠١٥م:٣١.

(٢)يُنظر: البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين:٨١، وبلاغة المشاكلة في القرآن الكريم، بحث منشور، إعداد: باسم حمد إبراهيم، جامعة ديالى، مجلة الفتح، العدد:٣٢، ٢٠٠٨م.

زال قادرًا على إغناء العبارة بالمعنى المراد بصورة تدهش القارئ وتجعله يفكر أكثر ويتأمل في دقَّة هذا التركيب.(١)

فالمشاكلة قائمة على التكرير وفيها تخيل حسن لا يخلو من الطرفة تعود على المعنى، ولذا عدَّها بعض العلماء من قبيل المجاز، كما فيها جمال الجرس الناشئ عن إعادة الصوت، فمن عدها من المحسنات المعنوية فله مبرره ومن عدَّها من اللفظية فله وجهته.(٢)

يتبيِّن من ذلك أنَّ كل لفظة لها دلالة خاصة بها تدلُّ على معنى معين، لكن قد يستعمل اللفظ لغير معناه الحقيقي، وإنَّما معنى مجازي جلبه صاحب النص له، وفي ذلك قال الجرجاني:" إن "الحقيقة" أن يقر اللفظ على أصله في اللغة، و"المجاز" أن يزال عن موضعه، ويستعمل في غير ما وضع له"(٣)

وهذا يعني أن للمشاكلة قيمة أسلوبية تبرز في عملية العدول الذي يحدث على مستوى الشكل (البنية السطحية)، حيث يعدل المبدع(صاحب النَّصِّ) عن استخدام المفردة المناسبة للمعنى إلى مفردة أخرى لا تحمل ذلك المعنى، وإنما توحي به من خلال ارتباطها بعناصر الصياغة، مما يجعل الكلمة المشاكلة تحمل دلالتين: دلالة حقيقية ارتبطت بها مواضعة، ودلالة جديدة تولدت من السياق بالإضافة إلى معناها الأصلي، وتحمل كذلك وظيفتين: الأولى: الانسجام الصوتي. والثانية: التكثيف الدلالي.(٤)

---

(١)يُنظر: دراسات منهجية في علم البديع:١٤٩.

(٢)يُنظر: التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد:٢٤٤-٢٤٥.

(٣)دلائل الإعجاز:٢٣٧.

(٤)يُنظر: جمالية الانزياح في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد: عبد القادر بن زيان، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان ـ الجزائر، ٢٠١٢م:٤٨.

وسيوضح أبو حيان هذه المشاكلة في تفسيره ويرشدنا إلى تحقيق هاتين الغايتين من المشاكلة من جهة الأثر الموسيقي الناتج عن تكرار اللفظ ولا سيَّما في المشاكلة التحقيقية بشكل لافت للأنظار ومن جهة التأثير الدلالي الناتج عن إقامة معنى جديد للفظة الثانية بما يتطلبه السياق القرآني.

ثانيًا: المشاكلة بين الحقيقة والمجاز:

تناول بعض العلماء المشاكلة من ضمن الحقيقة وبعضهم الآخر من ضمن المجاز، وقد أجمل الدكتور الشحات محمد في هذا القول فبيَّن أنَّ الألفاظ قد يستعملها المخاطب بمعناها الحقيقي الموضوع لها، وقد يستعملها في غير ما وضع لها، فيكون هنا التعبير مجازيًا، والمشاكلة تستعمل اللفظ في غير ما وضع له، وبذلك قد تخرج من الحقيقة. وعلى هذا الأساس عدَّها بعض العلماء من قبيل المجاز اللغوي، وخرجوا بعض أمثلتها على المجاز المرسل لعلاقة المجاورة أو السببية، كإطلاق السيئة على الجزاء، وبعضها الآخر خرجها على الاستعارة، كدلالة الصبغ على التطهير، وبعض البلاغيين يرون أن المشاكلة من حيث هي مشاكلة ليست من قبيل الحقيقة ولا المجاز، لأنَّها مجرد ذكر المصاحب بلفظ غيره، لاصطحابهما، وهذا ليس معتبرًا في علاقات المجاز، وعلى هذا الأساس تكون المشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز، فالمشاكلة تنظر إلى الألفاظ من حيث مشابهة اللفظ لما هو واقع في صحبته، والمجاز من حيث استعماله في غير ما وضع له.[1]

---

(١)يُنظر: دراسات منهجية في علم البديع:١٤٨-١٤٩.

فإنَّ التشاكل الدلالي بين اللفظين المتجاورين، يلقى ظلالًا على المعنى الحقيقي، ولكنه لا ينقله نهائيًا إلى المعنى المجازي، وبذلك يجعل المتلقي يُفكر ويتأمل لكي يربط بين المعنى الحقيقي للفظ والمعنى المراد، وبذلك يتأكد المعنى المراد في نفسه.(١)

ثالثًا: أنواع المشاكلة الدلالية:

ذكر العلماء نوعين من المشاكلة، وهما:(٢)

الأول: المشاكلة التحقيقية: هي المشاكلة اللفظية، فهي التي تتحقق في الألفاظ، أي يكون اللفظ الثاني مشاكلًا للفظ الأول الذي جاء قبله، ويكون هذا اللفظ موجودًا في الجملة.

الثاني: المشاكلة التقديرية: هي المشاكلة المعنوية، فهي قائمة على وجود لفظ واحد في السياق، أي اللفظ المشاكل لا يوجد له لفظ قبله يشبهه، بل يكون اللفظ مشاكلًا لمعنى مقدرٍ في الجملة، يُفهم في العقل ومن سياق الحال.

وقد وضح الدكتور عبد العزيز قليقلة الفرق بين المشاكلة التحقيقية والمشاكلة التقديرية بقوله:" إنَّ التحقيقية يقع فيها اللفظ المشاكلة على ما لا يصح أن يقع عليه حقيقة. أما التقديرية فإن لفظ المشاكلة يجيء فيها على حقيقته، ويقع على ما يصح وقوعه عليه، لكنا نقدره بلفظ آخر مشاكل لمراد المتكلم. وأن القرينة في التحقيقية لفظية وفي التقديرية حالية"(٣)

---

(١)يُنظر: التحولات في البنية، محمد عبد المطلب:٤٣١.

(٢)يُنظر: عروس الافراح، تح: د. عبد الحميد هنداوي:٢٣٨/٢، وخزانة الأدب وغاية الأرب:٢٥٣/٢، والإتقان في علوم القرآن:٣٢٢/٣، والبلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب:٤٤٤-٤٤٥.

(٣)البلاغة الاصطلاحية:٣٧٤-٣٧٥.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المشاكلة الدلالية من حيث وقوعها على:

١-**السياق المتصل:** التي يمثلها النوع الأول (المشاكلة التحقيقية)، فهي تكون في تراكيب آية واحدة وفي سورة واحدة، وهذا ما توضحه الأمثلة القرآنية الواردة في السياق القرآني، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ۞ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(سورة البقرة:١٤-١٥)

الاستهزاء في اللغة: بمعنى السخرية والتهكم.[1]، فجاء هذا الفعل بمعناه الحقيقي عند صدوره من الكافرين، فهو فعل يتسمون به وهو من خلقهم وعادتهم في معاملتهم مع المؤمنين، أمَّا كونه صادرًا من الله عندما قال عزَّ وجلَّ: (الله يستهزئ) فهذا لا يجوز في الحقيقة أن يصدر من الله سبحانه وتعالى، لأن الله منزّه عن هذا الفعل، إنما السياق القرآني قد عدل عن لفظ السخرية إلى لفظ (الاستهزاء) على سبيل المشاكلة اللفظية، وهو هنا بمعنى: يجازيهم على استهزائهم، فسُمَّي العقاب والجزاء على الاستهزاء استهزاءً، فكلمة (يستهزئ) مشاكلة لكلمة (مستهزئون)، وكل هذا تحقق في السياق المتصل في تراكيب سورة واحدة وآيتين متتاليتين.

أشار أبو حيان إلى وقوع المشاكلة اللفظية في قوله: (الله يستهزئ) إذ شاكل قوله: (إنَّما نحن مستهزئون)، فقال:" فيُحتمل أن يكون الاستهزاء المُسند إلى الله تعالى كنايةً عن مجازاته لهم، وأُطلق اسم الاستهزاء على المجازاة؛ ليُعلم أن ذلك

---

(١)يُنظر: كتاب العين:١٩٦/٤(سخر)، والمفردات في غريب القرآن:٨٤١، ولسان العرب:٥٢٩/١٢(كهم).

جزاءُ الاستهزاء أو عن معاملته لهم بمثل ما عاملوا به المؤمنين، فأجرى عليهم أحكام المؤمنين من حقن الدم وصون المال، والإشراك في المغنم، مع علمه بكفرهم"[1]

نستنبط من كلام أبي حيان أن معنى الاستهزاء من جانب الله يحتمل احتمالين: الأول: جاء على طريق مشاكلة لما قبله، فهو مجازاة على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه. والثاني: جاء بمعناه الحقيقي كما فعل الكافرون مع المؤمنين من الاستخفاف بهم، وإظهار خلاف ما يبطنون وذلك لحمايتهم من أذى الكافرين وصون المال واستجلاب النفع.

فمعنى اللفظ هو السخرية والتهكم، ومعنى اللفظ المشاكل هو مجازاة الكافرين على فعلهم لكن عدل النَّصّ القرآني عن لفظ المجازاة لمشاكلته لما قبله.

فالعرب عندهم تسمية العقوبة باسم الذنب، وذلك لازدواج الكلام، فمعناه: يجازيهم على قولهم فسُمِّي باسمه اتساعًا، فاتفق اللفظ واختلف المعنى المراد به.[2]

ومن قال بالمشاكلة فقط منهم القاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ)، فهو يرى أنَّ الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى؛ لأنَّ هذا الفعل قبيح لا يفعله الله، والله متعالٍ عن ذلك، وإنما قال ذلك مجازاة على فعلهم وهو الاستهزاء بالمؤمنين، فقال:" وتقول العرب: الجزاء بالجزاء والأول ليس بالجزاء ... وإنَّما أجرى اللفظ على جزاء الاستهزاء مجازًا واتساعًا"[3]

---

(١)البحر المحيط:١١٥/١، ويُنظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج:٩٠/١، والمحرر الوجيز:٩٧/١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٨/١، ومفاتيح الغيب:٣١٠/٢.

(٢)يُنظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج:٩٠/١، ومعاني القرآن، للنحاس:٩٦/١، والهداية إلى بلوغ النهاية:١٦٦/١.

(٣)تنزيه القرآن عن المطاعن، تح: أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة:٣٢.

وبـــيَّن القرطبـــي ســـبب هـــذه المشـــاكلة بقولـــه:" وإنمـــا قـــال لِيَـــزْدَوِجَ الْكَـــلَامُ فَيَكُـــونَ أَخَـــفَّ عَلَـــى اللِّسَـــانِ مِـــنَ الْمُخَالَفَـــةِ بَيْنَهُمَـــا. وَكَانَـــتِ الْعَـــرَبُ إِذَا وَضَـــعُوا لَفْظًـــا بِـــإِزَاءِ لَفْـــظٍ جَوَابًـــا لَـــهُ وَجَـــزَاءً ذَكَـــرُوهُ بِمِثْـــلِ لَفْظِـــهِ وَإِنْ كَـــانَ مُخَالِفًـــا لَـــهُ فِـــي مَعْنَاهُ، وعلى ذلك جاء القرآن والسنة"(١)

بينمـــا رأى الزمخشـــري معنـــى قولـــه تعـــالى: (الله يســـتهزئ بهـــم) بمعنـــاه الحقيقـــي ولـــيس المجـــازي، فقـــال:" فمـــا معنـــى اســـتهزائه بهـــم؟ قلـــت: معنـــاه إنـــزال الهـــوان والحقـــارة بهـــم، لأنّ المســـتهزئ غرضـــه الـــذي يرميـــه هـــو طلـــب الخفـــة والزرايـــة ممـــن يهـــزأ بـــه وإدخـــال الهـــوان والحقـــارة عليـــه. وقـــد كثـــر الـــتهكم فـــي كـــلام اللَّـــه تعـــالى بـــالكفرة. والمـــراد بـــه تحقيـــر شـــأنهم وازدراء أمـــرهم، والدلالـــة علـــى أنَّ مـــذاهبهم حقيقـــة بـــأن يســـخر منهـــا الســـاخرون ويضـــحك الضاحكون"(٢)

نســـتخلص مـــن ذلـــك كلـــه أنَّ معنـــى الاســـتهزاء الـــذي ورد فـــي الآيـــة المباركـــة جـــاء بمعنيـــين: أحـــدهما مـــن جانـــب المشـــاكلة اللفظيـــة وهـــذا مـــا أراه مناســـبًا فتكـــرار اللفـــظ يضـــفي علـــى الســـياق جمـــالًا موســـيقيًا، وتـــأثيرًا دلاليًـــا يجعـــل المتلقـــي فـــي عمليـــة التفكيـــر فيمـــا يـــدلُّ عليـــه معنـــى اللفظـــين، وكـــذلك وصـــف الله بالســـخرية والخـــداع لا يجـــوز، فـــالله ســـبحانه وتعـــالى منـــزّه عنهمـــا، ممـــا جعـــل اللفـــظ مـــرة يحمـــل معنـــاه الأصـــلي والآخـــر يحمـــل معنـــى مجازيًـــا. والآخـــر بمعنـــاه الحقيقـــي ولـــيس المجـــازي بمقابلـــة الكـــافرين بمثـــل فعلهـــم مـــن استهزائهم بالمؤمنين فالله يعاملهم بفعلهم.

---

(١)الجامع لأحكام القرآن:١/٢٠٧.

(٢)الكشاف:١/٦٦-٦٧.

ومن الآيات الأخرى التي ذكرها أبو حيان وكانت فيها المشاكلة متحققة في سياق متصل، قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(سورة آل عمران:٥٤)

المكر في اللغة: الاحتيال والخداع، احتيالٌ بغير ما يضمر، وصرف الغير عما يقصده بحيلة، لغرض إيقاع الضرر بهم.(١)

فهذا الوصف خاص بالكافرين وهو هنا احتيالهم في قتل النبي عيسى(عليه السلام) بدفع من يقتله بحيلة، فهو فعل قبيح لا يمكن اسناده إلى الله تعالى في قوله:{ ومكر الله}، فقال أبو حيان في ذلك:" ومكر الله مجازاتهم على مكرهم سمَّى ذلك مكرًا؛ لأنَّ المجازاة لهم ناشئة عن المكر، كقوله: ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾(سورة الشورى:٤٠)، قوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾(سورة البقرة:١٩٤)، وكثيرًا ما تسمى العقوبة باسم الذنب، و إنْ لم تكن في معناه. وَقِيلَ: مَكْرُ اللَّهِ بِهِمْ هُوَ رَدُّهُمْ عَمَّا أَرَادُوا بِرَفْعِ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ، وَإِلْقَاءِ شَبَهِهِ عَلَى مَنْ أَرَادَ اغْتِيَالَهُ حَتَّى قُتِلَ"(٢)

نلحظ في قول أبي حيان أنَّ معنى:(مكر الله) معنى مجازي، قد جاء بمعنى المجازاة على فعلهم، فعدل النَّصّ القرآني عن لفظ (عقابهم الله) إلى لفظ (مكر) لمشاكلته لما قبله من قوله: (مكروا). أو يكون بمعنى الحقيقي للمكر وهو معاملة الكافرين بمثل معاملتهم للأنبياء (عليهم السلام).

---

(١)يُنظر: كتاب العين:٣٧٠/٥(مكر)، وتهذيب اللغة:١٣٥/١٠(مكر)، ومقاييس اللغة:٣٤٥/٥(مكر)، والمفردات في غريب القرآن:٧٧٢.

(٢)البحر المحيط:١٧٥/٣، ويُنظر: النكت في إعجاز القرآن:١٠٠، وغرائب التفسير وعجائب التأويل:٢٥٨/١، والمحرر الوجيز:٤٤٣/١، والدر المصون:٢١٢/٣.

فمعنى المكر كما قلنا: هو التصرف بغير ما يضمر، أمَّا مكر الله بمن أراد قتل النبي عيسى (عليه السلام)، وهو المعنى المشاكل للفظ مكر الكافرين، فقالوا فيه: إمَّا أن يكون من باب المشاكلة من باب تسمية الجزاء باسم الذنب، أو معاملتهم بمثل فعلهم وهو خداعهم.(١)

وقد جعل الزجاج معنى: مكر الله من المشاكلة، فقال:" والمكر من اللَّه المجازاة على ذلك، فسمي باسم ذلك؛ لأنه مجازاة عليه، كما قال عزَّ وجلَّ:﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾"(٢)

بينما رأى الفراء أنَّ المكر من المخلوقين هو خداع واحتيال أما ما كان من الله فهو بمعنى استدراجه للعباد من دون علمهم فهو معاملتهم بالمثل، فهنا جاء بمعناه الحقيقي وهو التصرف بخلاف ما يضمر.(٣)

وهذا أيضًا ما ذهب إليه الزمخشري الذي قال:" وَمَكَرَ اللَّهُ: أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل، وقوله:(وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ) أقواهم مكراً وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب"(٤)

فعندما قال: وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب، أي: بمعنى معاملتهم بمثل فعلهم من تصرفهم بخلاف ما يضمرون، وهو المعنى الحقيقي للمكر.

---

(١)يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن:٢/٤٤، ومفاتيح الغيب:٨/٢٣٦، والبحر المحيط:٣/١٧٥، وفتح القدير:١/٣٩٥، والتحرير والتنوير:٣/٢٥٦-٢٥٧.

(٢)معاني القرآن وإعرابه:١/٤١٩.

(٣)يُنظر: معاني القرآن:١/٢١٨.

(٤)الكشاف:١/٣٦٦.

وقد ورد إسناد المكر إلى الله تعالى في مواضع أخرى من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(سورة الانفال:٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾(سورة الرعد:٤٢)، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾(سورة تونس:٢١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾(سورة النمل:٥٠)، ففي هذه الآيات المباركة نلحظ إسناد المكر إلى الله من باب المشاكلة لما قبله أي: قُبالة مكر القوم الظالمين أو من باب المعاملة بالمثل هو التدبر والأخذ على غفلة. أمَّا في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(سورة الأعراف:٩٩)، فنلحظ هنا قد ورد الوصف وحده دون ذكر للمقابل، فلعله دليل على أن المكر يُسند إلى الله بلا مشاكلة، أو تكون المشاكلة تقديرية، فهذا اللفظ قد شاكل لفظًا مقدرًا يُستدل عليه من قوله تعالى في سورة آل عمران:﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ﴾(الآية:٥٤).[١]

ومن الآيات الأخرى التي جاءت فيها المشاكلة في السياق المتصل، قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾(سورة الشورى:٤٠)

السيئة في اللغة: هي من السوء أي: الفعل القبيح.[٢]، فمعنى قوله: (جزاء سيئة سيئة) أن السيئة الأولى هي من الكافرين وهو فعل قبيح يصدر منهم، لكن

---

(١)يُنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٤٥٥/١٢، والكشاف:١٣٤/٢، ومفاتيح الغيب:٣٢٢/١٤، والبحر المحيط:١٢١/٥، والبرهان في علوم القرآن:٢٨٣/٢، وروح المعاني:١٣/٥.

(٢)يُنظر: كتاب العين:٣٢٧/٧(سوأ)، ومقاييس اللغة:١١٣/٣(سوأ).

السيئة الثانية الصادرة من الله عزَّ وجلَّ ليست بسيئة وإنما عقوبة للكافرين، فعدل النَّصُّ القرآني عن لفظ العقوبة أو المجازاة إلى لفظ السيئة للمشاكلة.

وفي ذلك قال أبو حيان:" وسُمَّي القصاص سيئة على سبيل المقابلة، أو لأنَّها تسوء من اقتص منه، كما ساءت الحيض"(١)

نلحظ في قول أبي حيان أنه يفسر قوله: (سيئة سيئة) تفسيرين: الأول: أنَّه على نحو المجاز من باب المشاكلة لما قبله. والثاني: أنَّه على نحو الحقيقة أي وقوع الاساءة على من يستحق القصاص، إذ ذكر لأنها تسوء من اقتص منه.

فمن المفسرين من رأى أنْ تكون من المشاكلة، منهم الزركشي الذي قال:" وهي من المُبتدئ سيئة ومن الله حسنةٌ فحُمل اللفظ على اللفظ (أي: مشاكلة)"(٢)

والقاضي عبد الجبار أيضًا يرى أن المراد من السيئة الجزاء على السيئة، قال:" فالمراد به الجزاء على السيئة وذلك مجاز مشهور في اللغة"(٣)

ويرى الدليل على ذلك ما جاء بعده، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾(سورة الشورى:٤٠)، وإن المراد من ذلك:" من عفا عن السيئة ولم

---

(١)البحر المحيط:٣٤٤/٩، ويُنظر: إعراب القرآن، للنحاس:٦١/٤، وعروس الافراح:١٣٥/٢.

(٢)البرهان في علوم القرآن:٢٨٣/٢، ويُنظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج:٤٠١/٤.

(٣)تنزيه القرآن عن المطاعن:٣٨٨.

يقابل بمثلها ولا كافأ عليه وذلك قال بعده: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾(سورة الشورى:٤١) فبين أنه إذا انتصر وقد ظلم فلا سبيل عليه ولو كان ما فعله سيئة لما صح ذلك"[١]

ومن المفسرين من رأى أنَّ السيئة الأولى والثانية جاءت على معنى الحقيقة وهي تسوء بهم، ومن هؤلاء الزمخشري الذي قال:" كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة؛ لأنها تسوء من تنزل به. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾(سورة النساء:٧٨): يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا. والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة"[٢]، ورجحه كذلك الرازي [٣]، والقرطبي[٤]. وهذا كان رأي الطبري من قبلهم.[٥]

٢-**السياق المنفصل:** هي المشاكلة التي تكون بين آيات مختلفة وسور مختلفة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(سورة البقرة:٢٣)

ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ وجهين:[٦]

---

(١)تنزيه القرآن عن المطاعن:٣٨٨.

(٢)الكشاف:٤/٢٢٩،

(٣)مفاتيح الغيب:٢٧/٦٠٥.

(٤)الجامع لأحكام القرآن:١٦/٤٠.

(٥)جامع البيان:٢١/٥٤٨.

(٦)يُنظر: الكشاف:١/٩٨، والجامع لأحكام القرآن:١/٢٣٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل:١/٦٥، والبحر المحيط:١/١٦٩-١٧٠، والدر المصون:١/٦٢.

الأول: أنَّ الضمير الهاء في (مثله) يعود على (ما) من قوله: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ فيكون المعنى: فأتوا بسورة من سور القرآن الكريم.

الثاني: أنَّه يعود على قوله: ﴿عَبْدِنَا﴾ فيكون المعنى: فأتوا بمثل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في كونه أُميًا لا يقرأ ولا يكتب لكنَّه رجل صادق.

وقد رجَّح أبو حيان الوجه الأول مشاكلة لما ورد في سور أخرى ومواضع أخرى من القرآن الكريم، فقال في ذلك:" من مثله: الهاء عائدةٌ على ما، أو على عبدنا، والراجح الأوَّل وهو قول أكثر المفسرين ورُجحانه من وجوهٍ: أحدها: أن الارتياب أوَّلًا إنَّما جيء به منصبًا على المنزل لا على المنزل عليه، ... ، فكان عود الضمير عليه أولى. الثاني: أنَّه قد جاء في نظير هذه الآية وهذا السياق قوله: فأتوا بسورة من مثله، قوله تعالى:﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾(سورة هود:١٣)،... الثالث: اقتضاء ذلك كونهم عاجزين عن الإتيان، سواءٌ اجتمعوا أو انفردوا، وسواءٌ كانوا أُميين أم كانوا غير أُميين، وعوده على المنزَّل يقتضي كون آحاد الأُميين عاجزًا عنه؛ لأنه لا يكون مثله إلا الشخص الواحد الأُمي: فأمَّا لو اجتمعوا أو كانوا قارئين فلا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى"(١)

وقد رجّح النسفي عود الضمير على القرآن الكريم مستدلًا بأمور، وهي:" وردّ الضمير إلى المنزل أولى لقوله تعالى: ﴿فأتوا بسورةٍ مثله﴾ ﴿فأتوا بعشر سورٍ مفتريات﴾﴿على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ ولأنَّ الكلام مع ردِّ الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبًا

---

(١)البحر المحيط:١/١٦٩-١٧٠، ويُنظر: الكشاف:١/٩٩.

وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه فإن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذًا مما يماثله"[1]

٣-السياق المقامي: التي يمثلها النوع الثاني من المشاكلة وهي المشاكلة التقديرية، فاللفظة المشاكلة للفظة أخرى غير موجودة في السياق، وإنما تفهم من المقام.

من ذلك قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾(سورة البقرة:١٣٨)

الصبغة في اللغة: بمعنى ما يلون به الثياب، كغمس الثوب في الصبغ، فهو عن العرب بمعنى الانتقال من حال إلى حال فعند صبغ الثوب ينتقل لونه ويُزال حاله من لون إلى آخر.[2]

أمَّا معنى الصبغة في الآية المباركة، فقد قيل في معناها أقوال: منها أنْ يكون المعنى دين الله أي: ظهور أثر الدين على صاحبه، كظهور أثر الصبغ على الثوب، أو بمعنى: فطرة الله، أو خلقة الله، أو الختانة، وذلك عندما أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بها كما اختتنن إبراهيم (صلوات الله عليه)، فهذه الصبغة قد جرت على الختانة؛ لأنه يصبغ صاحبه بالدم، إلى غير ذلك من المعاني.[3]

---

(١)مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٦٥/١، ويُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٥٧/١.

(٢)يُنظر: كتاب العين:٣٧٤/٤(صبغ)، وتهذيب اللغة:٦٤/٨(صبغ)، ولسان العرب:٤٣٨/٨(صبغ).

(٣)يُنظر: معاني القرآن، الفراء:٨٢/١-٨٣، والجامع لأحكام القرآن:١٤٤/٢، والبحر المحيط:٦٥٥/١، والدر المصون:١٤٣/٢.

وقد اختار أبو حيان أن تكون بمعنى: دين الله أو ملته، وذلك لأن قبله قوله تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾(سورة البقرة:١٣٦) فقال:" وَهَذِهِ أَقْوَالٌ مُتَقَارِبَةٌ، وَالْأَقْرَبُ مِنْهَا هُوَ الدِّينُ وَالْمِلَّةُ، لِأَنَّ قَبْلَهُ:﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾(سورة البقرة:١٣٦). وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلَ الدِّينِ الحنفي، فَكَنَّى بِالصِّبْغَةِ عَنْهُ، وَمَجَازُهُ ظُهُورُ الْأَثَرِ، أَوْ مُلَازَمَتُهُ لِمَنْ يَنْتَحِلُهُ. فَهُوَ كَالصَّبْغِ فِي هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ، كَمَا قَالَ. وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ، حين تخالط بشاشة الْقُلُوبَ. وَالْعَرَبُ تُسَمِّي دِيَانَةَ الشَّخْصِ لِشَيْءٍ، وَاتِّصَافَهَ بِهِ صِبْغَةً"(١)

وقد عدل النَّصُّ القرآني عن لفظ(الدين) إلى لفظ(الصبغة) للمشاكلة وإن لم يصحبها لفظ (الصبغة) فهو مقدر يفهم من سياق الحال وهو غمس النصارى أولادهم في الماء كان ذلك تطهيرًا لهم. وقد اختار أبو حيان أن يكون هذا المصدر منصوبًا بالفعل المتقدم (قولوا آمنا)، وفي ذلك قال:" والأحسنُ أن يكون مُنتصِبًا انتصاب المصدر المؤكد عن قوله: (قولوا آمنا). وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريق المشاكلة، كما تقول لرجلٍ يغرس الأشجار اغرس كما يُغرس فلانٌ، يُريد رجلًا يصطنع الكرم"(٢)

نلحظ في ذلك أنَّ معنى الصبغة في الأصل هو الغمس وقد استعمله القرآن الكريم بمعنى الدين من باب تطهير الله للإنسان بدينه وملته، وجاء مشاكلة لغمس النصارى أولادهم في ماء لونه أصفر يسمى المعمودية، ظنًّا منهم أن ذلك يطهرهم

---

(١)البحر المحيط:١/٦٥٥، ويُنظر: معاني القرآن، الأخفش:١/١٥٩.

(٢)البحر المحيط:١/٦٥٥-٦٥٦، ويُنظر: الدر المصون:٢/١٤٣، وروح المعاني:١/٣٩٥.

من ذنوبهم، وهذا اللفظ المشاكل غير موجود في النَّصِّ القرآني إنما مقدر يفهم من سياق الحال. فأمر الله المسلمين أن يبينوا أنَّ الله قد طهرهم بالإيمان الحقيقي وهو الدين، فكان ظهور هذا التطهير معنويًا يظهر على سلوكهم. والطرف الأول مقدر وذلك إشارة إلى تهافت هذا الزعم الذي يدعونه وخطئه، وعدم وجود أساس صحيح له؛ لأن التطهير من الذنوب يكون قبسًا معنويًا من عند الله يطهر الروح والجسد، وليس شيئًا حسيًا يزيل أدران الجسد ويترك أدران الروح متراكمة، ولذلك لم يُذكر في النَّصِّ القرآني، إشارة إلى عدم تأثيره في الواقع.

وما قاله أبو حيان قد ذكره من قبله الزمخشري والرازي.(١)، وقد أشار الطبري إلى معنى الصبغة في هذه الآية المباركة، لكن دون أن يحملها على المشاكلة، إذ قال:" يعني تعالى ذكره ب(الصبغة): صبغة الإسلام، وذلك أنَّ النصارى إذا أرادت أن تُنصِّر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس. فقال الله تعالى ذكره ـــ إذ قالوا لنبيه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه المؤمنين به: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾(سورة البقرة:١٣٥)ـــ قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى، بل اتبعوا ملة إبراهيم، صبغة الله التي هي أحسن الصِّبغ، فإنها هي الحنيفية المسلمة، ودعوا الشرك بالله، والضلال عن محجة هُداه"(٢)

---

(١)يُنظر: الكشاف:١/١٩٦، ومفاتيح الغيب:٤/٧٥.

(٢)جامع البيان:٣/١١٧.

فجاء لفظ الصبغة على طريقة المشاكلة وإن لم يتقدمها لفظ فهي من باب الاستعارة جيء بها للمشاكلة، وهذا ما ذكره ابن عاشور بذكره وجهًا ملائمًا لإطلاق الصبغة على وجه المشاكلة فقال:" وهذا هو الوجه الملائم لإطلاق صبغة على وجه المشاكلة. فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة وهي مشابهة خفيَّة حسَّنها قصدُ المشاكلة، والمشاكلة من المحسنات البديعية، ومرجعها إلى الاستعارة، وإنما قصدُ المشاكلة باعث على الاستعارة، وإنَّما سَّماها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه فأغفلوا أن يسموها استعارة وسمّوها المشاكلة، وإنَّما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه. وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ من قبيل المشاكلة التقديرية"(١)

ومِنَ المفسرين مَنْ ذكر أنَّ إطلاق الصبغة على دين الله من باب الاستعارة التصريحية التحقيقية والقرينة الإضافة إلى الله، والجامع هو ظهور الأثر عليهم كظهور أثر الصبغ على المصبوغ. أو أنها من المشاكلة التقديرية.(٢)

وقد رأى القرطبي أنَّ مجيء الصبغة بمعنى الدين وهو استعمال مجازي من دون مشاكلة فهي استعارة، إذ قال:" فسُمَّي الدين صبغة استعارةً ومجازًا من حيث تظهرُ أعماله وسمتُه على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب"(٣)

---

(١)التحرير والتنوير:١/٧٤٢و ٧٤٤-٧٤٥.

(٢)يُنظر: روح المعاني:١/٣٩٥، وحاشية الشهاب:٢/٢٤٦-٢٤٧.

(٣)الجامع لأحكام القرآن:٢/١٤٤.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾(سورة البقرة:٢٦)

يستحي أصله من الحياء ومعناه في اللغة: هو الانقباض عن الشيء، فهو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به أو يذم عليه.(١)

سبب نزول هذه الآية، أنها جاءت ردًا على كلام الكفار عندما قالوا: كيف يضرب الله تعالى هذه الأمثال التي ذكرها في مواضع سابقة منها ذكره العنكبوت والنمل والذباب والنحل، فهذه الأشياء الصغيرة والخسيسة تقلل من فصاحة القرآن الكريم، فرد الله عليهم بأنه لا يستحي أن يضرب هذه الامثال ومنها قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾(سورة البقرة:١٧)، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾(سورة البقرة:١٩) لما لها من حكمة بالغة، وقد بينها الرازي بقوله:" إنَّه ــ عزَّ وجلَّ ــ بيَّن الدليل كون القرآن معجزًا أورد هاهنا شُبهةً أوردَهَا الكفار قدحًا في ذلك وأجابَ عنها وتقرير الشُّبهة، أنه جاء في القرآن ذِكرُ النحل والذُّباب والعنكبوت والنمل وهذه الأشياء لا يليق ذِكرُها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها يقدحُ في فصاحته فضلًا عن كونه معجزًا، فأجاب الله تعالى عنه بأن صِغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملًا على حكمٍ بالغةٍ، فهذا هو الإشارة إلى كيفية تُعلقُ هذه الآية بما قبلها"(٢)

---

(١)يُنظر: المفردات في غريب القرآن:٢٧٠، والجامع لأحكام القرآن:٢٤٢/١، ولسان العرب:٢١٠/١٤(حيا)، والبحر المحيط:١٩١/١.

(٢)مفاتيح الغيب:٣٦١/٢.

وهذا الفعل بمعناه الحقيقي لا يجوز أنْ يُوصف به الله عزّ وجلَّ، فذكر المفسرون في معنى الفعل(يستحي) المنفي في الآية المباركة وجهين:[1]

الاول: أنَّه بمعنى: يخشى، أي: لا يخشى، وسُميت الخشية حياءً؛ لأنَّها من ثمراته، وقد نسب أبو حيان هذا المعنى إلى الطبري، مع أنَّ الطبري لم يرجح معنى معين، إذ قال:" وأمَّا تأويل قوله: (إن الله لا يستحي) فإن بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى" إنَّ الله لا يستحي" إن الله لا يخشى أن يضرب مثلًا ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾(سورة الأحزاب:٣٧)، ويزعم أن معنى ذلك: وتستحي الناس والله أحقُّ أنْ تستحيه. فيقول: الاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الاستحياء"[2]

في قول الطبري هذا كأنه ينكر أنْ يكون معنى الفعل: يخشى وهو واضح من وصفه للقائلين بهذا الرأي وهو قوله:" بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب"

الثاني: أنَّه بمعنى: الترك، أي: أنَّ الله لا يترك ضرب المثل، فعبَّر بالحياء عن الترك، وهذا كان رأي الزمخشري، إذ قال:" إنَّ الله لا يستحي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها، ويجوز أنْ تقع هذه العبارة في كلام الكفرة، فقالوا: أما يستحي ربُّ محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال. وهو فنٌّ من كلامهم بديع، وطراز عجيب"[3]

---

(١)يُنظر: الجامع لأحكام القرآن:٢٤٢/١، والمحرر الوجيز:١١٠/١، والبحر المحيط:١٩٦/١، والدر المصون:٢٢٢/١.

(٢)جامع البيان:٤٠٢/١، ويُنظر: البحر المحيط: ١٢٢/١.

(٣)الكشاف:١١٣/١.

فذكر هنا الزمخشري أن قوله: (لا يستحي) جاء بمعنى: لا يترك الله ضرب الأمثال وليس بمعنى الاستحياء هو الخوف وإنَّما هو ترك الفعل. ويجوز أن يكون على طريقة المشاكلة لما ذكره الكافرون من باب إطباق الجواب على السؤال.

وذكر أبو حيان هذه الأقوال وقال عنها:" وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَةٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، وَهَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ هِيَ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَرَى التَّأْوِيلَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي مَوْضُوعُهَا فِي اللُّغَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَقِيلَ: يَنْبَغِي أَنْ تَمُرَّ عَلَى مَا جَاءَتْ، وَنُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نَتَأَوَّلُهَا وَنَكِلُ عِلْمَهَا إِلَيْهِ تَعَالَى، لِأَنَّ صِفَاتَهُ تَعَالَى لَا يَطَّلِعُ عَلَى مَاهِيَّتِهَا الْخَلْقُ. وَالَّذي عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلمِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَنَا بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَفِيهِ الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ، ... ويجوز أن يكون قوله:(لا يستحي) على سبيل المقابلة، ومجيء الشيء على سبيل المقابلة، وإن لم يكن من جنس ما قُوبل به، شائع في لسان العرب، ومنه: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾(سورة الشورى:٤٠) وجاء ذكرُ الاستحياء منفيًا عن الله تعالى"[١]

وقوله:" الله تعالى ليس بجسم. فالإخبار بانتفاء هذه الأشياء هو الصدق المحض، وليس انتفاء الشيء ممَّا يدل على تجويزه على من نُفي عنه، ولا صحةُ نسبته إليه كما ذهب إليه أبو بكر بن الطيِّب وغيره"[٢]

---

(١)البحر المحيط:١/١٩٦.

(٢)المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

يتضحُ من كلام أبي حيان أن الفعل (يستحي) لا يُوصف به الله تعالى ولكن الآية لم تأتِ لإثبات الوصف، بل الآية تنفي هذا الوصف. فمن رأى نفي الاستحياء فيه دلالة على صحة وقوعه من الله تعالى، فهو جاء على سبيل المشاكلة، ومن لم يرَ الاستلزام في صحة الدليل فتكون من الحقيقة وليس من المجاز.

وقد ذكر الرازي هذا الكلام من قبله وقال في مجمل كلامه:" وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَنْفِيَّةٌ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَكَانَ الْإِخْبَارُ عَنِ انْتِفَائِهَا صِدْقًا فَوَجَبَ أَنْ يَجُوزَ. بَقِيَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْإِخْبَارَ عَنِ انْتِفَائِهَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهَا عَلَيْهِ فَنَقُولُ: هَذِهِ الدَّلَالَةُ مَمْنُوعَةٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ تَخْصِيصَ هَذَا النَّفْيِ بِالذِّكْرِ لَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ غَيْرِهِ بَلْ لَوْ قُرِنَ بِاللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الصِّحَّةِ أَيْضًا كَانَ ذَلِكَ أَحْسَنَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَكُونُ مُبَالَغَةً فِي الْبَيَانِ وَلَيْسَ إِذَا كَانَ غَيْرُهُ أَحْسَنَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَبِيحًا"(١)

وقال ابن عاشور عن ورود الاستحياء من الله تعالى:" والاستحياء هنا منفي عن أن يكون وصفًا لله تعالى فلا يحتاج إلى تأويل في صحة إسناده إلى الله، والتعلُّلُ لذلك بأن نفي الوصف يستلزم صحة الاتصاف تعللٌ غيرُ مسلم"(٢)

بينما اختار الألوسي أنْ يكون هذا الكلام جاء على الحقيقة، وذلك من خلال رده على من جعل (ما) هنا مخصوصة من باب المقابلة لما وقع في كلام الكفرة بناءً على ما روي عنهم قالوا: ما يستحي ربّ محمد أنْ يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت، إذ ردَّ هذا بقوله:" وبعض ـ وأنا والحمد لله منهم لا يقول بالتأويل بل

---

(١)مفاتيح الغيب:٢/٣٦٢.

(٢)التحرير والتنوير:١/٣٦١.

يمر هذا وأمثاله ـــ مما جاء عنه سبحانه وتعالى في الآيات والأحاديث على ما جاءت ويكل علمها بعد التنزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة"[١]

رابعًا: المشاكلة وانتقال الدلالة:

المشاكلة عبارة عن تماسٍ دلالي ناتج عن تجاور لفظين تراعى فيه نكتة بلاغية توجب نوعًا من الفيض الدلالي تشعه اللفظة الأولى على معنى اللفظة الثانية، فيتم التعبير عنها باللفظة الأولى، مما يؤدي إلى إزاحة لدلالة اللفظة أو تمازج بين اللفظين وفناء أحداهما في الأخرى، أو صرفه إلى معنى آخر، ولما كانت الألفاظ لها دلالات خاصة بها، وعندما تضع في سياق معين، تصبح حاملة لمعنى يطلبه السياق.[٢] فإنَّ هذا له أثر في انفتاح دلالة الألفاظ وتطورها الذي يظهر في هذه الأنماط من تخصيص للمعنى أو تعميمه أو انتقاله إلى حقل معنى آخر من دون اتساع أو تضيق، وهي:

١-**التخصيص:** أو ما يسمى بتضيق الدلالة، وهو أنْ يكون للفظ دلالة عامة ثم يتم تضيق مجال استعمالها، مما يجعلها تقتصر على ناحية منها، ولا يمكن تخصيص دلالة لفظ معين من دون دليل على معنى المخصوص.[٣]

---

(١)روح المعاني:٢٠٨/١

(٢)يُنظر: التحولات في البنية:٤١٩.

(٣)يُنظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم إنيس:١٥٤.

فقد نجد في النَّصِّ القرآني ألفاظًا تدلُّ على معنى معين عام لكن عند وروده في سياق قرآني معين يخرج عمَّا تناوله هذا اللفظ من معنى، أي: إخراج اللفظ من المعنى العام إلى معنى خاص يطلبه السياق القرآني.

فقد نجد أنَّ المشاكلة تقوم أحيانًا على التضيق في دلالة اللفظ الثاني لتكون المشاكلة، وقد تناولها أبو حيان في تفسيره للآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (سورة الطارق:١٥-١٦)

الكيد في اللغة: هو المكر والخداع والاحتيال بإلحاق الضرر بالغير خفية، وقيل: هو ضرب من الاحتيال قد يكون مذمومًا أو ممدوحًا، وأكثر ما يُستعمل في المذموم.(١)

وقيل: الكيد: هو المعالجة، فهو يدلُّ على معالجةٍ لشيءٍ بشدةٍ، فقالوا: وكلَّ شيءٍ تُعالجه فأنت تكيدهُ.(٢)

فهذا الكيد الصادر من الكافرين هذه صفاته، لكن الكيد الصادر من الله فهو بمعنى: الحاق الضرر بالكافرين، ولكن من دون خديعة.

وقال أبو حيان عن وصف الله سبحانه وتعالى بالكيد:" وأكيدُ: أي أُجازيهم على كيدهم، فسُمَّي الجزاء كيدًا على سبيل المقابلة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(سورة آل عمران:٥٤)"(٣)

---

(١)يُنظر: كتاب العين:٣٧٠/٥(كيد)، وتهذيب اللغة:١٣٥/١٠(كيد)، والمفردات في غريب القرآن:٧٢٨، ولسان العرب:٣٨٣/٣(كيد).

(٢)يُنظر: مقاييس اللغة:١٤٩/٥(كيد).

(٣)البحر المحيط:٤٥٣/١٠، ويُنظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٨٢٠١/١٢، والمحرر الوجيز:٤٦٧/٥.

نلحظ في كلام أبي حيان أنَّ الكيد الصادر من الله عزَّ وجلَّ ليس بمعناه الحقيقي الذي أشرنا إليه سابقًا، إنَّما جاء بمعنى عقاب الكافرين على كيدهم أي: مجازاتهم، ولكنَّ النَّصَّ القرآني عدل عن لفظ المجازاة أو العقاب إلى لفظ الكيد من أجل المشاكلة لما قبله وهو قوله: (يكيدون كيدًا)، ونجد أبا حيان يفسر الكيد في الآيات القرآنية، فإنَّ كان الكيد صادر من الكافرين فهو بمعنى: الاحتيال والمكر بالباطل.(١)، وهذا يعني فإنَّ الكيد الصادر من الله ليس باطلًا.

وقد يكون الكيد الصادر من الله بمعنى: الإمهال والاستدراج المؤدي إلى العقاب، وهذا المعنى قاله الزجاج، إذ قال:" كيد الله لهم استدراجهم من حيث لا يعلمون"(٢)، وذكره الزمخشري الذي قال:" وأنا أُقابلهم بكيدي: من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم"(٣)

وقال القاضي عبد الجبار:" فالمراد به إنزال العقاب بهم من حيث لا يشعرون في الآخرة ويحتمل أن يريد إنزاله الخذلان بهم في الدُّنيا من حيث لا يشعرون وذلك تشبيه لا تحقيق"(٤)

وقد ذكر الرازي هذين الاحتمالين في معنى الكيد، الأول منهما: هو بمعنى: تسمية الجزاء باسم الفعل، إذ يقابل كيد الكافرين بنصرة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسُمي جزاء الكيد كيدًا لمقابلته كيد الكافرين. والثاني: بمعنى: إمهالهم على كفرهم حتى يأخذهم على غرة.(٥)

---

(١)يُنظر: البحر المحيط على سبيل التمثيل: ٢٣٤/٥، و ٢٣٩/٦، و ٥٧٦/٩.

(٢)معاني القرآن وإعرابه:٣١٣/٥.

(٣)الكشاف:٧٣٧/٤.

(٤)تنزيه القرآن عن المطاعن:٤٦٢.

(٥)يُنظر: مفاتيح الغيب:١٢٣/٣١، والجامع لأحكام القرآن:١١/٢٠.

وقال ابن عاشور في تفسير معنى الكيد:" والكيد: إخفاء قصد الضُّرِّ وإظهار خلافه، فكيدهم مستعملٌ في حقيقته، وأمَّا الكيدُ المسندُ إلى ضمير الجلالة، فهو مستعملُ في الإمهال مع إرادة الانتقام عند وجود ما تقضيه الحكمة من إنزاله بهم وهو استعارة تمثيلية شُبهت هيئة إمهالهم وتركهم مع تقدير إنزال العقاب لهم بهيئة الكائد يُخفي إنزال ضُرِّه ويُظهر أنه لا يُريده وحسَّنها محسن المشاكلة"(١)

يُفهم من كلام ابن عاشور أنَّه جعل الكيد من جانب الكفار، فهو مستعمل في حقيقته، أما الكيد الصادر من الله سبحانه وتعالى، فهو بمعنى إمهال الكافرين ومن ثم إنزال العقاب عليهم، وهو استعارة تمثيلية جيء بها للمشاكلة.

نجد في تحليل معنى الكيد: أنَّ الكيد الصادر من الكافرين فهو بمعناه الحقيقي هو الاحتيال بالباطل، أما الكيد الصادر من الله فهو الاحتيال بالحق وليس باطلًا، فالمشاكلة اللفظ الثاني للأول جعلت دلالة الثاني أضيق من الأول. وهذا ما نجده في تفسير أبي حيان لمعنى الكيد. ومن قبله القاضي عبد الجبار.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾(سورة النحل:١٢٦)

العقوبة والعقاب والمعاقبة تختص بالذنب، وهي الجزاء على ذنبٍ فعلته، وفي ذلك قال ابن منظور:" أن تجزي الرجل بما فعل سُوءًا"(٢)

---

(١)التحرير والتنوير:٢٦٨/٣٠.

(٢)لسان العرب:٦١٩/١(عقب)، ويُنظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح: عبد الحميد هنداوي:٢٤٣/١(عقب)، ومختار الصحاح:١٢٣(عقب)، والكليات:٦٥٣.

معنى الآية المباركة: أنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: إذا أراد احدٌ منكم أنَّ يُعاقب على فعل يستوجب العقوبة، فعليكم بمعاقبته بمثل ما فعلوا بكم لا زيادة ولا نقصان، وذلك من باب كما تدين تُدان.(١)

وقد وجَّه أبو حيان هذا المعنى أنَّه جاء على طريقة المشاكلة، إذ قال:" وسمَّى المجازاة على الذنب مُعاقبة لأجل المقابلة، والمعنى: قابلوا من صنع بكم صنيع سُوءٍ بمثله، وهو عكس:﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:٥٤)، والمجاز في الثاني، وفي: وإن عاقبتم في الأول"(٢)

نلحظ أنَّ أبا حيان قد بيَّن أن الله سبحانه وتعالى سمَّى الجزاء على الذنب مُعاقبة؛ لأجل المشاكلة، وسمَّى الفعل الأول وهو فعل البادئ بالشر (أي: المُذنب) عقوبة، وهو ليس بعقوبة، وهو قوله: (عُوقبتم)، وإنما العقوبة الفعل الثاني وهو (فعاقبوا) المُجازي.

وقد رجَّح الزجاج من قبله هذا المعنى(٣)، والقاضي عبد الجبار(٤)، والزمخشري(٥)، وابن عطية.(٦)

بينما خالفهم الطبري فقد جعل العقوبة على أصلها وهي على طريقة كما تدين تُدان، إذ قال:" وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة"(٧)

---

(١)يُنظر: الكشاف:٦٤٤/٢، وإرشاد العقل السليم:١٥٢/٥، وبيان المعاني:٢٦١/٤.

(٢)البحر المحيط:٦١٣/٦.

(٣)يُنظر: معاني القرآن وإعرابه:٢٢٣/٣.

(٤)تنزيه القرآن عن المطاعن:٢٤٩.

(٥)الكشاف:٦٤٤/٢.

(٦)المحرر الوجيز:٤٣٢/٣، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن:٢٤٢/١٠.

(٧)جامع البيان:٣٢٢/١٧.

وذكر شهاب الدين(ت١٠٦٩هـ) أنَّ معنى العقاب في الآية المباركة قد جاء بمعنيين حسب توجيه المفسرين له، إذ قال:" والعقاب في العرف مطلق العذاب، ولو ابتداء، وفي أصل اللغة المجازاة على عذاب سابق، لأنها ما يقع عقب مثله، فإن اعتبر الثاني فهو مشاكلة، وسماها الزمخشري مزاوجة، وهي خلاف ما اصطلح عليه في البديع (يقصد أنها في البديع بمعنى: المشاكلة)، وإن اعتبر الأوّل فلا مشاكلة فيه، ولذا لم يذكرها المصنف(البيضاوي) رحمه الله تعالى فمن قال لا وجه للمشاكلة لم يصب"[١]

نلحظ في كلام شهاب الدين أنَّ بعض المفسرين ومنهم الزمخشري جعل العقاب بمعنى المجازاة على الذنب وهو من المشاكلة. ومنهم من جعله على الحقيقة، ومنهم البيضاوي الذي رأى العقاب هو بمعنى العذاب في كل الأحوال. وذهب شهاب الدين مع الزمخشري ومن معه؛ لأنَّه قال:" فمن قال لا وجه للمشاكلة لم يصب"[٢]

وكذلك ابن عاشور يُوضح أنَّ العقاب يتحمل احتمالين في هذا الآية، إذ قال:" والمعاقبة: الجزاء على فعل السوء بما يسوء فاعل السوء فقوله: (بمثل ما عوقبتم) مشاكلةٌ ل عاقبتم. استعمل عوقبتم في معنى عُوملتم به، لوقوعه بعد فعل عاقبتم، فهو استعارة وجه شبهها هو المشاكلة. ويجوز أن يكون عوقبتم حقيقة؛ لأنَّ ما يلقونه من الأذى من المشركين قصدوا به عقابهم على مفارقة دين قومهم وعلى شتم أصنامهم وتسفيه أباءهم"[٣]

---

(١)حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي:٥/٣٨١، ويُنظر: روح المعاني:٧/٤٩٠.

(٢)حاشية الشهاب:٥/٣٨١.

(٣)التحرير والتنوير:١٤/٣٣٥-٣٣٦.

نستخلص من ذلك كله أنَّ من وجَّه تسمية فعل البادئ بالشر عقوبة وهو في الحقيقة ليس بعقوبة، فوجَّهها على نحو المجاز؛ لأنَّ معنى العقوبة في أصل اللغة: هو الجزاء على فعل السوء، وهنا عقوبة البادئ بالشر للمسلمين ليس بعقوبة؛ لأن فعل المسلمين ليس بسوءٍ حتى يُعاقبوا عليه وسُمي عقوبة؛ لأجل المشاكلة، ومن هؤلاء المفسرين أبو حيان، إذ نلحظ بفعل المشاكلة أصبح هناك تضييق دلالي للفظة، لأن العقاب في أصل وضعه هو مجازاة على الذنب وعند إطلاقه على فعل المذنب برأي الكافرين عقوبة، فعلهم ليس ذنبًا كما قلنا، فخرج معنى السوء من دلالة اللفظ، فجعله أكثر تخصيصًا، فانتقل المعنى من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي؛ للمشاكلة. وأن بعض المفسرين قد جعل العقاب في جميع أحواله سواء كان صادرًا من المذنب أو المُجازي عليه من باب إطلاق السبب على المسبب لا غير، والعقوبة بالمثل فقط.

٢-**التعميم**: الذي يسمى بتوسيع الدلالة، وهو أنْ يكون للفظ دلالة خاصة فيتم توسيع دلالتها، فتُنقل دلالتها من معنى الخاص إلى معنى عام وشامل يدلُّ على أكثر من معنى، مما كانت عليه سابقًا، وعادةً يحصل هذا في الحقل الدلالي الواحد.(١)، وفي التوسيع الدلالي في المشاكلة يكون اللفظ المشاكل دلالته أعم من دلالة اللفظ المقابل. أي: لكي تستقيم الدلالة في السياق القرآني مع حضور المشاكلة بوصفها فنًا بلاغيًا، فإن مستعمل اللغة يُوسع في دلالة اللفظ.

---

(١)يُنظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس:١٥٣.

ومن الآيات القرآنية التي ذكرها أبو حيان في التوسيع الدلالي في المشاكلة قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(سورة الكهف:٢٩)

الغوث في اللغة: هو طلب المساعدة عند الوقوع في شدة.(١)، فمعنى الغوث في قوله: (يستغيثوا): يطلبوا المساعدة والاستجابة لهم وانقاذهم من العطش، بطلبهم الماء لشدة عطشهم. أمَّا الغوث في قوله: (يغاثوا) فهو بمعنى: استجابة الله لهم، لكن ليس بنصرتهم وتقديم الماء لهم، وإنما بإهلاكهم وعذابهم وتقديم ماء كالمهل، وليس بماء.(٢)

وهذا ما ذكره أبو حيان بقوله:" وإنْ يستغيثوا يطلبوا الغوث مما حلَّ بهم من النار وشدة إحراقها واشتداد عطشهم يُغاثوا على سبيل المقابلة وإلا فليست إغاثة"(٣)

نلحظ في كلام أبي حيان أنَّ الإغاثة المقدمة من جانب الله لم تكن بمعنى تقديم المساعدة، وإنما جُعلت ذلك؛ لمشاكلتها (يستغيثوا).

وذكر الجرجاني من قبله أنَّ (الإغاثة) جاءت لازدواج الكلام لما قبلها، أي: مشاكلة لما قبله وهو قوله: (يستغيثوا).(٤)

---

(١)يُنظر: الصحاح:٢٨٩/١(غوث)، ومقاييس اللغة:٤٠٠/٤(غوث)، ولسان العرب:١٧٤/٢(غوث).

(٢)يُنظر: المفردات في غريب القرآن:٦١٧، والكتاب الفريد:٢٧١/٤.

(٣)البحر المحيط:١٦٩/٧-١٧٠.

(٤)يُنظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور:١١٤٦/٣.

وقال البقاعي عن هذه المشاكلة:" ولما كان المحرور شديد الطلب للماء قال تعالى: (وإن يستغيثوا) من حر النار فيطلبوا الغيث ــ وهو ماء المطر ــ والغوث بإحضاره لهم؛ وشاكل استغاثتهم تهكمًا بهم فقال تعالى: (يغاثوا بماء) ليس كالماء الذي قدمنا الإشارة إلى أن نحيي به الأرض بعد صيرورتها صعيدًا جرزًا، بل (كالمهل)"[1]

ورأى الزمخشري أنَّ الإغاثة جاءت على سبيل التهكم.[2]

نلحظ في ذلك أنَّ المشاكلة قد وقعت في قوله: (يُغاثوا)، لأن الإغاثة التي صدرت من الله عزَّ وجلَّ ليست لمساعدتهم وإنما لعذابهم، لكن النَّصّ القرآني عدل عن لفظ عذابهم إلى لفظ الإغاثة لمشاكلته ما قبله وهو قوله: (يستغيثوا)، وكان هنا توسيع دلالي للفظ، الاستجابة حصلت لكن بإهلاكهم وعذابهم وهذا من باب تعميم دلالة اللفظ. وهذا ما بينه أبو حيان وغيره. ومنهم من رأى أنَّ الإغاثة ليست من باب المشاكلة وإنما من باب التهكم بالكافرين بعذابهم بتقديم ما يُشبه طلبهم وهو (الغوث).

٣-**التغيير**: وهو انتقال الدلالة من معنى إلى معنى آخر مجازي، أي: انتقال الدلالة من المعنى المألوف الخاص بمفردة معينة إلى شيء آخر مجازي يلجأ إليه المتكلم بقصدٍ.[3]، وتقوم المشاكلة على تغيير دلالة اللفظ الثاني لتكون المشاكلة، أي: لكي تستقيم الدلالة في السياق القرآني مع حضور المشاكلة بوصفها فنًا بلاغيًا فإن مستعمل اللغة يغير في دلالة اللفظ.

---

(١)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٢/٥٣-٥٤.

(٢)يُنظر:الكشاف:٢/٧١٩، وروح المعاني:٨/٢٥٥، والتحرير والتنوير: ١٥/٣٠٨.

(٣)يُنظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس:١٦٠.

والفرق بين التضيق والتوسيع والتغير في الدلالة، يكون المعنى في مظهري التضيق والتوسيع أضيق أو أوسع من المعنى الأصلي للفظ، أمَّا المعنى في مظهر التغيير فهو انتقال اللفظ من الدلالة على شيء في مجالٍ ما إلى الدلالة على شيء آخر في مجالٍ غيره، وذلك لوجود علاقة أو ملمح مشترك بينهما سوغ هذا الانتقال، أي: انتقال المعنى الخاص باللفظ من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي.(١)

ومن تغيير دلالة الألفاظ ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة:١٩٣)

العدوان في اللغة: هو الظلم لمجاوزته الحق، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ﴾ (سورة المائدة:٢) فهنا جاء العدوان بمعناه الحقيقي وهو الظلم.(٢)

والعدوان في الآية المباركة: هو جزاء على ظلم الكافرين، أي: العدوان الذي أمر الله به هو قصاص وليس ظلمًا، وسُمِّي عدوانًا لمقابلته عدوان الكافرين.(٣)

---

(١)يُنظر: في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، عبد الكريم محمد جبل:٢٤٢.

(٢)يُنظر: تهذيب اللغة:٣/٧٠(عدو)، ومقاييس اللغة:٤/٢٤٩(عدو)، والمفردات في غريب القرآن:٥٥٤، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد، تح: د. حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ود. يوسف محمد عبد الله:٧/٤٤١٥، ولسان العرب:١٥/٣٢(عدو).

(٣)يُنظر: معاني القرآن، الفراء:١/١١٦-١١٧، وغريب القرآن، ابن قتيبة، تح: أحمد صقر:٧٧، والوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري، تح: محمد عثمان :٣٤٦،والبحر المحيط:٢/٢٤٧.

وفي ذلك قال أبو حيان:" ويرادُ بالعدوان الذي هو الظلم الجزاءُ. سماهُ عدوانًا من حيث هو جزاء عدوان، والعقوبة تُسمى باسم الذنب، وذلك على المقابلة كقوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (سورة الشورى:٤٠)"[١]

وقد رجَّح هذا المعنى قبل أبي حيان الفراءُ، إذ قال: " أعدوان هو قد أباحه الله لهم؟ قُلنا: ليس بعدوان في المعنى، إنَّما هو لفظ على مثل ما سبق قبله (أي: مشاكلة لما قبله)، فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص. فلا يكون القصاص ظلمًا، وإن كان لفظه واحدًا"[٢]

نلحظ في كلام الفراء وأبي حيان أنَّ معنى العدوان الذي أمر الله به المسلمين عند مقاتلة الكافرين هو ليس ظلمًا وإنَّما هو جزاءٌ على ظلم الكافرين، فهذا يعني حصول تغيير في معنى اللفظ من الظلم إلى القصاص وهو تغيير في الدلالة الذي لجأت إليه المشاكلة لاستقامة الدلالة في السياق القرآني. وكانت المشاكلة هنا معنوية فاللفظ المشاكل له محذوف يُفهم من سياق النَّصّ ودلَّ عليه قوله: (قاتلوهم).

وقال القرطبي أيضًا:" أنْ سُمي ما يُصنع بالظالمين عدوانًا من حيث هو جزاء عدوانٌ، لأن الظلم يتضمن العدوان فسُمي جزاء العدوان عدوانًا، كقوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (سورة الشورى:٤٠)"[٣]

---

(١)البحر المحيط:٢٤٧/٢، ويُنظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن:٤٢/٥، والكشاف:٢٣٦/١، والمحرر الوجيز:٢٦٣/١، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل:١٦٦/١.

(٢)معاني القرآن:١١٦/١-١١٧.

(٣)الجامع لأحكام القرآن:٣٥٤/٢.

وقال عن اختلاف العلماء في عدِّ المكافأة عدوانًا:" واختلف الناس في المكافأة هل تُسمى عدوانًا أم لا، فمن قال: ليس في القرآن مجازٌ، قال: المقابلة عدوانٌ، وهو عدوانٌ مباح، كما أنَّ المجاز في كلام العرب كذبٌ مباحٌ، ...، ومن قال في القرآن مجازٌ سمَّى هذا عدوانًا على طريق المجاز ومقابلة الكلام بمثله"(١)

بينما نلحظ في كلام القرطبي أنه جعل العدوان الثاني من باب التوسيع في دلالة اللفظ.

وبيَّن الدكتور مساعد بن سليمان هذه المغايرة في الدلالة التي قامت بها المشاكلة، فقال:" فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلمٌ في المعنى، والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنَّما هو قصاصٌ، فلا يكون القصاص ظلمًا، وإن كان لفظه واحدًا...، وهذا يعني أنَّ ما يصدر من المسلمين إنَّما هو مقابلٌ وجزاءٌ لما صدر من الكفار، وإنَّما سُمِّي باسمه على سبيل المجازاة، فاتفق اللفظ واختلف المعنى المراد به في كل موضع، وهذا ما يُسمَّى في علم البلاغة "باب المشاكلة"(٢)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون﴾(سورة التوبة:١٢٧)

الصرف في اللغة: الرجوع عن الشيء، أيْ: تركه والتَّحول عنه.(٣)

---

(١)الجامع لأحكام القرآن: ٣٥٦/٢.

(٢)التفسير اللغوي للقرآن الكريم:٢٩٦.

(٣)يُنظر: مقاييس اللغة:٣٤٢/٣(صرف)، والمفردات في غريب القرآن:٤٨٢، ولسان العرب:١٨٩/٩(صرف)، وتاج العروس من جواهر القاموس:١٤/٢٤(صرف).

ومعنى الانصراف في الآية هو ترك الإيمان بالله سبحانه وتعالى. وهو المعنى الحقيقي ل(صرف). أمَّا معنى قوله: (صرف الله قلوبهم)، فقال أبو حيان فيه:" والظاهر أنَّه خير لمَّا كان الكلام في معرض ذِكر التكذيب، بدأ بالفعل المنسوب إليهم وهو قوله: (ثم انصرفوا)، ثم ذكر فعله تعالى بهم على سبيل المجازاة لهم على فعلهم كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة الصف:٥)"[١]

رجَّح أبو حيان أن يكون قوله: (صرف الله) من باب المجازاة على فعل الكافرين، وعبَّر الله سبحانه وتعالى عن الجزاء ب (صرف)، لأجل المشاكلة لما قبله وهو قوله: (انصرفوا).

وهذا الرأي كان للزجاج الذي قال:" أضلهم الله مجازاة على فعلهم"[٢]، ورجَّحه القاضي عبد الجبار أيضًا.[٣]

بينما رأى الفراء أنَّ معنى (صرف الله): هو دعاء عليهم وذلك بصرف قلوبهم عمَّا في قلوب المؤمنين.[٤]، ورجَّحه الزمخشري.[٥]

---

(١) البحر المحيط:٥/٥٣١، يُنظر: في ذلك قوله:﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾(سورة الصف:٥):١٠/١٦٥.

(٢) معاني القرآن وإعرابه:٢/٤٧٧.

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن:١٩٧.

(٤)يُنظر: معاني القرآن:١/٤٥٥.

(٥)الكشاف: ٢/٣٢٥

ومن المفسرين من ذكر الاحتمالين معًا، منهم النحاس[١]، والجرجاني[٢]، وابن عطية[٣]، والقرطبي[٤]، والألوسي[٥].

بينما رأى الرماني أنَّ معنى صرف في الآية الكريمة واحد سواء كان من المنافقين أو من الله سبحانه وتعالى، وجعله من باب المجانسة ضمن وجه المناسبة، إذ قال:" فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أما هُم فذهبوا عن الذكر، وأمَّا قلوبهم فذهب عنها الخير"[٦]

فيُخرجها من باب المشاكلة، ويجعل الفعل بمعنى واحد، وهو معناه الأصلي، فهذا يعني أن صرف المعنى فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، فالمنافقين قد ذهبوا عن الذكر، فذهب الله قلوبهم عن الخير.

نلحظ أنَّ الفعل(صرف) الصادر من الله سبحانه وتعالى هو بمعنى المجازاة على فعل المنافقين وجاء بلفظ (صرف) لمشاكلته قول المنافقين وهو (انصرفوا) الذي معناه الحقيقي هو الترك، وأُستعير هذا الفعل للدلالة على ابتعاد قلوب المنافقين وتركها للإيمان بالله سبحانه وتعالى. وهذا المعنى المجازي، فنجد قد أصاب معنى اللفظ تغيير دلالي، إذ انتقل معناه من معنى الحقيقي إلى المعنى المجازي كما وضحنا.

---

(١)إعراب القرآن:١٣٨/٢.

(٢)درج الدرر في تفسير الآي والسور:٩٣٤/٢.

(٣)المحرر الوجيز:١٠٠/٣.

(٤)الجامع لأحكام القرآن:٣٠٠/٨.

(٥)روح المعاني:٤٨/٦.

(٦)النكت في إعجاز القرآن:١٠٠.

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾(سورة الليل: ٧ و ١٠)

التيسير في اللغة: وهو من(اليسر) الذي يكون نقيضه(العسر)، يدلُّ على التسهيل والتوفيق والتهيأة لكل أمر هين وسهل.(١)

والعسر: هو الدال على الصعوبة والشدة والضيق.(٢)، فكيف قال الله عزَّ وجلَّ: (سنيسره للعسرى)؟ إذا كان التيسير نقيضًا للتعسير.

قال أبو حيان في ذلك:" وَجَاءَ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى﴾ عَلَى سَبِيلِ الْمُقَابَلَةِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى﴾، وَالْعُسْرَى لَا تَيْسِيرَ فِيهَا، وَقَدْ يُرَادُ بِالتَّيْسِيرِ التَّهْيِئَةُ، وَذَلِكَ يَكُونُ فِي الْيُسْرَى وَالْعُسْرَى"(٣)

نلحظ في قول أبي حيان أنَّ معنى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى﴾ لأجل مشاكلته ما قبله وهو قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى﴾؛لأنَّ العسرى التي تدلُّ على الشدة والصعوبة كيف يكون فيها تيسير، وهو يدلُّ على السهولة واللين. وذكر احتمالًا آخر أنه قد يكون من باب التهيئة للأمر سواء كان سهلًا أو صعبًا.

وكان الفراء يرى أن التيسير للعسرى من باب التهيئة، إذ قال:" فهل في العسرى تيسير؟ فيقال: في هذا في إجازته بمنزلة قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(سورة التوبة:٣)، والبشارة في الأصل تطلق على الشيء المفرح والسار، فإذا اجتمعت في كلاميين: هذا خير وهذا شر جاز التيسير فيهما

---

(١)يُنظر: كتاب العين:٢٩٥/٧(يسر)، ومقاييس اللغة:١٥٥/٦(يسر)، ولسان العرب:٣٤٩/١١(يسر).

(٢)يُنظر: مقاييس اللغة:٣١٩/٤(عسر)، ومختار الصحاح:٣٤٩.

(٣)البحر المحيط:٤٩٣/١٠، ويُنظر: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، شهاب الدين الحنفي، تح: محمد مصطفى كوكصو:٤٠٠

جميعًا، وقوله عزَّ وجلَّ: فسنيسره سنهيئه. فكانت: بمعنى التهيئة"[١]

واتبعه في هذا الرأي الطبري[٢]، والنحاس[٣]، والثعلبي(ت٤٢٧هـ)[٤]، والاصفهاني[٥]، والزمخشري[٦]، والقرطبي[٧].

ومن المفسرين من ذكر الرأيين معًا ومنهم، الكرماني، وتبعه السمين الحلبي.[٨]

نستخلص من ذلك أنَّ أبا حيان قد وجَّه قوله تعالى: (سنيسره للعسرى) على طريقة المشاكلة، لأن التيسير يعني التسهيل والتوفيق للأمر السهل اللين والعسرى لا تيسير فيها، لكن الله سبحانه وتعالى ذكر التيسير للعسرى من باب المشاكلة لما قبله من قوله: (سنيسره لليسرى)، وهنا قد انتقل معنى اللفظ من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، فأصبح يدل على التهيأة للأمر الصعب الشديد.

ومن رأى أنَّ المعنى هو التهيأة للأمر سواء كان سهلًا أو شديدًا وهنا: معناه التهيأة للدخول للجنة هذا الأمر السهل، الدخول للنار وهذا الأمر الصعب، فجعل اللفظ على معناه الحقيقي.

---

(١)معاني القرآن:٣/٢٧١.

(٢)جامع البيان:٢٤/٤٧١.

(٣)إعراب القرآن:٥/١٥٠.

(٤)الكشف والبيان في تفسير القرآن:٢٩/٤٤٧.

(٥)المفردات في غريب القرآن:٨٩٢.

(٦)الكشاف:٤/٧٦٢.

(٧)الجامع لأحكام القرآن:٢٠/٨٥.

(٨)غرائب التفسير وعجائب التأويل:٢/١٣٥٠.، والدر المصون:١١/٢٩.

وبيَّن الدكتور فاضل السامرائي لماذا لم يقل: (نعسره للعسرى)؟ بقوله:" ولم يقل: نعسره للعسرى، لأنها تفيد الثناء على عكس المقصود بالآية أنه يعسر الأمور على غيره وعلى نفسه وفي الآخرة يعسر عليه دخول الجنة. وفي العسرى كما في اليسرى لم يذكر سبحانه وتعالى موصوفًا فتركها مطلقة وأعسر العسرى هي النار"(١)

خامسًا: المشاكلة وتعدد احتمالات الدلالة:

تقوم المشاكلة الدلالية على اقتران لفظين في تركيب يتفقان في اللفظ لتحقيق الانسجام الصوتي والتناغم بتكرار اللفظ بنفسه ويختلفان في إخراج أحد اللفظين من دلالتها الشائعة إلى دلالة أخرى ترتبط معها برابط ما. ولم تكن رؤية المفسرين لهذا الاختلاف الدلالي بين اللفظين اللذين يجسدان المشاكلة واحدة، بل نجد تعددًا دلاليًا في تفسير الدلالة وتتنازع القرائن السياقية في توضيح معنى على آخر. وهذا ما لمسناه في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(سورة المائدة:٦٤)

الغُلُّ في اللغة: الجامعة التي تُوضع في العنق واليد.(٢)

وقال ابن فارس عن أصل الغلِّ:" الغين واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تخللّ شيءٍ، وثبات شيءٍ كالشيءِ يُغرز"(٣)

---

(١)لمسات بيانية في نصوص من التنزيل:٣٧٢-٣٧٣.

(٢)يُنظر: كتاب العين:٤/٣٤٨(غل)، وتهذيب اللغة:٨/٢٢(غل).

(٣)مقاييس اللغة:٤/٣٧٥-٣٧٦(غل).

فهذه الأغلال التي تُوضع في العنق واليد، وهذه الأعضاء لجسم الإنسان، والله تعالى منزه عن التجسيم، فإنَّ نسبة اليهود غل اليد إلى الله سبحانه وتعالى ـ حاشاه ـ تعبير مجازي، وقد فسره المفسرون بما يأتي:[١]

١-أنْ يكون بمعنى: نعمه مقبوضة عنا (أي: بخيل) كأنَّ الله سبحانه وتعالى امسك يده عنهم، فلا يبسطها عليهم بخير، وليس بجواد. وهو كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾(سورة الإسراء:٢٩)، وهذا على سبيل المجاز، لأنَّ في الحقيقة الله عزَّ وجلَّ لا يُوصف بهذه الصفات إلا على سبيل المجاز، وكذلك قد يتطلب السياق القرآني هذا المعنى الذي يدلُّ عليه مقابله(بل يداه مبسوطتان)، وهذا كناية عن الجود والكرم. وهذا رأي الفراء[٢]، وتبعه أغلب المفسرين، منهم أبو عبيدة[٣]، والطبري[٤]، والاصفهاني[٥]، والزمخشري[٦]، وأبو حيان الأندلسي[٧]، والسمين الحلبي[٨]

٢-أنْ يكون بمعنى: يده مغلولة عن عذابنا.

---

(١)يُنظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج:١٨٩/٢-١٩٠، والمحكم والمحيط الأعظم:٣٧٠/٥، والبحر المحيط:٣١٣/٤، وفتح القدير:٦٦/٢.

(٢)معاني القرآن:٣١٥/١.

(٣)مجاز القرآن:١٧٠/١.

(٤)جامع البيان:٤١٥/١٠.

(٥)المفردات في غريب القرآن:٦١٠.

(٦)الكشاف:٦٥٤/١.

(٧)البحر المحيط:٣١٣/٤.

(٨)الدر المصون:٣٤٣/٤.

ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ذكر المفسرون فيه دلالتين:[1]

الأولى: أنْ تكون العبارة على نحو الحقيقة، بأنَّ تُغل أيديهم بالأسر في الدنيا وبالعذاب في الآخرة. وهذا رأي الزجاج.[2]

الثانية: أنْ تكون العبارة على نحو المجاز، بأنَّه دعاء عليهم بالبخل النكد، وهذا المعنى أولى من الأول؛ لمطابقته لما قبله وهو قوله: (يد الله مغلولة) والذي عليه أغلب المفسرين؛ لأنَّ اليهود هُم مضرب المثل في البخل بين العامة والخاصة فحقّ عليهم هذا القول. فمنهم الطبري[3]، والزمخشري[4]، والبيضاوي[5]، وأبو حيان[6]، والشوكاني[7]، وغيرهم. فكيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح بالبخل والنكد؟

فأجاب أبو حيان على ذلك بقوله:" والذي يظهر أن قولهم: (يد الله مغلولةٌ)، استعارةٌ عن إمساك الإحسان الصادر من المقهور على الإمساك، ولذلك جاؤوا بلفظ مغلولة، ولا يُغلُّ إلا المقهور، فجاء قوله: (غُلت أيديهم)، دعاء عليهم بغلِّ الأيدي، فهُم في كل بلدٍ مع كل أُمة مقهورون مغلوبون، لا يستطيع أحدٌ منهم أن يستطيل ولا أن يستعلي، فهي استعارةٌ عن ذُلهم وقهرهم، وأن أيديهم لا تنبسط إلى دفع ضُرٍّ

---

(١)يُنظر: إعراب القرآن، النحاس١/٢٧٥، ومفاتيح الغيب:١٢/٣٩٤، والبحر المحيط:٣/٣١٤، والدرالمصون:٤/٣٤٤.

(٢)معاني القرآن وإعرابه:٢/١٩٠.

(٣)جامع البيان:١٠/٤٥٢.

(٤)الكشاف:١/٦٥٦.

(٥)أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٢/١٣٥.

(٦)البحر المحيط:٤/٣١٤.

(٧)فتح القدير:٢/٦٦.

ينـــزلُ بهـــم، وذلـــك مقابلـــة عمـــا تضـــمنه قـــولهم: يـــدُ الله مغلولـــة، وليســـت هـــذه المقالة بدعًا منهم فقد قالوا: إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء"[1]

وقـــال الـــرازي عـــن كيـــف وصـــف الله بالبخـــل والـــدعاء علـــيهم بالبخـــل؟:" قلنـــا: قولـــه: (يـــد الله مغلولـــة) عبـــارة عـــن عـــدم المُكنـــة مـــن البـــذل والإعطـــاء، ثـــم إن عـــدم المكنـــة مـــن الإعطـــاء تـــارة يكـــون لأجـــل البخـــل وتـــارة يكـــون لأجـــل الفقـــر، وتـــارة يكـــون لأجـــل العجـــز، فكـــذلك قولـــه: (غُلـــت أيـــديهم) دعـــاء علـــيهم بعـــدم القـــدرة والمكنـــة ســـواءٌ حصـــل ذلـــك بســـبب العجـــز أو الفقـــر أو البخـــل، وعلى هذا التقدير فإنه يزول الإشكال"[2]

نســـتخلص مـــن ذلـــك كلـــه أنَّ قولـــه: (غلـــت أيـــديهم) ذُكـــر فيهـــا دلالتـــان الأولـــى علـــى نحـــو المجـــاز، وهـــو الـــدعاء علـــيهم بالبخـــل علـــى الـــرأي الـــراجح عنـــد المفســـرين، وهنـــا جـــاء علـــى ســـبيل المشـــاكلة، التـــي تحققـــت بـــين لفـــظ نســـبه اليهـــود إلـــى الله عـــزَّ وجـــلَّ وهـــو قولـــه: (يـــد الله مغلولـــة) وهـــو لا يُصـــح إطلاقـــه عليـــه إلا مـــن بـــاب المجـــاز، ثـــمَّ جـــيء بـــاللفظ المشـــاكل لفظًـــا وهـــو قولـــه: (غلـــت أيـــديهم). والثـــاني علـــى نحـــو الحقيقـــة أنْ يكـــون عـــدم قدرتـــه عـــزَّ وجـــلَّ عـــن عـــذابنا (حاشـــاه لله عـــن هـــذا الوصـــف)، وغلـــت أيـــديهم فـــي الـــدنيا بالأســـر وفـــي الآخـــرة بالعـــذاب فـــي النـــار. ممَّـــا نلحـــظ تعـــددًا دلاليًـــا فـــي تفســـير الدلالـــة للفـــظ الواحد وقد رُجَّح معنى على آخر بما يناسب السياق القرآني.

---

(١)البحر المحيط:٤/٣١٤.

(٢)مفاتيح الغيب:١٢/٣٩٤.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(سورة المائدة:١١٦)

ذكر أهل اللغة أنَّ النفس تأتي بمعنيين: الأول: النفس الروح، كما تقول: خرجت نفس فلان، أي: روحه. والثاني: حقيقة الشيء وجُملته، أي: كلُّ شيءٍ بعينه نفسٌ. كما تقول: قتل فلان نفسه، أي: أنَّه أوقع الهلاك بذاته كلها.[١]

عندما قال الله تبارك وتعالى: (ولا أعلم ما في نفسك) قد أُطلقت النفس على ذات الله المقدسة، فاختلف العلماء في إطلاقها على ذات الله سبحانه وتعالى، فمن لم يَجز إطلاقها، فسر الآية بأكثر من وجه، وهذه بعض الأوجه:[٢]

الأول: أنْ تكون بمعنى حقيقة الشيء وذاته، أي: تعلم حقيقة ما عندي ولا أعلم حقيقة ما عندك، أو تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك. وهذا رأي الزجاج[٣]، والنحاس[٤]، والاصفهاني[٥]

الثاني: أنْ تكون كناية عن المخفي، أي: بمعنى: تعلم ما أُخفي ولا أعلم ما تُخفي أو تعلم معلومي ولا أعلم معلومك أو تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، إلى غير ذلك من المعاني التي تدلُّ على معنى الخفاء.

---

(١)يُنظر: كتاب العين:٧/٢٧٠(نفس)، وتهذيب اللغة:١٣/٨(نفس)، ولسان العرب:٦/٢٣٣(نفس).

(٢)يُنظر: الوجوه والنظائر:٤٧٣-٤٧٤، ومفاتيح الغيب:١٢/٤٦٦، والبحر المحيط:٤/٤١٧، والدر المصون:٤/٥١٤.

(٣)معاني القرآن و إعرابه:٢/٢٣٣.

(٤)إعراب القرآن:١/٢٩٠.

(٥)المفردات في غريب القرآن:٨١٨.

وهذا رأي الطبري[١]، والزمخشري[٢]، وابن عطية[٣]، والقرطبي، إذ قال بعد ذكره هذه المعاني:" هذه المعاني كلها متقاربة، بمعنى: (أنت تعلم سِرِّي وما انطوي عليه في ضميري الذي خلقته ولا أعلم شيئًا ما استأثرت به من غيبك وعلمك"[٤]، وأبو حيان[٥].

فوجَّه بعض من المفسرين هذه المعاني الواردة في الله تبارك وتعالى من باب المشاكلة لما قبلها، لأنَّه عندما قال على لسان النبي عيسى (عليه السلام): (تعلم ما في نفسي) ثمَّ قال: (ولا أعلم ما في نفسك)، في الحقيقة الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(سورة الشورى:١١) يتعالى أنْ يكون له نفسٌ كنفوسنا، ولكن ذكرت النفس المنسوبة إلى الله عزَّ وجلَّ مشاكلة للنفس الأولى.

قال أبو حيان في ذلك:" تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك خصَّ النفس لأنها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات...، وأتى بقوله: ما في نفسك على جهة المقابلة والتشاكل لقوله: ما في نفسي فهو شبيه بقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ﴾(سورة آل عمران:٥٤)، وقوله: ﴿إنما نحن مستهزئون ۞اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(سورة البقرة:١٤-١٥)"[٦]

---

(١)جامع البيان:٢٣٨/١١.

(٢)الكشاف:٦٩٤/١.:

(٣)المحرر الوجيز:٢٦٣/٢.

(٤)الجامع لأحكام القرآن:٣٧٦/٦.

(٥)البحر المحيط:٤١٧/٤.

(٦)البحر المحيط:٤١٧/٤، ويُنظر: فتح القدير:١٠٨/٢.

ومن قبله قد وجَّهها الزمخشري، إذ قال:" سلك بالكلام طريق المشاكلة، وهو من فصيح الكلام"[1]

وهذا الاحتمال الثاني في ذكر النفس على الله تبارك وتعالى، وتكون بمعنى: الذات، وهم من أجازوا إطلاق النفس على الله سبحانه وتعالى من دون مشاكلة، وجعلوا من ذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، وقال الألوسي بعد ذكره الاختلاف بين العلماء في جواز إطلاق الذات على الله تبارك وتعالى:" والتحقيق أن الآية من المشاكلة إلا أنها ليست في إطلاق النفس بل في لفظ في فإن مفادها بالنظر إلى ما في نفس عيسى (عليه السلام) والارتسام والانتقاش ولا يمكن ذلك نظرًا إلى الله تعالى"[2]

نستخلص من ذلك كله أنَّ النَّصَّ القرآني قد استخدم لفظين متفقين في اللفظ، وقد اختلف المفسرون في تأويل إطلاق النفس على الله سبحانه وتعالى، فنجد تعددًا دلاليًا في تفسير الدلالة، ويختار المفسرين دلالة من بين عدة دلالات وتتنازع القرائن السياقية في تحديد أي دلالة، وهذا حُمل على المجاز، أمَّا بعض المفسرين من حمل اللفظين على الحقيقة بجواز إطلاق النفس على ذات الله، وعلى رأيهم هذا خرجت من باب المشاكلة.

---

(١)الكشاف:٦٩٤/١، ويُنظر: المحرر الوجيز:٢٦٣/٢، وأنوار التنزيل و أسرار التأويل:١٥١/٢، ومفاتيح الغيب:٤٦٦/١٢.

(٢)روح المعاني:٦٤/٤.

الخَاتِمَةُ

الخَاتِمَةُ

الحمدُ لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، فكانت رحلة ماتعة في رحاب كتاب الله الكريم، امتزج فيها التعب مع متعة البحث في تفسير القرآن الكريم، وبعد هذه الرحلة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي بحثًا عن ظاهرة لغوية مهمة هي المشاكلة اللغوية، لا بُدَّ من ذكر أهم النتائج التي توصلتُ إليها في هذا البحث، وهي:

١.أثبت البحث أنَّ المشاكلة اللغوية التي لحظها المفسرون في النظم الكريم تمثل وجهًا من أوجه الإعجاز القرآني، فهي عدول النص القرآني من لفظ إلى آخر أو من تركيب إلى آخر؛ وذلك لتحقيق التناسق والتناسب بين ألفاظه من حيث الأصوات والبنية والتراكيب والدلالية، فضلًا عن تحقيق غايات دلالية.

٢.أثبت البحث أنَّ المشاكلة اللغوية كانت أساسًا من الأُسس التي اعتمدها أبو حيان في بيان رجاحة قراءة على أخرى أو توجيه لغوي على آخر على المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي.

٣.توصل البحث إلى أنَّ المشاكلة الصوتية تضم ظواهر صوتية مختلفة كانت غايتها الأساسية الانسجام والتوافق الصوتي للأصوات المتجاورة تحقيقًا للسهولة واليسر في النطق وتخفيفًا وتقليلًا للجهد على أعضاء النطق، وإنْ لم نعدم أحيانًا في بعض الظواهر التماس نكات دلالية لهذه المشاكلة لا سيّما في الفاصلة القرآنية.

٤.تبيَّن لنا أنَّ المشاكلة الصرفية قائمة على وجود تطابق بين الصيغ المستعملة، وقد يعدل النصّ القرآني من صيغة إلى أخرى وذلك تحقيقًا للانسجام التوافق الصِيّغِي بين الألفاظ الواردة في السياق القرآني، وكل

ذلك من أجل تيسير عملية النطق، واضفاء طابع جمالي ناتج عن الإيقاع المنتظم للنصِّ القرآني.

٥.توصل البحث إلى أنَّ تراكيب اللغة العربية تتميز بالمرونة، ولعناصرها الحرية في الانتقال من موقع إلى آخر بحسب قواعد وضوابط أقرها النحاة العرب، وهذه المرونة سمحت للتركيب بتحقيق المشاكلة اللفظية وتناسق العناصر في ترتيبها، فضلًا عن أن المشاكلة التركيبية خاصية تتجاوز بها تحقيق التناسب والانسجام اللفظي، بل تتعداها؛ لتحقيق التشاكل والانسجام الدلالي والجمالي للتراكيب النحوية.

٦.بيَّن البحث أنَّ المشاكلة النحوية تتحقق بوسائل متعددة منها: التقدير، التقديم والتأخير، توافق الضمائر فيما تعود عليه، الحذف، الزيادة، تناسب الجمل المتعاطفة من حيث الاسمية والفعلية.

٧.كانت المشاكلة النحوية قرينة من القرائن المرجحة لتوجيه نحوي تتحقق المشاكلة التركيبية فيه على آخر يفتقر التركيب فيه إلى التناسب والمشاكلة.

٨. توصل البحث إلى أن للمشاكلة النحوية غايات تحققها، منها: التماسك، الانسجام الدلالي، التناسب الإيقاعي، الدلالة على المحذوف.

٩.بيّن البحث أن المشاكلة النحوية كانت أساسًا من الأُسس المرجحة في التوجيه النحوي لدى أبي حيان، سواء أكان التشاكل حاصلًا في آية واحدة أو آيتين متتاليتين في سورة واحدة أو في آيات متناظرة في سور مختلفة.

١٠.راعى أبو حيان الأندلسي المشاكلة بين القراءات القرآنية عند التوجيه النحوي منطلقًا من أصل من أصول الترجيح عند المفسرين، وهو (الأصل توافق القراءات في المعنى) إذ نجده كثيرًا ما يعتمد في بيان رجاحة وجه

نحوي لتركيب الآية على تشاكل هذا الوجه مع توجيه ما ورد في الآية من قراءات.

١١.لم يقتصر رصد المشاكلة الدلالية على السياق المتصل بل راعى أبو حيان المشاكلة الدلالية مرجحًا دلاليًا في السياق المنفصل والمقام أيضًا.

١٢.تفاوتت الآراء وتعددت في توجيه الألفاظ التي لحظ فيها المفسرون، ومنهم أبو حيان ترخصًا في الاستعمال، فقد تحمل على المشاكلة الدلالية، وقد تحمل على المعنى الحقيقي، وتوجه توجيهات أخرى.

١٣.توصل البحث إلى قيام المشاكلة الدلالية على إزاحة دلالة اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر ناتج عن توسع في الدلالة أو تضيق أو تغيير.

١٤.تقوم المشاكلة الدلالية على اقتران لفظين في تركيب يتفقان في اللفظ؛ لتحقيق الانسجام الصوتي والتناغم بتكرار اللفظ بنفسه ويختلفان في إخراج أحد اللفظين من دلالتها الشائعة إلى دلالة أخرى ترتبط معها برابط ما. ولم تكن رؤية المفسرين لهذا الاختلاف الدلالي بين اللفظين اللذين يجسدان المشاكلة واحدة، بل نجد تعددًا دلاليًا في التفسير وتتنازع القرائن السياقية في ترجيح معنى على آخر.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم

ـ أ ـ

١. الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، تح: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، ط/١، ١٩٦٠م.

٢. إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب عبد الرحمان الدمشقي المعروف بأبي شامة(ت٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية.١٩٨٧م.

٣. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيأة المصرية العامة للكتب، ١٣٩٤م.

٤. اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعًا ودراسة، د. بدر ين ناصر البدر، مكتبة الرشيد، الرياض، ٢٠٠٠م.

٥. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط/١، القاهرة، ١٩٩٨م.

٦. إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

٧. أساس البلاغة، جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٨م.

٨. أَسرار البيان في التعبير بالقرآن، فاضل بن صالح السامرائي، (د.ط)، ٢٠٠٢م.

٩. أسرار العربية، أبو البركات الأنباري(ت٥٧٧هـ)، تح: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط/١، دمشق، ١٩٩٩م.

١٠. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣١٣هـ.
١١. أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، ١٩٩٦م.
١٢. الأصول في النحو، ابن السراج(ت٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط/٤، بيروت، ١٩٩٩م.
١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ)، دار عطاءات العلم(الرياض)، دار ابن حزم(بيروت)، ط/٥، ٢٠١٩م.
١٤. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي(ت٩٤٣هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)
١٥. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م.
١٦. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني(ت٤٠٣هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/٥، مصر، ١٩٩٧م.
١٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي(ت١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، ط/٨، بيروت، ٢٠٠٥م.
١٨. إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه(ت٣٧٠هـ)، ضبط نصه وعلق عليه: أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت ـــ لبنان، ٢٠٠٦م.

١٩. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت،٢٠٠١م.

٢٠. إعراب القرآن، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الطليحي الاصبهاني الملقب بقوام السنة(ت٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: د. فائزة بنت عمر المؤيد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط/١، الرياض، ١٩٩٥م.

٢١. إعراب القرآن المنسوب للزجاج، أبو الحسن الباقولي(ت نحو ٥٤٣هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، ط/٤، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٢. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط/٤، حمص، ١٤١٥هـ.

٢٣. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، ط/٢، عمان، ١٤١٨هـ.

٢٤. الإقناع في القراءات، ابن البَاذِش(ت٥٤٠هـ)، دار الصحابة للتراث، ١٤٠٣هـ.

٢٥. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف، ابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣هـ)، ١٩٦٦م.

٢٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط/١، بيروت، ١٤١٨هـ.

-ب-

٢٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٨. البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط/١، بيروت، ١٩٥٧م.
٣٠. البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قليقلة، دار الفكر العربي، ط/٣، ١٩٩٢م.
٣١. البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وحسن البصير، ط/٢، العراق، ١٩٩٩م.
٣٢. بيان إعجاز القرآن، الخطابي(ت٣٨٨هـ)، ت: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط/٣، مصر، ١٩٧٦م.
٣٣. بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش العاني(ت١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي، ط/١، دمشق، ١٩٦٥م.

-ت-

٣٤. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/٢، بيروت، ١٩٧٣م.
٣٥. تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من الأساتذة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط/١، الكويت،١٩٦٥م.

٣٦. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبريّ(ت٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (د.ت.ط).
٣٧. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع العدواني(ت٦٥٤هـ)، تح: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
٣٨. التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٣٩. التحولات في البنية، محمد عبد المطلب.
٤٠. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي(ت٧٤١هـ)، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط/١، بيروت، ١٤١٦هـ.
٤١. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط/١، القاهرة، ١٩٨٨م.
٤٢. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط/١، عمان، ١٩٩٨م.
٤٣. التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، تح: عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة، ط/١، القاهرة، ١٩٩٠م.
٤٤. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الواحدي(ت٤٦٨هـ)، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه
٤٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء بن عمر بن كثير البصري(ت٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٩٩٩م.

وتنسيقه، عمادة البحث العلمي -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/١، ١٤٣٠هـ.

٤٦. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب ـــ جامعة طنطا، ط/١، ١٩٩٩م.

٤٧. تفسير الشعراوي(الخواطر)، محمد متولي الشعراوي(ت١٤١٨هـ)، (د.ت).

٤٨. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، ط/١، القاهرة، ١٩٧٠م.

٤٩. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط/١، ١٤٣٢هـ.

٥٠. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين العلوي الهرري الشافعي(ت١٤٤١هـ)، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، ط/١، بيروت، ٢٠٠١م.

٥١. التكرير بين المُثير والتأثير، د. عزالدين علي السيد، عالم الكتب، ط/١، ١٩٧٨م.

٥٢. التمهيد في علم التجويد، شمي الدين أبو الخير ابن الجزري(ت٨٣٣هـ)، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف ط/١، الرياض، ١٩٨٥م.

٥٣. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محب الدين ناظر الجيش(ت٧٧٨هـ)، تح: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، ط/١، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٥٤. التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد، الدار البيضاء، ١٩٩٢م.
٥٥. تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ)، تح: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة النافذة، ط/١، ٢٠٠٦م.
٥٦. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط/١، بيروت، ٢٠٠١م.
٥٧. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٧م.
٥٨. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين المرادي(ت٧٤٩هـ)، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط/١، ٢٠٠٨م.

-ج-

٥٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ)، تح: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة، ط/١، ٢٠٠٠م.
٦٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط/٢، القاهرة، ١٩٦٤م.
٦١. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي(ت١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا،١٩٩٩م.

-ح-

٦٢. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي(ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦٣. حاشيتان من حواشي ابن هشام على ألفية ابن مالك، دراسةً وتحقيقًا، ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تح: جابر بن عبدالله بن سريع السريع، رسالة دكتوراه، قسم اللغويات، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إشراف: د. إبراهيم بن صالح العوفي، للعام (١٤٣٩هـ /١٤٤٠هـ)

٦٤. حاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي(ت١١٩٥هـ) على تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيوت، ٢٠٠١م.

٦٥. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة(ت٤٠٣هـ)، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط/٥، ١٩٩٧م.

٦٦. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله(ت٣٧٠هـ)، تح: د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، ط/٤، بيروت، ١٤٠١هـ.

٦٧. الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي(ت٣٧٧هـ)، تح: بدر الدين قهوجي ــ بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رياح وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، ط/٢، دمشق/ بيروت، ١٩٩٣م.

-خ-

٦٨. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط/٤، (د.ت).

٦٩. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري(ت٨٣٧هـ)، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة، بيروت،٢٠٠٤م.

-د-

٧٠. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة(ت١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

٧١. دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد أبو ستيت، ط/١، ١٩٩٤م.

٧٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت).

٧٣. درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي(ت٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين، دامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها(٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط/١، ٢٠٠١م.

٧٤. درج الدرر في تفسير الآي والسّور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار(٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحُسين، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، ط/١، بريطانيا، ٢٠٠٨م.

٧٥. دروس في علم الأصوات العربية لجان كانتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي ــ عربي: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.

٧٦. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ــ دار المدني بجدة، ط/٣، ١٩٩٢م.

٧٧. دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط/٣، ١٩٧٦م.

ـ ر ـ

٧٨. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء(ت١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

٧٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي(ت١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط/١، ١٤١٥هـ.

ـ س ـ

٨٠. السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي(ت٣٢٤هـ)، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط/٢، مصر، ١٤٠٠هـ.

-ش-

٨١. شرح الأشموني على الفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي(ت٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت،١٩٩٨م.

٨٢. شرح ألفية ابن مالك المسمى: تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن الوردي(ت٧٤٩هـ)، تح: د. عبد الله بن علي، الشلال، مكتبة الرشد، ط/١، الرياض،٢٠٠٨م.

٨٣. شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك(ت٦٧٢هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط/١، ١٩٨٢م.

٨٤. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد الجوجري الشافعي(ت٨٨٩هـ)، تح: نواف بن جزاء الحارثي، المدينة المنورة، ط/١، ٢٠٠٤م.

٨٥. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، ط/١، سوريا، ٢٠٠١م.

٨٦. شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان(ت٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٨م.

٨٧. شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش(ت٦٤٣هـ)، تح: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت،٢٠٠١م.
٨٨. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد اليمني(ت٥٧٣هـ)، تح: د. حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ود. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، ط/١، بيروت، ١٩٩٩م.

-ص-

٨٩. الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، ط/١، ١٩٩٧م.
٩٠. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط/٤، بيروت، ١٩٨٧م.
٩١. الصوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجم، د. محمد محمد داود، دار غريب، ٢٠٠١م.

-ظ-

٩٢. ظاهرة التنوين في اللغة العربية، د. عوض المرسي جهاوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، (د.ت).
٩٣. ظاهرة المشاكلة في الصرف العربي، د. إبراهيم جميل إبراهيم، مكتبة المتنبي المملكة العربية السعودية، ط/١، ٢٠٠٥م.

-ع-

٩٤. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي(ت٧٧٣هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٣م.

٩٥. علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق(ت٣٨١هـ)، تح: محمود جاسم محمد درويش، مكتبة الرشيد، ط/١، الرياض، ١٩٩٩م.

٩٦. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٠م.

-غ-

٩٧. غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعي(ت٨٩٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى كوكصو، دراسة دكتوراه ـــ جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، ٢٠٠٧م.

٩٨. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة، مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت، ١٩٨٣م.

٩٩. غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

١٠٠.غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري(ت٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٤١٦هـ.

-ف-

١٠١.الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار، ط/٢، عمان، ٢٠٠٠م.
١٠٢.فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنوجي(ت١٣٠٧هـ)، عُني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.
١٠٣.فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، ط/١، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٠٤.في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، ١٩٨٤م.
١٠٥.في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ، بغداد،١٩٨٣م.
١٠٦.في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، د. عبد الكريم محمد حسن جبل، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م.
١٠٧.في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط/٣، مصر، ١٩٦٥م.

-ق-

١٠٨.القاموس المحيط، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، تح: مكتب بتحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٨، ٢٠٠٥م.
١٠٩.القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محيسن(ت١٤٢٢هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، ط/١، القاهرة،١٩٨٤م.

١١٠.قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، د. حسين بن علي بن حسين الحربي، راجعه وقدَّم له: فضيلة الشيخ مناع بن خليل القطان، دار القاسم، ط/١، ١٩٩٦م.
١١١.قواعد التقديم والتأخير عند المفسرين، عمر بن عبد المجيد البيانوني، (د.ت).

-ك-

١١٢.الكافية في علم النحو، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي(ت٦٤٦هـ)، تح: د.صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، ط/١، القاهرة، ٢٠١٠م.
١١٣.الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط/٣، القاهرة، ١٩٨٨م.
١١٤.الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني(ت٦٤٣هـ)، تح: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، ط/١، المدينة المنورة، ٢٠٠٦م.
١١٥.كتاب فيه لغات القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء(ت٢٠٧هـ)، ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع، ١٤٣٥هـ.
١١٦.كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.
١١٧.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، ط/٣، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١١٨.الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، تح: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط/٣، ١٩٨٤م.
١١٩.الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي(ت٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط/١، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٢٠.الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، د. عبد الله خضر محمد، دار القلم، ط/١، بيروت، ٢٠١٧م.
١٢١.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي(ت١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
١٢٢.الكنز في القراءات العشر، أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر الواسطي المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين(ت٧٤١هـ)، تح: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٤م.

-ل-

١٢٣.لباب التفاسير، أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني (ت بعد٥٣١هـ)، تح: أربع رسائل دكتوراه بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض (١٤٠٤هـ، ١٤٢٩هـ).
١٢٤.اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني(ت٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد

الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٨م.
١٢٥.لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر، ط/٣، بيروت، ١٩٩٣م.
١٢٦.لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي السامرائي، دار عمار، ط/٣، عمان، ٢٠٠٣م.

-م-

١٢٧.مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي(ت٢٠٩هـ)، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، ط/١، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٢٨.محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي(ت١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٤١٨هـ.
١٢٩.المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(ت٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف ـــ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م.
١٣٠.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي(ت٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٣١.المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ابن سيده(ت٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٣٢.مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر زين الدين الرازي(ت٦٦٦هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط/٥، بيروت، ١٩٩٩م.
١٣٣.مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ط/١، بيروت، ١٩٩٨م.
١٣٤.المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي(ت٩١١هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٨م.
١٣٥.المشاكلة في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية، د. علي عبد الخالق كاظم الشكري الجبوري، نيبور للطباعة والنشر، ط/١، بغداد، ٢٠٢١م.
١٣٦.مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت٤٣٧هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط/٢، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٣٧.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المطبعة الاميرية، مصر، ١٩٠٩م.
١٣٨.معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٠هـ)، تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٤، ١٩٩٧م.

١٣٩.معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب، ط/١، المملكة العربية السعودية، ١٩٩١م.

١٤٠.معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، المعروف بالأخفش الأوسط(ت٢١٥هـ)، تح: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، ط/١، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٤١.معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار الكتب المصرية، ط/١، مصر، ١٩٥٥م.

١٤٢.معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج(ت٣١١هـ)، عالم الكتب، ط/١، بيروت، ١٩٨٨م.

١٤٣.معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط/١، الأردن، ٢٠٠٠م.

١٤٤.معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٨٨م.

١٤٥.معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، ط/١، ٢٠٠٦م.

١٤٦.معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مكتبة الشروق الدولية، ط/٤، ٢٠٠٤م.

١٤٧.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام(ت٧٦١هـ)، تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط/٦، دمشق، ١٩٨٥م.

١٤٨.مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط/٣، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٤٩.مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي(ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط/٢، بيروت، ١٩٨٧م.
١٥٠.المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط/١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
١٥١.مقاييس اللغة، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٩٧٩م.
١٥٢.المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس المعروف بالمبرد(ت٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٥٣.ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر(ت٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
١٥٤.الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور(ت٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، ط/١، ١٩٩٦م.
١٥٥.منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني الشافعي (ت نحو ١١٠٠هـ)، تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٨م.

١٥٦.مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني(ت١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط/٣، ١٩٤٣م.
١٥٧.مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي(ت١١١٠هـ)، تح: د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٥٨.الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/١، ١٩٩٧م.

-ن-

١٥٩.نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي(ت٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ١٩٩٢م.
١٦٠.النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف(ت٨٣٣هـ)، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (د.ت).
١٦١.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت٨٨٥هـ)، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
١٦٢. النكت في إعجاز القرآن، الرماني(ت٣٨٤هـ)، تح: محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، دار المعرف، ط/٣، مصر، ١٩٧٦م.
١٦٣.النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فضال بن علي بن غالب المُجاشعي القيرواني، أبو الحسن(٤٧٩هـ)، تح: د. عبد الله عبدالقادر الطويل، دار الكتب العلمية، ط/١، بيروت، ٢٠٠٧م.

-هـ-

١٦٤.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، واحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ــ جامعة الشارقة بإشراف أ. د: الشاهد البوشيجي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ــ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ جامعة الشارقة، ط/١، ٢٠٠٨م.

١٦٥.همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي(ت٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار البحوث العلمية، ط/١، الكويت، ١٩٨٠م.

-و-

١٦٦.الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو٣٩٥هـ)، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط/١، القاهرة، ٢٠٠٧م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

١. الاتساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة ماجستير، إعداد: بوشيخي الهام وقطاف نبيله، جامعة دمولاي الطاهر، الجزائر، ٢٠١٦م.

٢. التحويل الصرفي في القرآن الكريم دراسة دلالية تطبيقة، رسالة ماجستير، إعداد: حميدة أونان ووسيلة لعبيدي، جامعة الجلالي بونعمامة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٨م.

٣. التناسب السياقي ومستوياته في تفسير التحرير والتنوير لمحمد طاهر بن عاشور، أطروحة دكتوراه، إعداد: فضيلة عظيمي، جامعة لمين دباغين ـ سطيف٢، كلية الآداب واللغات، الجزائر،٢٠١٨.

٤. التناسب في القرآن الكريم ــ نماذج مختارة ــ، رسالة ماجستير، إعداد: مقدودة زموري وآمال شوكي، جامعة بوضياف، كلية الآداب والأدب العربي، الجزائر، ٢٠١٨م.

٥. جمالية الانزياح في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد: عبد القادر بن زيان، جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان ـ، الجزائر، ٢٠١٢م.

٦. الجهود الصوتية عند أبي حيان الأندلسي ــ تفسير البحر المحيط انموذجًا ــ أطروحة دكتوراه، إعداد: رحمة كزولي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٨م.

٧. دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، إعداد: عبد الناصر مشري، جامعة الحاج لخضر ــ باتنة ــ كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٤م.

البحوث

١.الإتباع فيما ليس بإعراب في العربية، إعداد: دكتور أحمد بن محمد عبد العزيز، مجلة الجمعية العليمة السعودية، العدد:٥، ١٤٣١هـ.

٢.الاتساق الصوتي في البحر المحيط، إعداد: الزهرة يعقوب، مجلة العربية، المجلد:٦، العدد:١، الجزائر، ٢٠١٩م.

٣.بلاغة المشاكلة في القرآن الكريم في القرآن الكريم، إعداد: باسم حمد إبراهيم، مجلة الفتح، جامعة ديالى، العدد:٣٢، ٢٠٠٨م.

٤.تقدير الاستفهام في القرآن الكريم، إعداد: دكتور محمود بن عبد الجليل روزن، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد:٢٥، ١٤٣٧هـ.

٥.التناسب السياقي في سورة الملك وأثره في الإعجاز القرآني، إعداد: فيحاء محمود الرفاعي، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد: ٤٠، مصر.

٦. ظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي دراسة في تفسير روح المعاني للألوسي، إعداد: صفية طبني، مجلة المخبر، العدد:٨، الجزائر، ٢٠١٢م.

٧.ظاهرة الانسجام الصوتي في العربية الإمالة والإتباع الحركي أنموذجًا، إعداد: عماد حميد أحمد وميمونة عوني سليم، المجلد:١٠، العدد:٣٨، جامعة تكريت،٢٠١٤م.

٨.ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النصي، دراسة تطبيقية على سورة البقرة، إعداد: إسلام محمد عبد السلام، المعهد العالي للدراسات النوعية، قسم اللغات والترجمة.

٩.فصاحة التركيب القرآني عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، دكتور شعلان عبد علي سلطان، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، مجلة بابل،٢٠١٧م.

١٠.قراءة في المفهوم البلاغي العربي، إعداد: باسم محمد إبراهيم ورائد حمد خلف، مجلة ديالي، العدد: ٦٨، جامعة ديالى، ٢٠١٥م.

١١.المشاكلة التركيبية في البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دراسة نحوية دلالية، إبراهيم بن هادي، مجلة جامعة طيبة، العدد:٢٠، ١٤٤١هـ.

١٢.المشـــاكلة فـــي اللغـــة العربيـــة (صـــوتيًا وصـــرفيًا)، إعـــداد: مـــاهر خضـــير هاشـــم، مجلـــة جامعـــة بابـــل، العلـــوم الإنســـانية، المجلـــد:١٨، العـــدد:٣، ٢٠١٠م.

Linguistic similarity in the interpretation of the "Al-bahr Al-Muheet" for Abu Hayyan Al-Andalusi (D. 745 AH)

Abstract :

Praise be to Allah the Lord of the worlds and may the blessings and peace of Allah be upon the most honored of messengers our master Muhammad and upon all his family and companion.

Praise be to God , who has granted me the study of a feature related to the systems of His Miracle Book , which is the similar phenomenon that characterizes our Arabic language. . This thesis was divided into an introduction and a preface that dealt with: the concept of similarity in language and terminology , terms that indicate similarity , similarity and Quranic proportionality. In the second chapter , I presented (acoustic and morphological analogy) , in which I dealt with (acoustic similarity) , and thus by studying the phonetic phenomena , which are the Qur'anic commas , dimples , kinetic follow-up , inclination , and the disposition of the forbidden from the exchange , and dealt with (morphological similarity) , transgression in actual formulas , and reversal. To the infinitive and the transition from one derivative to another , and the

transition from the singular to the plural and vice versa , and presented in the second verb (grammatical similarity) , in which I dealt with the concept of grammatical similarity , patterns of grammatical similarity , the combination between verbal and moral similarity , the means of achieving similarity , the purposes of similarity , and the effect of grammatical similarity In grammatical guidance , similarity and comparison between estimates , similarity and Quranic readings. I presented in the third chapter (semantic similarity) , in which I dealt with: the concept and purpose of semantic similarity , types of semantic similarity , patterns of their realization , similarity and transmission of significance , similarity and the multiplicity of possibilities of significance. Then the conclusion included the most important findings of this study. Then a list of sources and references that were adopted in the study.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Babylon

College of Education for Human Sciences

Linguistic similarity in the interpretation of the "Al-bahr Al-Muheet" for Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 AH)

A Thesis Submitted to the Council of the College of Education for Human Sciences/University of Babylon As a partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Education/ Arabic Language/Language

By

Amani Abd Alzahra Abd Alsamd Salman

Supervised By

Prof. Dr. Sha'lan Abd Ali Sultan

1444 A.H **2022 A.D**